

في أرمينية والثغور الجزرية والشامية

خلال القرن الرابع الهجري

دكتور صابر محمد دياب
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة القاهرة - الخرطوم

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكي ت ٣١٠٧٣

المسلمون وجهادهم ضد الروم

فى أرمينية والثغور الجزرية والشامية

خلال القرن الرابع الهجرى

دكتور صابر محمد دياب
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد
جامعة القاهرة - الخرطوم

١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكى ت ٣١٠٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الموضوعات

الموضـــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الفصـــل الثالث :

الفصـــل الرابع :

الموضـــوع | الصفحة

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصــلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه باحسان الى يوم الدين •• وبعد :

فالمعروف أنه منذ بدأ نور الاسلام يسطع على العالمين خــارج الجزيرة العربية ــ بعد تأسيس النبى الكريم صلوات الله وســلامه عليه ، دولته فى يثرب ؛ ودعوته الملوك والأباطرة والأمراء المــاصرين له الى الاســلام ــ والحرب قائمــة والصراع مستمر ضد العــالم الاسلامى من جانب الروم • فتارة يشتد أواره وأخرى تهدأ حدته ، الى حــالة أشبه ما تكون بالهدنة المؤقتــة ، التى تكون غالبا لانشغال الروم بمشاكل داخليــة أو خارجية على الجبهات البيزنطية الأخرى سواء فى الشمال أو الغرب •

وعلى هذا نستطيع القول أن موقف الروم من العــالم الاسلامى ودولته وأمته تأرجح صعودا بين الحــرب والســلام ، وبين العــداء والمهادنة • وذلك وفقا لمقتضيات الظروف والأحوال فى العالمين الاسلامى والبيزنط •

وابتداءا من منتصف القرن الثالث الهجرى ، اتخذ البيزنطيون من الحــالة السيئة التى وصلت اليهــا الخــلافة العباسية ــ بسبب استبداد الاتراك ، والبويهيين بعدهم ، بالسلطة دون الخلفاء ــ فرصة سانحة للاغارة على بلاد هذه الدولة وتخومها المجاورة لجدود دولتهم • فغزوا مينــاء دميــاط سنة ٢٣٨هـ (فى عهد ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى) (٢٣٨ ــ ٢٤٢هـ) ، كما أغاروا على عين زربة ــ على مقربة من المصيصة سنة ٢٤١هـ ، وأسروا من كان فيها • ثم تبودل الأسرى بين

المسلمين والروم فى نفس السنة ، وذلك فى عهد ميخائيل الثالث (٨٢١ — ٨٦٧م/٢٢٨ — ٢٥٣هـ) ، وكان عدد الأسرى المسلمين عشرين ألفا ، تعرضوا لصنوف العذاب والهوان ، حتى اضطر معظمهم للتنصر ، وقتل من أبى منهم التنصر ، بيد ثيودورا أم الأمبراطور ميخائيل الثالث . وكان عدد من قتل نحو اثنى عشر ألفا — ومن دخل فى النصرانية حول سبعة آلاف[١] .

ثم أغار الروم على شمال العراق حتى بلغوا آمد وأسروا حول عشرة آلاف مسلم . لكن المتوكل العباسى ثأر منهم فاستولت قواته على بعض بلادهم جنوبى آسيا الصغرى سنة ٢٤٤هـ[٢] . وفى سنة ٢٤٥هـ أسر المسلمون أحد بطارقة وقادة الروم ، الذى أسره القائد المسلم على بن يحيى الأرمنى ، كما استولوا على مدينة لؤلؤة . وقد عرض ملك الروم لفدائه ان يبدل مكانه ألف رجل من المسلمين الأسرى لديه[٣] .

ولما زاد تقلص نفوذ الخلافة العباسية فى عهد المعتمد العباسى (٢٥٦ — ٢٧٩هـ) الى حدود الجزيرة والعراق ، اشتد تجرؤ الروم على بلاد المسلمين وأرواحهم ، فتمكنوا فى عهد أمبراطورهم باسيل الأول (٧٦٧ — ٧٨٦م ٢٥٣ — ٢٧٣هـ) من الانتصار على بعض أمراء المسلمين مستغلا ضعف الخلافة العباسية ، واستبداد القواد بالخلفاء ، وثورة الجند عليهم[٤] .

كما أتاح اشتغال العباسيين ، بمحاربة قرامطة زكروية فى شمال العراق وبادية الشام وبعض المدن الشامية ، الفرصة للروم . فأغاروا سنة ٢٩٢هـ على الثغور الشامية فى مائة ألف جندى ، وعاثوا فى الكثير من المدن مثل الحدث . فخرج اليهم المسلمون من طرسوس ، وفتحوا

---

(١) الطبرى : جـ ١١ ص ٥١ — ٥٢ .
(٢) الطبرى : جـ ١١ ص ٥٥ — ٥٦ .
(٣) الطبرى : نفسه جـ ١١ ص ٦٠ .
(٤) حسن ابراهيم : ة الاسلام السياسى ٣/٢٣٣ .

أنطاكية — شبيهة القسطنطينية على حد قول ابن الأثير[١] — وقتلوا منهم خمسة آلاف وأسروا مثلهم ، واستنفذوا أسارى المسلمين فيها ، وأخذوا نحو ستين مركبا ، وغنموا الكثير من الأموال والمتاع والسبى • وكانت مغــانم المســلمين وفيرة حتى بلغ نصيب الجندى المسلم ألف دينــار • وقد بلغ المسلمون قونية (قمونية) سنة ٢٩٤هـ ، حتى اضطر الأمبراطور البيزنطى الى طلب الصــلح والمهــادنة ، وتبادل الأسرى بين الفريقين[٢] •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى ، استغل الروم فرصـــة ثورة الحسين بن حمدان على بنى بوية ، فأغاروا على مناطق الثغور الجزرية • وقصدوا حصن منصور سنة ٣٠٣هـ وسبوا من كان فيه ، وأوقعوا بجند المسلمين فى طرسوس ، وعاثوا بمرعش فسادا[٣] • فســار القــائد العباسى مؤنس الخــادم فى السنة التالية الى ملطية ، حيث فتح كثيرا من حصون الروم • وقد كان من أثر هــذا النصر المؤزر الذى احرزه مؤنس ان خلع عليــه الخليفة المقتدر بالله لقب المظفر • واضطر الروم الى طلب المهادنة من المسلمين سنة ٣٠٥هـ[٤] •

ولمــا زاد ضعف الدولة العباسية فى عهد المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) وعجزت عن امداد الثغور وتدعيمها بالرجال والعتاد ، أرسل الأمبراطور قسطنطين السابع بورفيروجنتس (٩١١ — ٩٥٩م/٢٩٩ — ٣٤٨هـ) ، الى أهل الثغور الاسلامية يطلب منهم آداء الخراج اليه ، كما دخــل الروم ملطيــة بعد أن هجرها أهلها واستغاثوا بالخليفــة سنة ٣١٣هـ[٥] •

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٧ ص ١٩٠ .
(٢) ابن الأثير : المصدر نفسه ١٩٧/٧ .
(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه ٢٣/٨ .
(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٣٧ .
(٥) ابن سكويه : تجــارب ١٤٦/١ وحسن ابراهيم : الاســلام السياسى ٢٣٥/٣ .

وهذا الكتاب الذى أقدمه بين يدى القارىء الكريم يتناول بالدراسة فترة هامة من فترات المواجهة بين المسلمين والروم ، ونعنى بها القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) • ووجه الأهمية فيها يكمن فى بروز قوى اسلامية نشطة حملت عن الخلافة العباسية — رغم خلافها معها مذهبيا — عبء مواجهة الهجمات البيزنطية المتلاحقة ، على أراضى وثغور العالم الاسلامى المتاخمة للحدود البيزنطية • ونعنى من هذه القوى بالذات دولة الحمدانيين فى الموصل وحلب ، والاخشيديين فى مصر وجنوب الشام ، ثم الفاطميين من بعدهم •

والحق أن منطقة الثغور الاسلامية — البيزنطية ، شهدت معارك طاحنة ، خاضها الطرفان دفاعا عن مصالحه • بحيث يمكن القول أنه لا يوجد منطقة ثغرية ، أو مناطق حدود ، شهدت مثل ما شهدته منطقة الثغور الاسلامية البيزنطية على مدار التاريخ ، وبصفة حادة وقوية فى القرن الرابع الهجرى • ولعل هذا ما دفعنى لتخصيص الدراسة وحصرها فى القرن الرابع الهجرى • لاننى اعتبرها — والى حد ما — احدى حلقات الحروب الصليبية الموجهة ضد عالم الاسلام •

وقد تناولت هذه الدراسة من خلال تمهيد وأربعة فصول ، دعمتها بالخرائط •

فتحدثت فى التمهيد عن الحدود العربية البيزنطية ، ذاكرا أهمها • ثم تكلمت فى الفصل الأول عن الاوضاع السياسية فى أرمينية بين القرنين الثالث والرابع الهجريين • وذلك لأن بيزنطة حاولت التصدى للوجود الاسلامى هناك ، بل حاولت تصفية الحساب مع المسلمين على أرض أرمينية باعتبارها جبهة أمامية ، وهو ما لم يتحقق لها ، حيث باءت محاولاتها جميعا بالفشل • وقد تحدثت فى هذا الفصل عن بنى الساج فى أرمينية وأذربيجان باعتبار أنهم كانوا القوة الرئيسية المؤثرة سياسيا هناك وقتئذ (٢٦٦ — ٣١٨هـ/٨٧٩ — ٩٣٠م) •

ثم تكلمت عن **الامارات العربية فى أرمينية** وعلاقاتها بالأمراء الأرمن، ودورهم فى مواجهة أو تأييد التحركات البيزنطية ضد الوجود الاسلامى على أرض ارمينية • وتكلمت عن **الممالك الأرمينية فى مستهل القرن الرابع الهجرى** وأوضحت دورها فى مواجهة محاولات التدخل البيزنطية ضد المسلمين ، تحت دعوى حماية مصالح الشعب الارمينى •

وفى الفصل الثانى تحدثت عن الحمدانيين وجهادهم ضد الروم فى الثغور الجزرية والسورية بين سنتى ٣١٩ و ٣٣٣هـ/٩٣١ — ٩٤٥م، وهى الفترة التى يسميها المؤرخون الأجانب الفترة « الميزوبوتامية » ، بسبب دوران رحى الصراع أبانها على أرض اقليم الجزيرة (مابين النهرين) • وقد قسمت حديثى فى هذا الفصل الى قسمين :

أولا : مرحلة المواجهة الأولى فى الثغور الجزرية وأرمينية (٣١٩ — ٣٢٣ هـ) •

ثانيا : مرحلة المواجهة الثانية فى الثغور الجزرية وأرمينية بين سنتى ٣٢٤ و ٣٣٣ هـ وهى ما تسمى بفترة ما قبل سيف الدولة •

ثم تناولت فى **الفصل الثالث** مرحلة الصراع البيزنطى ضد العالم الاسلامى من ٣٣٣ هـ حتى ٣٥٦ هـ (٩٤٤ — ٩٦٧ م) وجعلت عنوان الفصل هو : « **سيف الدولة وجهاده ضد الروم فى الثغور الاسلامية** » • وقد سار الصراع البيزنطى ضد المسلمين آنذاك على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : اتسمت بمحاولات سيف الدولة حماية الثغور الاسلامية (٣٣٣ — ٣٤٣ هـ) •

المرحلة الثانية : الانقضاض البيزنطى على مناطق الثغور ، وبداية أفول نجم سيف الدولة وهى تشمل الفترة من ٣٤٣ هـ حتى ٣٤٩ / ٩٥٤ — ٩٦٠ هـ •

والمرحلة الثالثة : محاولات الروم انهاء الوجود الاسلامى كلية

من مناطق الثغور الشامية ، وهى تشمل الفترة بين سنتى ٣٤٩هـ و ٣٥٦هـ (٩٦٠ — ٩٦٧م) ، أى حتى وفاة سيف الدولة الحمدانى بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم فى مناطق الثغور •

بعد ذلك تناولت بالحديث فى **الفصل الرابع** الفترة التى جاءت بعد خلو المسرح العسكرى والسياسى فى بلاد الشام من شخصية سيف الدولة الحمدانى وجعلت عنوانها : « **جهاد المسلمين ضد الروم فى النصف الثانى من القرن الرابع** » فيما بين سنة ٣٥٦ هـ و ٣٩٤هـ / ٩٦٦ — ١٠٠٣ م أى حتى سقوط دولة الحمدانيين فى بلاد الشام •

وفى هذا الفصل تحدثت عن خلفاء سيف الدولة وموقفهم من الروم • كما أوضحت موقف الخلافة العباسية والقوى الاسلامية الاخرى من الاحداث الدائرة ، على مسرح المواجهة — بين المسلمين والروم — فى بلاد الشام • ونتائج هذا كله على العالم الاسلامى عامة ، موضحا العوامل التى ساعدت على تمكن الروم من رقاب المسلمين آنذاك •

ثم ختمت الكتاب بخلاصة استنتاجية لما سبق دراسته من تطورات وأحداث بين المسلمين والروم •

وقد زودت الكتاب بثبت للخلفاء العباسيين ، وآخر لأمراء الحمدانيين فى الموصل وحلب ، وثالث للأباطرة البيزنطيين ، وذلك ليسهل على القارىء متابعة وربط الأحداث •

كما وضعت فيه خرائط توضح أماكن الثغور الاسلامية فى الجزيرة وبلاد الشام ، ومناطق الثغور البيزنطية ، وذلك ليسهل على القارىء معرفة الأماكن والبقاع الوارد ذكرها فى ثنايا الكتاب •

وبعـــــــد ...

فهذا جهد المقل ، وأدعو الله أن أكون قد وفقت فى القاء الضــوء على احدى الحقب التاريخية التى شهدت صراعا داميا ورهيبا ، قاده الروم ضد المسلمين فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، وهى فترة هامة فى تاريخ العالم الاسلامى ، لما تخللها من مظاهــر عـــديدة متباينة سياسيا وعسكريا فى كل من العالمين الاســـلامى ، والبيـــزنطى (المسيحى) ، فى شرق البحر المتوسط .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد ، ليستبين للمسلمين مواطن الضعف فيتجنبوها ، ويتلمسوا مواضع القوة وأسبابها ، فيسعوا اليها ليتزودوا بها ، وما أظنها الا فى اعتصام المسلمين بدينهم — المــورد والمصــدر الرئيسى لقوتهم — وأن يكونوا كما قال الله فى صـــفات من مع نبيـــه محمد ﷺ « أشداء على الكفار رحماء بينهم » .

والله المستعان ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

المؤلف

صـــابر ديـــاب

٢٧ رمضان ١٤٠٤هـ

٢٧ يونيو ١٩٨٤م

التمهيـــــد

الحدود العربية ــ البيزنطية

تمهيد

الحدود العربية ـ البيزنطية

١ ـ عن البنود البيزنطية بين القرنين التاسع والعاشر الميلاديين :

نالت منطقة سوريا والفرات اهتماما بالغا لـدى الرومان منـذ فتحهم لها ، بحكم موقعها الجغرافى ، ومتاخمتها لأعـداء الـدولة فى الشرق . وكانت القواعد العسكرية الرئيسية بشمالى سوريا فى مراكز مثـل : انطاكيـة واللاذقيـة وكيرهـوس (قـورس Cyrrhus والاسكندرونة Alexandrette [١] .

وقد قنع الرومان باعتبار جبال آسيا الصغرى الشرقية ، وبادية الشام تشكلان حاجـزين طبيعيين ملائمين . واكتفـوا ـ فى هـذه المناطق ـ بانشاء قلاع موزعة فى مواقع معينـة ، لحماية الطـرق ، والجسور ، والممرات الطبيعية . وبذا أصبح حدهم الشرقى منطقـة مراقبة محصنة تبدأ عند طرابيزون ثم تتجه جنوبا حتى مجرى الفرات الأعلى ، فمصب الخابور ، فحدود البادية حتى العقبـة . وكان خط الدفاع الممتد نحو ٨٠٠ كم ـ بين قرقيسيا عنـد مصب الخابور وبين العقبة ـ يتألف من طريق معبدة موازية للحدود ، محمية من الجانبين بأبراج كثيرة عند مفارق الطرق . وكانت تدمر ، ودمشق ، والبتراء ، تدخل بقلاعها وحصونها والطرق الموصلة اليها فى هذا الخط الدفاعى[٢] .

---

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٧٥/٨٧ وعنه راجع :

Chapot : La Frontiere de l'Euphrate de Pompée a la Conquete Arabe, pp. 71 - 77.

(٢) اسد رستم : الروم ج ١ ص ١٩١ ـ ١٩٣ . و
Bury : Hist. of Later Rim. Emp. I, p. 945.

وقد والى الرومان والبيزنطيون اهتمامهم بتحصين المدن الهامة فى سوريا ، فبنوا لدمشق — مثلا — سورا أحاط بها منذ مستهل القـــرن الثالث الميلادى[١] • ثم اضطرت الدولة البيزنطية — فيما بعـــد القرن السابع الميلادى — الى اتخاذ وسائل حاسمة لحماية حدودها الشرقية لمواجهة هجمات كل من الفرس ، والعـــرب (المسلمون) • وزاد من أهمية هذه الوسائل ظهور القوة البحرية للدولة الاسلامية ، وتفوقها الظاهر فى أمواه البحر المتوسط ، لدرجة هددت الروم فى منطقة آسيا الصغرى نفسها ،وجزر الارخبيل ، وايطاليا ، وصقلية معا[٢] •

لذلك أقام الروم نظام البنود (الثيمات) البيـــزنطي • فظهـــر فى الشرق أربعة أقسام بيزنطية عسكرية حملت فيما بعد اسم البنـــود (الثيمات) Thema وهى بند ارمينية (Armeniaci / Armeniacoi) شمالى شرق آسيا الصغرى عند الحدود الارمينية ، وبنـــد الاناضول (Anatolikoi) وبنـــد الاوبسيكون (Opsikion) فى آسيا الصـــغرى حول بحـــر مرمـــرة لحمـــاية العاصـــمة البيزنطية ، والبند البحـــرى كرافيزيوناروم (Caravisionarum) أو كبيرايورت أو كيرهايوتس (Cibyraiotte) على الشاطىء الجنوبى لآسيا الصـــغرى والجـــزر المجـــاورة • وكان قادة البنـــود يســـمون استراتيجوى (Strategoi) مما يدل على الطابع الحربى لهذه البنود[٣] •

وفى مستهل القرن الرابـــع الهجرى كان تنظيم أقاليم الحدود البيزنطية يعتمد على تقسيم الاقليم البيزنطى الى دوائر اقليمية كبيرة يحكمها قائد عسكرى يسمى « استراتيجوس » يجمع فى يده السلطات المدنية والعسكرية معا • وكانت هذه الدوائر الاقليمية تسمى لواءات أوثيمات (Themes) أو ايالات • وهى كلمة كانت تطلق فى البـــداية على

---

(١) أسد رستم : الروم ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ج ١ ص ٩٠ .

(٣) راجع العدوى : دراسات فى التاريخ البيزنطى (مقال بالمجلة التاريخية م ٢ ع ٢ أكتوبر ١٩٤٩) .

وحدة عسكرية كبيرة ، مستقرة فى منطقة ما ، تتكفل بالدفاع عنها [١] .

وكان الثيم (اللواء) ينقسم الى وحدات (Turmes) (وحـــدات تكتيكية) على رأس كل منها Turmarque (أى قائد وحدات ، يحـــكم مجموعة من الوحدات التكتيكية (Turmes) . هناك بعض مناطق لهـ أهمية خاصة لانها تحرس ممرا جبليا (Clisure, Kleisura) وتتكفل بنع العدو من اجتيازه ، هذه أخرجت من مجموعة الثيمات ومنحت مرتبـــة Cleisurarchies المستقلة [٢] .

وكما أن القسمين الكبيرين الأولين للحدود الشرقية وهمـــا لواء (ثيم) الارمنيـــاك (الارمن) Armeniaques ، ولـــواء الأناضـــول (anatoleques) جزءا مكونا من عدة لواءات جديدة . فكذلك انفصلت من هذا اللـــواء (الثيمات) وحـــدات من نـــوع الـــ Cleisurarchies وحولت بالتالى الى ثيمات [٣] .

على هذا النحو شهد القسم الأخير من القرن التاسع ، وأوائل القرن العاشر الميلاديين ، ظهور ثيمات (لواءات) جديدة على الحدود ، لم يكن من السهل فى كل الأحوال تحديد تواريخ ظهورها . ولكن ظهر بعضها فى عهد الامبراطور ليو السادس (الحكيم) (٨٨٦ — ٩١٢م) وكانت اسماؤها شـــائعة طوال القـــرن الـــرابع الهجـــرى (العاشر الميلادى) [٤] .

وكانت قوات الثيمات (الحدود أو الثغور) — أو كمـــا عـــرف بالجيش الثيماتى (الثغرى) — المكلفة بالدفاع عن الحـــدود بصـــفة دائمة ، الى جانب عمليات أخرى محدوده — تنضم لتنفيذ عمليـــات على نطـــاق واســـع ، الى مجموعـــة من القـــوات تســـمى تاجمـــاتا

---

(١) Canard : Hist. de la Hyn. des Hamd., P. 727.

(٢) Canard : Ibid., P. 727.

(٣) Canard : Ibid., P. 727.

(٤) Brehiere : Le Monde. Byzantine, II, P. 121.

Tagmata أو Tagmes ، وكانت تقيـــم فى القسطنطينيـــة مشـــكلة الحرس الامبراطورى • وكانت التاجماتا هذه من أشد وحدات الجيش البيزنطى صلابة • أما قائد التاجماتا — الاسكول - Scholes — ويسمى الدومستيق Denestique ، فقد تقدم فى النهاية على سائر القـــواد العسكريين • وذلك رغم انه كان حتى القرن العاشر الميلادى — نظريا — أدنى مرتبة من الاستراتيجوس على لواء الأناضـــول • وقـــد ظهـــر الدومستيق فى القرن العاشر ، قائدا عاما ، تسند اليه ادارة العمليات الهامة على الجبهة الشرقية (الاسلامية) بصفة رئيسية فى حالة عـــدم قيام الامبراطور بادارة هذه العمليات بنفسه[١] •

على هذا الاســـاس كانت ثيمـــات وكليسورارشـــيات الجبهـــة البيزنطية من الشمال الى الجنوب[٢] هى :

١ — **خالديا أو كالديا** Chaldia عاصـــمة طرابـــزون • وكان اقليمها يمتد حتى جوار وادى الفرات الاعلى تجاه كيليكيا (قاليقلا) ، وكانت جزءا من كلترين Keltzène قبل أن تندمج كلترين فى لـــواء الميزوبوتاميا (ما بين النهرين) •

٢ — **كولونيا** Coloneia وعاصـــمته بنفس الاســـم • وهى متفرعة من لواء الأرمن (الأرمنياق) Armeniaques وقد امتـــدت هذه أيضا حتى الفرات . وربما الى ما بعده قليلا • وكان هذا الثيـــم يشمل فى البداية كمخ Kamakh التى ضـــمت بعـــد ذلك الى لـــواء الميزوبوتاميا •

٣ — **ميزوبوتاميا (بين النهرين)** : يقع فى الجنوب الشرقى من اللواءين السابقين • وهو يقع بين الفرات — قره صو — ونهر ارسناس

---

(١) Brehier : Monde. Byzantine. II. P. 121, 353.
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 728.

(٢) Brooks E.W. : Arabic Lists of Themes. P. 67.
(J. of Hellenic Studies, 21, 1901).

Arsanas • ومن ثم كان اسمها — وهو لا علاقة له بالجزيرة أو العراق فى منطقة درسم Dersim الحالية • وقد تشكل هذا اللواء باقليم دجيق Degik — أو تكيس Takes — الذى تنازل عنه مانويل الارمنى للامبراطور ليوا السادس (الحكيم) (١) •

وقد ألحق بهذا اللواء أو الثيم التيرمان — أى الوحدتان — المكونتان من كلتزين وكمخ (كمكا) Camacha أو Kamach الذى كان تابعا فى البداية للوائى كالديا وكولونيا •

أما لواء تشمنشجزيك Tchinichgezek على الضفة اليمنى للنهر الذى يحمل نفس الاسم ، فكانت تابعة لاقليم خوزن Khozen الشرقى •

٤ — سمسياط (سبسطية) Sebastiea وبها عاصمة بنفس الاسم — وهى نفسها سيواس Siwas — وهذا اللواء (الثيم) كان تابعا فى البداية للواء الارمنياك (ق) ، الذى كان ملحقا به أقاليم منطقة أبرا Abara التى كانت تعرف فيما مضى باسم بوليشية Paulicienne ولا يعرف موقعها تحديدا • وكانت تمتد حتى عقفة نهر الفرات • اذ كانت (أبرا) على طريق سبسطية — ملطية ، عبر وادى فورتس QuruTchai (نهر جر جاريا) فى الشمال الشرقى من منطقة « حسن بطريق » • ويتبعها أيضا غربى هذا الموضع ، وجنوبى سيواس ، ولاريسا Larissa ، التى كانت على ما يحتمل ، فى منطقة نهر تخمة صو الأعلى Tokhama Su (٢) •

٥ — خارسيان (خرسيون أو خرشنة) : Charsiane

هذا اللواء تكون أيضا من تجزوء لواء أرمينيا (الأرمنياق) ، ولم يكن — على ما يبدو — متصلا بخط الحدود ، فى عصرنا الذى نحن

---

(١) Brooks, E.W. : Arabic Lists of Themes, P. 67 etc. and Canard : Hist, de la Hyn. des Hamd., P. 728 - 729.

(٢) Canard : Ibid., P. 729, Brehier : Le Monde Byz. II, P. 353.

بصدده ، الا من عند طرفه الجنوبى • وكان القسم الأكبر منه فى منعطف نهر هاليس Halys وفى الشمال يمتد شرقا على ضفة نهر هاليس العليا حتى صارخه Cârikha ، التى كانت على مسيرة يومين من كمكا (كمخ) والتى كانت تعتبر — فى منتصف القرن التاسع الميلادى — قلعة من قلاع لواء خارسيان (خرسيون) • وفى قسمه الشرقى كان اللواء مفصولا عن خط الحدود الصحيح بلواء ليكاندوس • أما قيصرية مازكا Cesaree Mazaka ، التى كانت جزءا من كبادوكيا فى البداية ، فانها التحقت فى هذا العصر بلواء خرسيون (خارسيان أو خرشنة)[١] •

٦ — **ليكاندوس** Lykandos : تكونت فى عهد ليو السادس فى المنطقة الواقعة شمالى عربسوس Arabissos ، حيث تلتقى بثلاث قنوات مائية ، فتكون نهر جيهان • وقد جعلت لواء فى مستهل عهد زوى Zoe وقسطنطين بورفيروجنتس (٩١٣ — ٩٥٩م) وقد سرد قسطنطين تاريخ انشاء هذا اللواء سردا تفصيليا[٢] • وكان يتبع اللواء أيضا من ناحية الغرب تزامانادوس Tzamanados ، والاقليم المسمى « صحراء سمبوزيون » الذى يذكر كنارد نقلا عن هونجمان أنه فى منطقة نهر تخمه صو الأعلى ، ومن الصعب تعيين حدود اللواء بالضبط »[٣] •

وكان تنظيم هذا اللواء وتهيئته لاغراض الدفاع — باعتباره موقعا شديد الأهمية — يرجع الفضل فيه الى القائد البيزنطى ملياس المعروف عند العرب باسم مليح الأرمنى ، الذى تذكره المصادر العربية والسريانية بتاريخ ٢٩٩ هـ / ٩١١ — ٩١٢ م على أنه صاحب قلعة هى اما قلعة

---

(١) Brookes : Arabic Lists of Themes, P. 69 +
Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 729.
وراجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية : ٢٠٥ — ٢٢٥ .

(٢) راجع قسطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamh., P. 730

تزامندوس Tzamandos أوليكاندوس[1] • وقد سماه العـرب باسـم « صاحب الدروب » ، أى سيد منطقة المضايق (الدروب)[2] • وقد ورد ذكره فى حملات ٩١٥ م ٣٠٢/٣٠٣ هـ و ٩٢٨ م ٣١٦ هـ • ومات عام ٩٣٤م — ٣٢٢هـ[3] • وكانت ليكاندوس وتزامندوس أيام الحمدانيين تتبعان طريقا واحدا[4] •

٧ — **كابادوكيا** : أو على الأصح كابادوكيا الصغيرة — Mikra Kappadokia

وكان هذا اللواء — فى البداية — كليسورارخى أو وحدة فى لواء الاناطوليك (الاناضول) • وكان فى قسمه الجنوبى ملاصقا للحـدود• عند مخرج بوابات كيليكيا Pyles Calyiennes

وكان يتبع كابادوكيا الصغيرة — فيما مضى — بعض المواقع التى فصلت منها ، ربما حينما صارت لواءا • من هـذه المواقع : قيصرية ، ونيسا Nyssa • أما عن الأماكن المجاورة لمخرج بوابات كيليكيا وهى رودنتن Rhodnton (فراشـة) ولولن Lulon — أو لؤلؤه — وحتى بودندوس Podandos بداخل المرتفعات ، فان بورفيروجنتس يذكر بأنها واقعـة على حدود اللواء (لواء كبا دوكيا)[5] ، وان كل ما هو موجود على الجـانب الآخر يتبع كيليكيا • وربما كانت هذه المناطق تكون وحدات مستقلة • وفى هذه الحـالة فان اللواء لم يكن يمتـد شرقا حتى طورس • أما من الناحية الشمالية فان اللواء كان يضم منطقة المطامير (وهى مساكن فى الكهوف) التى ورد ذكرها عند ابن خرداذبه •

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ٢٢٨٦/٣ — ٢٢٨٧ وعريب ، صلة الطبرى ٣٦ و قدامة بن جعفر : كتاب الخراج •

(٢) راجع ابن الأثير : الكامل ٣١٦/٨ •

(٣) راجع ابن الأثير : حوادث ٣٠٢ ، ٣٠٣ و ٣١٦هـ ٣٢٢هـ •

(٤) Canard : Hist de la Dyn. des Hamd., P. 730.

(٥) راجع بوفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣١ و ١٨٩/١٩٠ والخرائط فى آخر الكتاب •

٨ ـ **لـواء سيلوقيــة** Séleukeia : يقع غربى كيليكيا العربية ونهر اللامش المار على الحدود الاسلامية ـ البيـزنطية . ولم تـكن سيلوقية حتى عهد ليو السادس لواء أوثيما . وانمـا كانت وحـدة حاضرتها مدينة سيلوقية الواقعة على نهر كاميكادنس Calycadnus [(١)]

عن البنود البيزنطية فى المصادر العربية :

ناجز المسلمون الروم فى الشام ، ودارت الحـرب سـجالا بين الفريقين عبر ممرات جبال طوروس . وعرف المسلمون شيئا مذكورا عن نظم الادارة والحرب عند عدوهم . من ذلك ما كتبه ابن خرداذبه ـ الذى ألف كتاب المسالك والممالك حول ٢٣٢ هـ (٨٤٦ م) ـ نقلا عن « مسلم بن ابى مسلم الجرمى » ان اعمال الروم التى يوليهـا الملك عماله ١٤ عملا[(٢)] .

ثم جاء قدامة بن جعفر بعد ابن خرداذبه ـ حـوالى ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م ـ فأورد قائمة بأعمال الـروم ، خـالفت النسق الوارد ـ فى كتاب ابن خرداذبه ـ سواء فى الترتيب أو فى بعض التسميات . فالعمل الذى نقله ابن خرداذبه عن قائمة الجرمى « طافلا » سـماه قـدامة « طايلا » وسمى الافطى ماطى باسم « الابطباط » وجعـل اسـم الناطلوس « الناطليق » ، كما أورد قدامة أيضا اسم خرشنة مقابلا لاسم خرسيون عند ابن خرداذبة ، وسمى خالديا باسم الخالدية[(٣)] .

كما ذكر قدامة ان القوة البيزنطية المرابطة فى كل بند أو عمـل كانت ما بين أربعة آلاف وستة آلاف رجل ، عدا عمل فلاغونية الذى

---

(١) Canard : Hist de la Hyn. des Hamd., P. 730 - 731.

(٢) ابن خرداذبة : المسـالك والممالك ص ١٠٥ ـ ١٠٨ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١٠٤/١ ـ ١٠٦ .

(٣) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ملحق بابن خرداذبة ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ (ضمن مجموعـة ذى غويـة : المجموعة الجغرافية العربية Bibl. Arab. — Geogr. ط . بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م) .

كان يرابط فيه عشرة آلاف ، وعمل الناطليق (الناطلوس) حيث رابط خمسة عشر ألفا لاهميته واتساعه . أما العاصمة فكان فيها نحو ٢٤ ألف[1] .

هنا ، ويذكر اليعقوبى أن « جميع جيش بلاد الروم من الجند الموظف على الرساتيق والقرى أربعين ألف فارس ، وليس فيهم مرتزق ، وانما هم — حينئذ — رجال يخرجون مع بطريقها وقت الحرب . فبعض البنود مثل خرشنه (خرسيون) وسلوقية قوتها ٥٠٠ فارس ، وتراقية قوتها ٥٠٠٠ فارس ، بينما كانت قوة مقدونية ٣٠٠٠ فارس »[2] . بينما يورد ابن خردانبة « أن ديوان الروم مرسوم على ١٢٠ ألف رجل . وهناك ست بطارقة فى العاصمة ، وستة فى الأعمال عمورية وأنقرة والأرمسينياق (أرمينية) وتراقية ، وصقلية وسردينية » ، ويذكر أيضا أن « .. الخيل المقيمة على باب الملك (الأمبراطور) أربعة آلاف فارس ولمعسكر الملك مقيما كان أوراحلا — أربعة بنود عليها أربعة بطارقة فى الخيل ، كتيبه كل واحد منهم اثنا عشر ألفا : ستة آلاف مرتزق وستة آلاف شاجرد . فان خرج الملك نحو بلاد العرب عسكر بدروليه على مسافة أربعة أيام من قسطنطينية وهو مجمع العرب والروم[3] .

أما المسعودى (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) فيذكر لنا قائمة معدلة معرفا البنود بقوله : « أرض الروم واسعة فى الطول والعرض ، آخذة فى الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة فى قديم الزمان على أربعة عشر قسما ، وأعمال مفردة تسمى البنود — كما يقال اجناد الشام : كجند فلسطين وجند دمشق ، وجند حمص ، وجند قنسرين — غير أن بنود الروم أوسع من هذه الاجناد وأطول . وهناك تسعة بنود دون الخليج ،

---

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج ص ٢٥٨ .

(٢) اليعقوبى : البلدان (ملحق بالاعلاق النفسية لابن رسته) ص ٣٢٣ .

(٣) ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ١٠٩ — ١١١ وللمزيد عن تنظيم فرق الجيش البيزنطى : راجع بينز : الامبراطورية البيزنطية ص ١٧١ — ١٧٣ .

مما يلى الثغور الشامية والجزرية وغيرها من بلاد الاسلام ، والتسعة الباقية من البنود وراء الخليج متصلة بالقسطنطينية[١] •

٢ — مناطق الثغور والعواصم فى الدولة الاسلامية : (بين القرنين الثالث والرابع الهجريين) •

(أ) الثغور[٢] :

يعد اقليم الثغور خطوة جديدة وهامة فى التنظيم الادارى للدولة الاسلامية • وقد رأى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ) فصله عن جند نسرين ، لتأمين الحدود الاسلامية ، على غرار منطقة الاطراف البيزنطيـــة التى كان يحكمهـــا حكـــام الثغور (كليسوريارخى Kloisuriarchs)[٣] •

وقـــد كانت الحدود بين المســـلمين والروم حتى العصر العباسى الأول تتـــألف من سلسلتى جبـــال طـــوروس ، وطوروس الداخليـــة Anti-Taurus وكانت الثغور تمثل خطا طويلا من القـــلاع يحمى ما وراءها • ويميل من ملطية على الفرات الأعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط • وقد تبودلت هذه القـــلاع بين المســـلمين والروم ، فكان الفريقان فيها بين كر وفر[٤] • وينقسم خط القلاع هذا الى مجموعتين : احداهما تحمى الجـــزيرة وتسمى الثغور الجزرية ،

---

(١) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٥٠ — ١٥٣ .

(٢) الثغور : مفردها ثغر . وهى كل موضع قريب من ارض العدو . وهو مأخوذ من الثغرة أى الفرضة أو الفرجة فى الحائط . ومنه ثغر الشام ، وجمعه ثغور الشام . وهو يشمل بلادا كثيرة . ومن اهم المدن الثغرية ببلاد الشام : بياس ، المصيصة . عين زربة ، اذنه (اطنه) طرطوس ، الجوزات، اولاس ، الكنيسة السوداء ، الهارونية ، انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٦ و جـ ٦ ص ٢٣٦ — ٢٣٧ والبلاذرى : فتوح البلدان .

(٣) فتحى عثمان : الحدود — الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣١ .

(٤) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد) ص ١٦٠/١٦١ ،
Canard : Hist. de ta Dyn. de Hamd., P. 241 - 2.

وهى الشمالية الشرقية • والثانية تحمى الشام وتسمى الثغور الشامية وهى الجنوبية الغربية[1] •

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهسنا ، والحدث ، ومرعش ، والهارونية ، والكنيسة ، عين رزبة • ومن الثغور التى تحمى الشام — وكانت قرب الساحل الشمالى لخليج اسكندرونة — : المصيصة ، وأذنه ، وطرسوس[2] •

أما لفظة « العواصم » فالمقصود بها سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية ، بطرقها الحربية • وسميت عواصم « لأنها كانت تحمى أو تعصم الحدود وتعينها على صد غارات الروم • ولذلك تتميز عن الحصون الشمالية الخارجة الملاصقة للحدود البيزنطية المسماة بالثغور •

ولم تكن الحدود الاسلامية البيزنطية خطا مفردا ، وانما كانت تخومها غير محدودة وليست ثابتة • تمتد على عمق كبير أو يسير مسايرة فى معظمها منحنى جبال طوروس ما بين البحر المتوسط حتى سلسلة طوروس الأرمينية • وكانت أرمينية تعد اقليم حدود بيزنطى ، وبخاصة منذ بداية القرن العاشر الميلادى (أواخر الثالث الهجرى) اذ ان الجزء الغربى من أرمينية فيما بين الفرات وأرسناس كان قد غدا اقليما بيزنطيا • وكان لدى المسلمين — فى المؤخرة — ممر حر يخترقونه فى أرمينية حتى منطقة قاليقلا (ثيودوسيوبوليس أو أرضروم) التى فتحوها ، وارتبطوا مع أهل تلك البقعة — التى يخترقها الممر — بعهد يضمن لهم حرية المرور[3] •

وقد عدد قدامة بن جعفر الثغور المختلفة ، التى تضمنتها مناطق الحدود بين المسلمين والروم ، وفرق بين الثغور والعواصم فقال :

---

(١) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣٢ •

(٢) فتحى عثمان : المرجع السابق جـ ١ ص ١٣٢ •

(٣) Canard : Ibid, 242.

« ان الثغور المقابلة لبلاد الروم — منها برية تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر ، ومنها بحرية تلقاه وتواجهه من جهة البحر ، ومنها ما يجتمع فيه الأمران • • وعواصم هذه الثغور وما وراءها الينا من بلدان الاسلام ، وانما سمى كل واحد منها عاصما لأنه يعصم الثغر ويمده فى أوقات النفير ، ثم ينفر اليه من أهل أنطاكية والجومة والقورس »[١] •

والجدير بالذكر أن اتساع نطاق الدولة الاسلامية وفتوحاتها ، أدى الى لفت أنظار المؤرخين المسلمين الى أهمية الجغرافية فى دراساتهم • فقدم البلاذرى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) فى كتابه فتوح البلدان ايضاحات جغرافية قيمه • كما مزج المسعودى (ت ٣٤٥هـ/٩٥٦م) فى كتابه التنبيه والاشراف بين التاريخ والجغرافية العلمية • فنراه يقدم ببيان لشكل الأرض ، ومواقع المدن ، والظواهر الجغرافية الهامة والمحيطات والانهار والجزر والبحيرات والمبانى وما أصاب الأرض من تغييرات طبيعية وما الى ذلك[٢] •

على أى حال ، فان الثغور الجزرية والشامية ترتكز الى أرض الجزيرة فى شمال العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى • كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقى بأرمينية ، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى ، ويقع الى الغرب منها ساحل البحر المتوسط الذى سماه العرب « بحر الروم » • وكان اقليم الجزيرة وشمال الشام يمثلان وحدة تتمم بعضها بعضا ، من حيث ارتباط حصونهما وتعرضهما لاغارات البيزنطيين • والجزيرة هى المنطقة الشمالية الخصبة بين دجله والفرات ، وتمتد الى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس كما تمتد الى جبال فارس[٣] •

---

(١) قدامة بن جعفر : نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب ص ٢٥٣ (ملحق بابن خرداذبة ضمن المجموعة العربية الجغرافية ، نشر دى غوية ط : بريل ، ليدن ، ١٩٦٨م) •

(٢) Rosenthal : A Hist. of Muslim Historiography, P. 94-96.

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٣٦، ١٤٢ •

وقد تهيأ — لاقليم الجزيرة — بحكم موقعها الجغرافي المتوسط ، وكونها معبرا بين العراق والشام والامبراطورية البيزنطية وأرمينية واذربيجان ، وبحكم أنهارها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية ومدنها الاهلة — أن تكون ذات أهمية خاصة بين اقاليم الخلافة العباسية • فقد كانت الجزيرة — مع العراق — بمثابة جسر أرضي يصل بين طرق المواصلات البحرية فى جنوبى آسيا وطرق المواصلات البحرية فى جنوبى أوربا ، وذلك بحكم الموقع بين البحر المتوسط والخليج الفارسى • وكانت أهميته فى العصر العباسى كبيرة بالنسبة لتجارة الشرق والغرب[١] •

أما بلاد الشام فتكون معبرا بين البحر المتوسط والصحراء • ويدعوها البحر تارة للتجارة والملاحة ، فى حين تخط دروب جبال طوروس ممرات نحو آسيا الصغرى حيث الدولة البيزنطية • كما يفتح وادى الفرات طريقا للشام نحو الخليج الفارسى • وحد الشام « من الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية ، أما عرضها فمن جبل طيء — من نحو القبلة الى بحر الروم • • وبها من أمهات المدن : منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس والمعرة[٢] •

حلب Aleppo : فى جبهة الحدود الاسلامية البيزنطية :

(أ) **حلب** : يشير الاصطخرى وابن حوقل الى أهمية موقع حلب « عاصمة اقليم قنسرين على مدرج طريق العراق الى الثغور وسائر الشامات »[٣] وتجارتها رائجة وأهلها أثرياء • • • وهى مدينة

---

(١) راجع : د. عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ٢٠٧/١ — ٢١٠ وجاسم الخلف : محاضرات فى جغرافية العراق ص ٨ — ١٦ و ٣٨٨ — ٣٩٠ و Canard : Ibid., P. 143. وابن عبد الحق : مراصد الاطلاع ٢٧/١ ، ١٠٦ وفتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ١٤٢/١ — ١٥٩ ، وجود فروى ديموميين : Le Monde Musluman, P. 40.

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية : ١٦٠/١ •

(٣) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ وابن حوقل : صورة الأرض •

حدود ، ومدينة اتصـــال . تلتقى بمنطقتها الوحدات الكبرى : سوريا وبلاد الرافدين والاناضول ، وتجتمع فى ارجائها مجموعات عرقيه هامه . وهى من اقدم المدن فى المنطقه[1] . قال فيها المقدسى[2] : « أما حلب فبلد نفيس ، خفيف ، حصين ، مبنى بالحجارة ، شربهم من نهر قويق يدخل الى البلد » . ولحلب سبعة أبواب حاول « لى سترانج » تحقيق اسماء الأبواب السبعة لحلب ومواضعها[3] ، وهذه الأبواب السبعة هى : **بــاب حمص** (الآن يســمى بــاب المقــام نسبة لمقــام ابراهيم) ، **باب الرقة** ، **باب قنسرين** وهو فى الطرف الجنوبى من الحائط المغربى وقد بنـــاه سيف الدولة الحمدانى ، باب اليهود (حاليا باب النصر) ويقوم هناك حى اليهود ، **باب العــراق** (أو باب نيرب كمــا سماه Russel) ، بــاب دار البطيخ (لعله باب الجنـــان عند رسل وهو فى الحــائط الغربى الى الشـــمال بقليل من باب أنطاكية ، **وباب أنطاكية** وهو ينفتح وسط الحــائط الغربى الى الشمال من باب قنسرين وبينه وبين باب الجنان[4] .

وأهم مدن حلب كما يذكر المقدسى (ص ١٥٥) هى : أنطاكية ، بالس ، السويوية سميساط ، منبج ، بياس ، التينات ، شيزر ، وادى مرعش ، اسكندرونة ، أجون ، رفنية ، جوسيه ، حماة ، شيزر ، وادى بطنان ، معره النعمان معره قنسرين . وهذا التعداد تدخل فى مدن تعد من الثغور والعواصم . ويذكر لى سترانج أن افراد الرشيد (١٧٠ — ١٩٣هـ) العواصم كأقليم منفصل ، جعل جند قنسرين مقصورا على البلدان المحيطة بقنسرين وحلب ، مع اقليم المعرتين وسرمين[5] .

---

(١) راجع ســليمان عادل عبد الحق وعبد العزيز عثمان : نزهات اثرية فى سوريا ص ٨٣ — ٨٥ .

(٢) المقدسى : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم .

(٣) Le Strange : Pa'estine Under the Moslems, P. 360-7 + Canard : 220 - 224.

فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢١٩/١ — ٢٢٠ .

(٤) راجع : Russte : Natural Hist., of Aleppo.

(٥) Le strange : Ibid., P. 36.

ب — العواصم :

١ — منبج Hierapolis

أهم العواصم هى : منبج ، وقد لعبت دورا تجاريا ودينيا هاما منذ القدم ، وظلت محتفظة بأهميتها فى العصور الوسطى بحكم موقعها كنقطة اتصال بين الثغور الجزرية والشامية ، ومجاورتها للفرات وحلب . ولم تقتصر مهمة منبج على حماية مواقع الحدود . بل اضطلعت بمراقبة صحراء الشام فى الجنوب حتى منطقة بالس . وبين منبج وبين الفرات ٣ فراسخ(١٢ ميلا تقريبا)، وبينها وبين حلب ١٠ فراسخ (٤٠ ميلا) وهى — كما قال ابن حوقل — قريبة الى الثغر منها الى الفرات مرحلة خفيفة ، والى قورس مرحلتان ، والى ملطية أربعة أيام[١] :

٢ — **قسايا** : بين منبج وحلب . وهى من أعمال منبج فى جهة قبلتها قرب وادى بطنان .

٣ — **بقعاء العيس** : من كور منبج ، وبقعاء ربيعة من كور منبج أيضا .

٤ — **بالس** : فى غربى الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب وهى تسمى Barbalissus عند الرومان . وكانت فرضة عظيمة لاهل الشام على الفرات ، ولذلك كانت مركزا لكثير من القوافل . قال عنها الاصطخرى « هى أول مدن الشام من العراق ، والطريق اليها عامر ، وهى فرضه الفرات لأهل الشام »[٢] .

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٢٧ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٦ — ٢٢٩ .

Canard : Ibid., P. 233.

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٦ .

٥ — **أنطــاكية** : Antioch يذكر ابن حــوقل والاصطخــرى أنهــا قصبة اقليم العواصم وهى انزه مدينة فى الشــام بعد دمشق • ويذكر ياقوت أن أنطاكية ظلت قصبة العواصم بين الثغور الشامية ، بينما ذكر فى موضوع آخر أن منبج مدينة العواصم • وذكر أن بينها (انطاكية) وبين البحر نحو فرسخين (٨ ميل) ، ولها مرسى فى بليــد يقال لها السويدية Soudin ، ترسو فيه مراكب الافرنج ، عنــد مصب نهر العاصى Orontes [١] •

وقد استمرت انطاكية بيد المسلمين الى أن ملكها الروم منهــم ســنة ٣٥٨/٣٥٩ هـ (٩٦٩ — ٩٧٠ م) • وقد احتفظت انطــاكية فى عهدها الاسلامى بمكانتها الدينية ، فضلا عن أهميتها العسكرية كقاعدة هامة فى الطرف الغربى لخط العواصم [٢] •

٦ — **حارم** : حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكية « يحرمها العدو وتكون حرما لمن فيها » كما يذكر ياقوت • وهى نقطة استراتيجية هامة استفاد بها الروم عند غزوهم أنطاكية سنة ٣٥٨هـ [٣] •

٧ — **بغراس** : فى لحف جبل اللكام وهى Pagris القــديمة • وقد كانت فى العصور الوسطى على طرف الطــريق المؤدى الى مضيق بيلان • بينها وبين انطــاكية ٤ فراســخ (١٦ ميلا) وهى على يمين القاصد انطاكية من حلب ، فى البــلاد المطلة على نواحى طرســوس • وكانت لمسلمة بن عبد الملك ثم وقفها على سبيل البر • قال البحترى : [٤]

---

(١) الاصطخرى : ص ٤٦ وياقوت المعجم ٤٦/٢ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٢٨/١ — ٢٢٩ .

(٣) القلقشندى : صبح ١٢٤/٤ . و
Canard : Ibid., P. 217.

وياقوت : معجــم ١٩٩/٣ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥ وابو الفدا : تقويم البلدان ٢٥٨ — ٢٥٩ .

(٤) راجع ديوان البحترى .

سـيوف لهـا فى كل دار غداردى   وخيل لهـا فى كل دار غدا نهب
علت فوق بغراس فضاقت بما جنت   صدور رجال حين ضاق بها درب

٨ ـ **دربساك** : قلعة من جند قنسرين شمالى حلب على نحـو ٣ أو ٤ مراحل منها ، ولها من شرقيها مروج متسعة كثيرة العشب يمر بهـا النهر الاسود . وهذا البلد ليس له ذكر فى الفتوح وانما جدد فى دولة الأرمن لـا ملكوا الثغور كما يذكر ابن شداد[1] .

٩ ـ **حصن بوقا** : بوقا من قرى انطاكية ، أرسل اليها الزط مع جواميسهم فى عهد الوليد بن عبد الملك . وقد بنى هشام بن عبد الملك حصن بوقا ، وجدد من بعده[2] .

١٠ ـ **قـورس** Cyrrhus . تشرف على الطريق من انطاكية الى الفرات وحلب مارا بعـزار وقويـق . وهى خط دفاعى أمامى عن حلب وأنطاكيـة . وظلت بيد المسـلمين حتى أخذها منهم جوسـلين الفرنجى الصليبى ثم استردها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى اتابك دمشق وحلب .

١١ ـ **برزويه** : حصن قر بالسواحل الشامية على سن جبـل شاهق . وقد أخلى الحمدانيون كل القلاع التى تتحـكم فى طـريق اللاذقية ، خاصـة برزويه وصهيون عند هجوم الامبراطور يوحنـا زيمسكس بسنة ٩٧٥م . وكانت برزويه بيد الصليبيين بعـد ذلك الى فتحها صلاح الدين ٥٨٤هـ[3] .

---

(١) أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٦٠ — ٢٦١ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٢ . وابن شداد : الاعلاق الخطيرة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ٣٠٧/٢ — ٣٠٨ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ٢٢٢ والبلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٤ وابن العديم : بغية الطلب ورقه ٢٨٠ و

Canard : Ibid., P. 229.

(٣) ياقوت : معجم ١٢٦/٢ ، ابن العديم ، بغية الطلب ورقة ٣٧٣ و
Dussaud : Top. Hist. de la Syrie, P. 152-3.

١٢ ـ **الجرجومة** : مدينة يقال لاهلها الجراجمة • كانت تقع على جبل اللكام بالثغر الشامى عند معدن الزاج ، فيما بين بياس وبوقة قرب انطاكية • وقد صالح المسلمون الجراجمة عند الفتح ، وكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون أخرى[١] •

(جـ) الثغور الجزرية : أهمها :

١ ـ **شميشاط** : يسميها الروم Arsamosata وقد ذكر الاصطخرى أن شميشاط هى ثغر الجزيرة على الحقيقة ، معتبرا ملطيه من ثغور الشام •

٢ ـ **ملطيـــة** : وهى Melitene عند الروم • وهى من أجل الثغور الاسلامية أمام الروم • قال عنها قدامة : « وهو خارج فى بلد العدو من جميع هذه الحصون وكل واحد بينه وبين العدو درب وعقبة ، وثغر ملطية مع بلد العدو فى بقعة واحدة • وكان يواجه هـذه الثغور الجزرية ويقابلها من بلد الروم خرشنة (خرسيون) وعمل الخالدية » •

ويعتبر سهم ملطية نقطة التقاء طرق عدة ، ومفتاحا لمدخل آسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق ، ولمدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش الروم القادمة من الغرب • وتمثل ملطية مركز تقاطع عدة طرق وأودية مثل وادى قباقب (تخماصو) Tokhma - Su ثم وادى الفرات ومعابره الى هانزيط أنزيتين Anzitene والجزيرة •

واقليم ملطية على رخاء واسع لجودة ريه كما يذكر ابن حوقل • وقد وصف الاصطخرى مدينة ملطية فى المائة الرابعة للهجرة « بأنها مدينة كبيرة تحف منها الجبال » ، وعدها من أكبر الثغور دون جبل اللكام ، كما اعتبرها ثغرا شاميا وليس جزريا • لذلك ذكر ياقوت انها : « بلدة

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٦٦ وياقوت : معجـم ٣/٨٠ ـ ٨١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨١ .

من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين » • وقد ذكرها المتنبى فقال « ملطية أم للبنين ثكول » • وقد أخذها الدمستق سنة ٣٢٢هـ وهدم سورها وقصورها : ثم جاء المستوفى فذكرها — بعد ياقوت بقرن تقريبا — بأنها مدينة حسنة ذات حصن منيع .•. مراعيها مشهورة يكثر فيها القمح والفواكه والقطن • ويسميها كنارد Canard جرجر Gerger أو كركر Kerkor [1] •

٢ — **زبطره** : عند الروم Zapetra أو Sozopetra تقع الى الجنوب الغربى من ملطية • وهى بين ملطية وسيمساط فى طريق بلاد الروم • ويحدد اندرسن Anderson موقعها حاليا بمدينة فيرانشهر قرب منابع نهر سلطان صو (قراقيس) ، وجوك صو جنوب النهر الأزرق ، وهو موضع يتفق مع ما ورد عند أبو الفدا[2] • وكان امتلاك زبطرة بمثابة المفتاح فى الطريق الى ملطية • وقد ذكر قدامة ابن جعفر أن زبطرة كانت تلى الثغور الجزرية • وحين زارها أبو الفدا (٧١٥ هـ) ذكر انها كانت خرابا • بينما ذكر ابن شداد أنها كانت فى عهده قرية • وأيا كان الأمر فقد احتفظت زبطرة بشىء من أهميتها ، الى أن أخذها الروم أيام الامبراطور باسيل الاول المقدونى ، وكانت لها أهميتها فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) [3] •

٣ — **الحدث** : Adata فتحها المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب • ويذكر البلاذرى أن درب الحدث سمى فى العصر الأموى بدرب السلامة توقيا للتطير والتشاؤم • وقد ذكر الاصطخرى انه كثير الخيرات • ونوه ياقوت انها قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور • وتسمى الحمراء اما لحمرة تربتها أو لتمييزها عن الحدث

---

(١) Canard : Ibid, P. 262, 264.
الاصطخرى : مسالك ٤٧ ، ٥٣ والبلاذرى فتوح ١٩٥ — ١٩٦ وياقوت : معجم ١٥٢/٧ ، ١٥٠/٨ ، وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩٥ .

(٢) ابو الفدا : تقويم البلدان : ٢٣٤ .

(٣) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٤١/١ .

الاخرى الموجودة فى صحراء تدمر ، كما يذهب كنارد . وتسمى حدث الزقاق . وكان لسيف الدولة بها وقفات ، وقد خربته الروم فعمره سنة ٣٤٣هـ(١) .

٤ — مرعش : يسميها الروم Narasion ويقال انها قامت فى مكان جرمانيكا Germanica وهى مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم ولها سوران وخندق ، وفى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى بناه مروان بن محمد . ثم احدث الرشيد بعده سائر المدينة. وبها ربض يعرف بالهارونية وهو ما يلى باب الحدث وقد خربها الروم عدة مرات ، وبناها سيف الدولة سنة ٣٤١ هـ ، وأخذها الفرنج ١٩٤ هـ (١٠٩٧م) ثم صارت مدينة هامة فى مملكة أرمينية الصغرى(٢) .

٥ — **بهسنا** : على أحد روافد الفرات اليمنى الذى يصب أسفل سميساط وهى غربى حصن منصور ورستاقها رستاق كيسوم ١ . وهى « قلعة عظيمة حصينة بقرب مرعش وسميساط » وقد ذكرت فى أخبار الحروب الصليبية ، كما وقال الجغرافيون أنها قلعة حصينة لا ترام حصانة فى الغرب والشمال من عينتاب . وقيل عنها « هى الثغر المتاخم لبلاد الدروب والمشتعل فى جمرة الحروب ، وبها عسكر من التركمان والاكراد . ولا يزال لهم أثر فى الجهاد . ويحمون قرية من أعمال بهسنا من أعمال كيسوم بين الروم وحلب »(٣) .

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٩٧/١٩٨ ، ياقوت : معجم ٢٣١/٣ — ٢ ، الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٧ البكرى : معجم ما استعجم ٦٥٦/٢ ،

(٢) لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ١٦١ والبلاذرى : فتوح ١٩٦ — ١٩٧ وياقوت : نفسه ٢٥/٨ وابن الشحنة : الدر ١٩١ — ٢ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٢٨٥ .

(٣) راجع لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٥٦ وابو الفدا : تقويم البلدان : ص ٢٦٤ — ٢٦٥ وابن الشحنة : الدر المنتخبة ص ١٧١ وابن العديم : بغية الطلب ورقة ٣٧١ .

٦ — **كيسوم** : من أعمال سميساط فى جنوب بهنسنا على نهر كيسوم على ٧ فراسخ (٢٨ ميلا) من الحدث • اعتبرها ابن خرداذبه ثغرا جزريا • وهى تتحكم فى الطريق الى بهسنا[١] •

٧ — **كركر** : حصن بين سميساط وحصن زياد (خرتبرت) شمال حلب على نحو ٥ مراحل . قال ياقوت : « وهى قلعة حصينة شاهقة فى الهواء ، يرى الفرات منها كالجدول الصغير وهو منها فى جهة الشرق وكانت من أعظم الثغور زمن التتار »[٢] •

٨ — **قلعة سميساط** : يسميها العام Samosta ، تقع على ضفة الفرات اليمنى — أى الشمالية — وعندها ينحرف النهر • وكانت حصينة • يذكر المسعودى أنها عرفت أيضا بقلعة الطين • أما ياقوت فيورد أنها « مدينة على شاطىء الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات • قال فيها المتنبى ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهولة وهو أجل :

ويعتبر قدامة بن جعفر أن سميساط ثغرا بكريا — نسبة الى ديار بكر — وقد استعادها المسلمون سنة ٣١٨هـ • ثم أخذها الروم ثانية[٣] •

(د) الثغور الشامية : أهمها :

١ — **عين زربى** (عين زربة) عرفها الافرنج (الصليبيون) باسم Anazarbus وكانت عاصمة الاقليم الرومانى فى كيليكيا • قال عنها الاصطخرى : « بلد يشبه مدن الغور بها نخيل وهى خصبة » كان لها سور حصين فى المائة الرابعة للهجرة • وقد نقل اليها الزط فى أيام المعتصم العباسى (٢١٨ — ٢٢٧هـ) فانتفع بهم أهل الثغر ، ثم أخذها

---

(١) فازيليف : العرب والروم (ترجمة شعيرة)ص ١٠٧ •

(٢) ابن عبد الحق : المراصد ١١٥٩/٣ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٤ — ٢٦٥ والقلقشندى : صبح الاعشى جـ ٤ ص ١٢٠ •

(٣) قدامة : نبذة من كتاب الخراج (ملحق بابن خرداذبة) ص ٢٥٤
Canard : P. 254 - 7.

الروم وخربوها • فانفق سيف الدولة عليها ٣ ملايين درهم لتعميرها ، ثم أخذها الروم ثانية • قال عنها أبو الفدا فى تقويمه « بلـد فى جبل ذات قلعة مستعلية عنها ، وهى على مسيرة يوم جنـوبى سيس وفى جنوبها نهر جيحان » • وقد صار اسمها فى القـرن الثـامن للهجرة « زاورزا » •

ومن أهم الثغور الشامية كذلك سيس أو سيسيه والهارونيـة ، والكنيسة السوداء • ونيكابوليس Nicopolis (اصلاحية حاليـا) على الجانب الشرقى من أمانوس •

٢ ـ **المصيصة :** Mopsuestia وهى من بناء الروم • « وهى من ثغور الشام بين انطاكية وبلـد الروم » وقد اطلق ابن شـداد على المصيصة اسم « بغداد الصغيرة » • وقد انتقلت الى ملوك (أرمينية الصغرى) •

وهناك من الثغور الشامية كذلك بياس (مدينة شرقى انطاكية) بينها وبين الاسكندرونة (٦ ميل / فرسـخان) ، قـريبة من جبـل اللـكام [١] •

٣ ـ **العينات :** تجهز منها المراكب بخشب الصنوبر • وهى بين بياس والمصيصة وهى قريبة من ميدان معركة سوس كمـا يرى كنارد Canard [٢] •

٤ ـ طرسوس : تقع قـرب مصب نهر البـردان فى البحـر المتوسط • وقد اشتهرت طرسوس فى العصر الاسـلامى ، لأهميتهـا الحربية وخصائص سـكانها • وكانت أجل الثغـور وهى تشرف على المدخل الجنوبى لدرب أبواب قليقية • ذكـر ابن حوقل ، أن عليهـا سورين من حجارة وبها مائة ألف فارس ، وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام • وهكذا كانت طرسوس حاجـزا بين

---

(١) البلاذرى : فتوح ١٧٢ ـ ٣ و Canard : Ibid., P. 281.

(٢) Canard : Ibid., P. 278.

العالمين الاسلامى والمسيحى . وحين زارها ابن حوقل (٣٦٧هـ/٩٧٨م) رأى المجاهدين الوافدين اليها من مختلف البلدان الاسلامية .

ويذكر ياقوت أن مدينة طرسوس أحدثت فى عهد هارون الرشيد على يد سليمان أحد خدامه فى سنة نيف وتسعين ومائة[1] أى قبيل وفاة الرشيد التى حدثت سنة ١٩٣ هـ . كما يقول عنها الهمدانى « وهى مدينة لثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم » . وبين طرسوس واذنه ست فراسخ (١٨ ميلا) وظلت بيد المسلمين حتى أخذها نقفور فوكاس سنة ٣٥٤ هـ بعد المصيصة .

ويقول عنها ابن العديم هى « مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة ، وبها كان يقوم سوق الجهاد ، وينزلها الصالحون والعباد ، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد » [2] .

وأبواب طرسوس خمسة هى : باب الجهاد ، باب الصفصاف ، باب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود . وهى — كما يقول ابن حوقل — فى غاية الخصب . ويوجد على مرحلة من طرسوس ناحية نهر اللامس Lamos الذى كان يمثل حدا اسلاميا بيزنطيا ، وتمت عنده الكثير من عمليات الفداء وتبادل الاسرى بين الجانبين الاسلامى والبيزنطى .

وأهم دروب جبال طرسوس درب الحدث فى الشمال الشرقى من مرعش الى « ابلستين » التى عرفت أخيرا باسم البستان Ablastha (البيزنطية) وباسم ارابيسوس Arabissus اليونانية (عربسوس)

---

(١) يذكر القلقشندى ان طرسوس بناها الرشيد سنة ١٧٠هـ اكملها ١٧٢ هـ . فاذا صح هذا ، يكون ما قام به خادمه سليمان ما هو الا التجديد والاستحداث لها . ولعل ما يدل على ذلك كلمة « احدث » . ياقوت : جـ ٦ ص ٣٨ .

(٢) ياقوت : مادة طرسوس ٣٨/٦ — ٣٩ وابن العديم بغية الطلب ورقة ٢٣٥ ، ٢٧٥ وأبو الفدا : تقويم البلدان ٢٤٨ — ٢٤٩ والقلقشندى : صبح ٤ ص ١٣٣ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ و Canard : Ibid., P. 282.

ويليه أهمية درب الابواب القيليقية الضارب شمالا من طرسوس الى القسطنطينية[١] .

وبعد هذا العرض السريع للعواصم والثغور الشامية والجزرية يجب أن نتساءل عن الوضع الاستراتيجى لحدود الدولة الاسلامية مع الروم ، والى أى مدى كانت حدود الدولة الاسلامية تحقق لها الأمان لان الاجابة على هذا السؤال ستوضح الى حد كبير مغزى اهتمامات المسلمين وبخاصة الحمدانيين بمناطق الثغور الاسلامية المتاخمة أو المطلة على بلاد الدولة البيزنطية .

وبادىء ذى بدء ، فمما لا شك فيه أن الدولة الاسلامية كانت تهدف دائما الى ازالة دولة الروم ، مثلما ازالت دولة الفرس لموقفها العدائى . كما أن الدولة البيزنطية (الرومية) لم تكن فى نواياها ومشاعرها أكثر صفاء للمسلمين ودولتهم . ولذلك فما من لحظة من لحظات الضعف يمر بها المسلمون ، الا وكنا نجد الروم يسارعون للانقضاض على أطراف الدولة الاسلامية ، منتهزين ما تعانيه الدولة الاسلامية من أوضاع غير مريحة سواء خارجيا أو داخليا . وقد انتهز الروم كل الفرص التى سنحت لهم منذ نهاية العصر الأموى ، وبداية العصر العباسى ، وفى أوقات ضعف الخلافة العباسية وتجزوء أقاليمها الى ولايات مستقلة ، لم يكن كل حكامها من طراز رجل مثل سيف الدولة الحمدانى أو نور الدين زنكى ، يصمدون للمطامع والطامعين فيصدونهم ويذودون عن العرين[٢] .

وقد حرص المسلمون — وهذا أمر طبيعى — أن تحقق الحدود لدولتهم تأمينا كافيا ، لذلك اتجهوا لفتح اقليم الجزيرة وارمينية ، بعد أن أتموا فتح الشام[٣] . وقد برزت قيمة وأهمية اقليم الجزيرة (أقور كما يذكر المقدسى) باعتبارها « ثغر من ثغور المسلمين ، ومعقل

---

(١) Le Strange : Palestine Under Moslems, P. 377 - 8.
بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٤ — ١٦٦ وابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٨٠/١٨١ .

(٢) فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ٢٥٨/١ — ٢٥٩ .

(٣) الطبرى : الامم والملوك ٥٧/٤ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٩٥ .

من معاقلهـــم ، لان آمد اليوم ــ عصر المقـــدسى ٣٧٨هـ/٩٨٨م ــ دار جهادهم ، والموصل من أجل أنضـــادهم ، ومع ذلك (أى وفوق ذلك) هو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب فى الاسلام »[1] .

كذلك عمد المسلمون ــ تأمينا لوجودهم وحدود دولتهم ــ الى محالفـــة بعض الطوائف التى تحتـــل أماكن حساســـة (هامة) على الاطراف . فتعاهدوا مع الجراجمة[2] فى جبل اللكام ، كما تعاونوا مع البيالقة على اطراف الدولة البيزنطية ، القريبة من حدود المسلمين عند الفرات الاعلى[3] .

ولعلنا نتساءل هنـــا عن الحمدانيين ــ أولا ــ الذين تصدوا ، ردحا من الزمن ، لهجمات الروم ، وخاضوا ضدهم غمار حروب ومعارك طاحنة ، زودا عن حياض دولة الاسلام وأمته . كما نتساءل عن سر شهرتهم فى الآفاق . تلك الشهرة التى لم يحظ بها مثلهم من الاسرات الحاكمة ، سواء فى عصرهم أو بعدهم فيما عدا بنى أيوب الذين قادوا المعارك ــ دفاعا عن العـــالم الاسلامى ــ ضد جحافل البغى الافرنجى القادمة من الغرب الصليبى .

فمن هم هؤلاء الحمدانيين ، وكيف نشـــأوا ؟ ، وبمن اتصلوا ؟ وكيف فرضوا أنفسهم على التاريخ ؟ وما هى الاحداث التى مروا بها أو مرت بهم ؟ وفى عهد من الخلفـــاء كانوا ؟ وما هو لون السياســـة فى عهدهم ؟ . هذا ما سنحاول الاجابة عليه فى الصفحات التالية .

---

(١) المقدسى : احسن التقاسيم ص ١٣٦ .

(٢) ينسب الجراجمة الى بلدتهـــم الجرجومة . ويسميهم المســـلمون باسم « المردة » Maradate ، لكثرة تمرداتهم وثوراتهم . اذ كانوا عضـــاة لكل سلطة فى بـــلاد الشـــام منذ العصر الرومانى ، حتى اعتبرهم الرومان « اعداء دائمين » Hostis Perpetius وقد نجـــح الروم (البيزنطيون) فى جذب عناصر منهم بالمنح والعطايا ، لعرقلة حركة الفتح الاسلامى . وسماهم البيزنطيون «القضبان الحديدية» لاعتيادهم السير وفى يدهم قضبان حديدية . راجع : فتحى عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ٣٦٢ .

(٣) فتحى عثمان : المرجع السابق ٢٦١/١ .

عن الحمدانيين : تعريف بهم وبطبيعة عصرهم :

ينتسب الحمدانيون — كما يقول ابن خلدون[١] — « الى قبيلة تغلب — التى قامت بضواحى الموصل — وكان بنو تغلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار • وكانوا من نصارى العرب فى الجاهلية ، لهم محل فى الكثرة والعدد ، وكانت مواطنهم فى الجزيرة وديار ربيعة ، ثم رحلو مع هرقل الى بلاد الروم ، ثم رجعوا الى بلادهم وفرض عليهم عمر بن الخطاب الجزية ، فقالوا يا أمير المؤمنين لا تذلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل • وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بنى مالك بن بكر من حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب • ثم كان منهم بعد ذلك فى الاسلام ثلاثة بيوت : آل عمر بن الخطاب العدوى ، وآل هارون المغمر ، وآل حمدون بن الحدث بن لقمان ابن أسد » •

وهذا النص يدلنا على ان الحمدانيين بطن من بطون بنى تغلب ابن وائل ، وهم عدنانية ، يعنى عرب خلص ، ممن ولدت العربية فى كنفهم • وقد استمروا ينتقلون من تهامة الى نجد الى الحجاز الى أرض ربيعة الى ضفاف الفرات حيث انزلوا سهل الرقة الفسيح ، ثم انتقل حمدان بن حمدون منها الى الموصل[٢] •

وقد توافق ظهور الحمدانيين وبروز نجمهم مع ضعف الدولة العباسية ، وأفول نجمها : بحيث أصبحت الخلافة رسما فقط ، والخليفة لم يعد أمامه سوى أن يقنع بما يعطى له من راتب سنوى وما يسمح له بمزاولته من مهام ، وكان ذلك فى آواخر القرن الثالث للهجرة بحيث لم يعد الخليفة سوى رئيس دينى لا أمر له ولا نهى ، ولا وزير يعتمد عليه[٣] •

هكذا شهد الحمدانيون هذا التدهور فى صورة وسلطة الخليفة

---

(١) ابن خلدون : تاريخ العبر جـ ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٣١ — ٣٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى جـ ٣ ص ١١٥ (ط : ١٩٦٥) .

والخلافة ، لدرجة هزت الدولة الاسلامية هزة انتهت بانفراط عقدها ، وظهور دويلات وامارات مستقلة فى اقاليمها المختلفة .

كذلك شهد الحمدانيون تقلص النفوذ العربى وذوبانه تحت سيطرة العناصر غير العربية ، بشكل مزر . لذلك رأوا أن يقوموا بنصيبهم فى حمل هذا العبء ، صونا للتراث العربى ، وزودا عن الثغور الاسلامية من هجمات الروم . فجرت المنافع المادية بعضهم الى الهاوية حيث المنافع تغلى وتثور ، وارتفعت المبادىء السامية ببعضهم ممن كان دفاعهم عن العروبة والاسلام مجيدا .

ظهرت الأسرة الحمدانية ابان ارتقاء المعتضد دست الخلافة (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) الذى تسلمها وهى فى حالة من التفكك والانحلال لا يحسد عليه . وقد أراد المعتضد بالله العباسى معالجة الامور نهوضا بالدولة والخلافة ، بكل ما فى نفسه من حب الاصلاح ، وما فى شخصيته من سمات الحزم وقوة القلب وشجاعة الرأى . لكن الوقت كان متأخرا[(١)] .

ذلك ان اقليم الجزيرة كان يموج باضطرابات دامية ، وكان القرامطة يعيثون فى البلاد فسادا ويهزون العقائد هزا عنيفا ، وقد بدا الصراع بين العرب والترك للمرة الأولى فى عهد المعتضد . وكان تخلى العباسيين عن العرب ، وتمكينهم الاعاجم من السلطة فى الدولة العباسية ، مما دفع عرب الجزيرة — وبخاصة — ربيعة — الى المحافظة على استقلالهم ومن هؤلاء بنو شيبان الذين جرد لهم المعتضد جيشا لاخماد ثورتهم سنة ٢٨١هـ ساريه الى قلعة ماردين[(٢)] .

فلما علم حمدان بن حمدون بذلك ، انهزم وتراجع فى جوف الليل تاركا القلعة لابنه الحسين ، الذى استبسل فى الدفاع عنها ، مما دفع الخليفة المعتضد الى الرجوع للموصل ، فيكتب لحمدان بن حمدون يستحثه على اعلان الخضوع والاذعان فأبى حمدان ، لكنه سرعان

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٤ — ٣٥ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ج ٧ ص ١٦٦ — ١٦٧ ، ١٦٩ — ١٧٠ .
وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ج ٣ ص ١١٥ (ط : سابعة ١٩٦٥) .

ما استسلم عندما زحف اليــه المعتضد على رأس جيش لجب ثانية ، وهرب حمدان واختفى من المسرح • وقــد تمكن حمدان بن حمدون من العبور ، فى قارب كان له على ضفه نهر دجلة ، الى الجانب الغربى حيث ديار ربيعــة • فنزل هناك عند احد الخوارج طالبا حمايته ، دون ان يدرى أن هذا آلذى يستجير به سيسلمه للخليفــة المعتضد ، الذى سيزج به بعد ذلك فى غياهب السجون • وهكذا نرى ان جــد الأسرة الحمدانية تبدأ سيرته بثورته على الخــلافة ، وخوض معارك طاحنة ضدها ، ثم استسلام ، فسجن •

فى هذا الوقت (أواخر القرن الثالث الهجــرى) رأى الخليفــة العباسى ضرورة الاستعانة بالحمدانيين فى حربه ضد هارون الشارى احد الخوارج ، الذى كانت قواته قد الحقت بالقوات العباسية هزائم كبيرة • لذلك قرر المعتضد العباسى (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) الاستعانة بالحسين ابن حمدان بن حمدون ، الذى وافق بعد تردد ، وشروط ثلاثة وضعها ان هو وفق فى مهمته • وقد صرح باحد هذه الشروط وهو « اطــلاق سراح والده حمدان بن حمدون » ، أمــا الشرطان الآخران ، فأجــل الحسين بن حمدان البوح بهما ، لحين الانتهاء من اخماد ثورة هارون الشارى الخــارجى واتباعه[١] •

وهكذا انخرطت الأسرة الحمدانية فى خدمة الخلافة العباسية ، وصــارت هــذه الأسرة دؤوبة على انتهاز الفرص ، لاثبات اخلاصها وولائها ، كلما امكنتها الظروف من ذلك[٢] • وكان الحسين بن حمدان ، قد نال تقدير الخليفة المعتضد ، الذى خلع عليه[٣] • واستجاب لطلبه بتكوين فرقة جيش نظامية ، تكون من بنى تغلب (قبيلة الحمدانيين) • وقد بلغ تعــداد تلك الفرقة خمســمائة فارس يتناولون أرزاقهــم من

---

(١) حسن ابراهيم : الاسلام الاسياسى ٣/١١٥ وسامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٦ •

(٢) الكبيسى : عصر الخليفة المعتضد بالله ص ٤٩٩ •

(٣) الطبرى : جـ ٤ ص ٢١٥٠ — ٢١٥١ وابن الاثير : الكــامل ٦/٨١ والمسعودى : مروج الذهب جـ ٤ ص ١٨٨ والكبيسى : المرجــع السابق ص ٥٠٠ •

الدولة ، وقيادتهم الى الحسين بن حمدان بن حمدون[١] .

ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة الحمدانيين فى الظهور ، حيث قاموا بدور فعـــال فى احداث ذلك العصر — (القرن الرابع الهجرى . . بدأت دولتهم ٢٩٢هـ وانتهت ٣٩٢هـ) — اذكرس الحسين بن حمدان نفســه لحرب معارضى السلطة العباسية وبخاصة القرامطة . وقد أثبت الحسين ابن حمدان — من خـــلال المهام التى اسندت اليه — قدرته العسكرية ، مما جعله مثار اعجــاب المسئولين فى الدولة العباسية ، حتى ليحكى أنه وجد فى خزانته — بعد موته — أكثر من عشرين طوقا لفيف وعشرين فتحا بالمشرق والمغرب[٢] . مما جعله من رجالات الصف الأول فى الدولة العباسية ، منذ ذلك الوقت — خلافة المعتضد (٢٧٩ — ٢٨٩هـ) — حتى بداية عهد المقتدر العبـــاسى (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) .

ولقد كان طبيعيا ان ينضوى باقى امراء الحمدانيين تحت لواء الطـــاعة للعبـــاسيين ويعملون فى خدمتهم . وبذلك وصلوا الى ارفع المنـــاصب ، حيث منحهم الخليفـــة أمر الموصل ، فاستقلوا بها ، ثم سرعان ما مدوا نطـــاق حكمهم الى منطقة ديار بكر وسورية واقليم الجزيرة فيما بعد .

ولمـــا آلت الخـــلافة العباسية الى المكتفى بالله بن المعتضد سنة ٢٨٩هـ — عقب وفاة والده — سار المكتفى على نمط والده ونهجه ، من حيث الثقة فى آل حمدان ، والأعتماد عليهم فى ادارة وتسيير شئون الدولة ، لأنه رأى فيهم عنصرا عربيا قويا ، يشارك الخلفاء العباسيين مشاعرهم واحاسيسهم[٣] . ولذلك ولى الخليفـــة المكتفى أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون الموصل واعمالها سنة ٢٩٣هـ (٩٠٥م)[٤] .

---

(١) أبو فراس : ديوانه ص ١٢٨ ، ١٦٥ .

(٢) فيصل السامر : الحمدانيون جـ ١ ص ٨٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامـــل جـ ٦ ص ١١١ وابن خلدون : العبر جـ ٣ ص ٤٧٨ — ٤٧٩ وسرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٧٢ وحسن ابراهيم : الاسلام السياسى ٣/١١٥ .

واستمروا كذلك الى وفاة المكتفى سـنة ٢٩٥هـ (٩٠٧م) حيث بـدأ الزمن يقلب ظهر المجن لهذه الأسرة مع الخلافة العباسية .

ذلك ان الحسين بن حمـدان (أخو أبو الهيجـاء) ــ كما يذكر المؤرخون ــ اعترض على تولى المقتدر السلطة لحداثة سنه ، وأنه ــ لذلك ــ شارك فى تخطيط استهدف عدم توليه المقتدر ، وتعيين عبد الله ابن المعتز خليفة[1] . بينما هناك رأى يقول ان الحسين لم يشـارك فى اختيـار المقتدر ــ لا تمردا عليـه واستصغارا لشأنه ــ وانما لأن الحسين عسكرى ، والعسكريون ابعدوا عن عملية الاختيـار نهائيا[2] ، وهذا أيضـا محل نظر .

ويدعم أصـحاب الرأى الأخير قولهم ، بتحليـل توقيت خروج الحسين بن حمدان على الخليفـة المقتدر ، بأنه جاء أو ظهر بعد تولى المقتدر الخـلافة العباسية سنة ٢٩٥هـ وليس قبل ذلك . ويعللون ذلك الخروج بأن الخليفة لم يعط العنـاصر العسكرية فى الدولة الأهميـة الواجبة أو المطلوبة ، من حيث الاستشارة فيما يعن للدولة من أمور . وأن ذلك دفع العنـاصر العسكرية للتآمر عليـه سنة ٢٩٦هـ ، والسعى لتولية عبد الله بن المعتز[3] .

على أى الأحوال ، فلقد فشل تآمر الحسين بن حمدان ومجموعته العسكرية ، مما دفعـه للسير هاربا الى الموصـل ، تاركا وراءه باقى عنـاصر التآمر ، ناجيـا بنفسه من مصير مؤلم حتما ينتظره لو وقع فى أيدى المقتدر ورجاله . أما شركاء الحسين بن حمدان فتم القبض عليهم ، وصاروا بين مقتول ومنفى وسجين ومصادر[4] . والحق ان

---

(١) السـامر : الحمدانيون ١/١٠٢ ــ والكبيس : عصر الخليفـة المقتدر بالله ص ٥٠١ ــ ٥٠٢ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٣٧٠ ومروج ٤/٢٢٢ وعريب القرطبى : الصله ص ٢١ والجوزى : المنتظم ٦/٦٧ ، وابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١١٧ .

(٣) ابن العبرى : ص ١٥٥ وابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب جـ ٢ ص ٢٢١ وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٠٧ .

(٤) عريب : الصلة ص ٢٨ وابن الاثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢٢ .

هروب الحسين ابن حمدان — بعد انفضاح أمر التآمر وعناصره — أدى الى أنهيار معنويات زملائه ، وتشككهم فيه ، واضطرابهم ، وتفكيرهم جديا فى الهرب ، معتقدين « ان الحسين بن حمدان قد عرف ما يجرى ، فهرب من الليل ، وهذه مواطأة بينه وبين المقتدر »[١] .

واثباتا للحق ، فان هذا الاتهام تدحضه وتنقضه الوقائع التى حدثت بعد ذلك ، متمثلة بصفة أساسية فى جد المقتدر بالله العباسى فى البحث عن الحسين بن حمدان ومطاردته حيث أرسل قوة بقيادة القاسم بن سيما ، كما أمر ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان (أخو الحسين) والى الموصل بمحاربة الحسين بن حمدان — وهو أخوه — وطلب منه القبض عليه[٢] .

على ان مالقيه أبا الهيجاء من ثقة الخليفة المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥هـ) ثم المقتدر (٢٩٥ — ٣٢٠هـ) ، أوغر صدر أخيه الحسين بن حمدان عليه . وقد تمكن أبو الهيجاء فعلا ، وبمساعدة القاسم بن سيما ، من أخيه الحسين فى جبل سنجار ، وأوشك ان يسلمه للخليفة المقتدر العباسى ، لتأديبه على اشتراكه فى المؤامرة ضده ، لولا توسط ابن الفرات وزير المقتدر للحسين بن حمدان[٣]. ثم لم يلبث الخليفة حتى خلع على الحسين بن حمدان ، ومنحه أعمال ديار ربيعة سنة ٣٠١هـ فيكون الحسين بذلك مشاركا أخاه أبا الهيجاء فى السلطة على اقليم الموصل ، الذى حكمه الأخير منفردا منذ ٢٩٣هـ ، مما أوغر صدره على أخيه الحسين بن حمدان . فهل كانت الخلافة العباسية تريد حقا منح الحسين مناطق ترضيه له وتأليفا لقلبه ؟ . وفى هذه الحالة كانت هناك مناطق أخرى يمكن ان تمنحه حكمها غير ديار ربيعة . أم كانت تريد — بعد أن أيقنت بخطر الحمدانيين عليها وبدأت تشك

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٢١ والكبيسى : عصر المقتدر بالله ص ٥٠٧ .

(٢) الذهبى : دول الاسلام جـ ١ ص ١٣٢ وابن خلدون : العبر جـ ٢ ص ١٠٥ ، ٣ ص ٧٥٦ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٦ ص ٨٢ .

Sourdel, D. Le Visirat 'Abbassid T. 2, P. 379.

فى ولائهم — أن تضرب أفراد الأسرة بعضهم ببعض لتفل حدهم وتكسر شوكتهم بما تبثه مثل هذه العمليـــة بين الأخوة من عداوة وشحناء • ؟ وهذا مالم يحدث أو يصـــل — على الاقل — الى المدى الذى ارادته الخـــلافة • ولذلك لم يعد مناص من المواجهـــة الحـــادة مع الأسرة الحمدانية « فازور (المقتدر) عنهم — أى تحول قلبـــه عنهم — وألقى القبض على أكثرهم وزجهم فى السجن » حيث ظلوا به حتى سنة ٣٠٦هـ حيث اطلق سراحهم[1] •

أما الحسين بن حمدان ، فقبض عليه ، وأودع السجن بدار زيدان القهرمانة ، وظل حبيسا الى أن مات ميتة غامضة سنة ٣٠٦هـ/٩١٨هـ — لحظة الافراج عن باقى أفراد الأسرة — مما يدفع المؤرخين الى القول أنه ذبح فى السجن ، وهو أمر غير مستبعد[2] •

أيا كان الأمر ، فقد وصلت الدولة العباسية فى عصر المقتدر الى مرحلة متنـــاهية فى الضعف والانحـــلال ، بظهور المتغلبين فى أطراف المملكة والثغور ، مع تصاعد حدة الخطر البيزنطى ، على حدود العالم الاسلامى فى أعـــالى بلاد الشام ومصر ومنطقـــة الجزيرة وأرمينية • ففى فارس قامت دولة بنى بوية ، وفى مصر قامت الدولة الاخشيدية سنة ٣٢٣هـ ، كما أعلن الفاطميون خلافتهم فى الشمال الافريقى سنة ٢٩٦هـ ، وسيطر القرامطة على منطقـــة هجر (البحرين) واستبد الديلم بجرجان وطبرستان ، وسيطر البريديون على واسط والبصرة ، وقام الحمدانيون فى الموصل وديار ربيعـــة وجزء كبير من العراق •

فكان هذا التشتت والتوزع الذى وقع فى كيان العالم الاسلامى ، مما اطمـــع البيزنطيين فى مهاجمـــة ثغور الدولة الاسلامية • فهاجموا كيليكيا وسورية بقيـــادة نقفور فوكاس مثلا ، الذى اشتبك فى معـــارك

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٣٨/٣٥ ، الكبيسى : عصر المقتدر بالله ص ٥٢٠ •

(٢) الذهبى : دول الاسلام ١/١٣٦ ، ابن الاثير : ٦/١٦٢، وعريب : الصلة ص ٧٧ وأبو المحاسن : النجوم ٣/١٩٤ •

طاحنة وضارية مع سيف الدولة على أبواب حلب . وهو ما سنفصله فيما بعد[١] .

وبوفاة الخليفة المقتدر سنة ٣٢٠هـ يتولى أمر الخلافة القاهر ، ثم الراضى بالله الذى تولى السلطة سنة ٣٢٢هـ وظل خليفة حتى سنة ٣٢٩هـ . وكانت خلافة الراضى بالله تمثل فترة مليئة بالفتن والتوترات ، بسبب الصراع على السلطة بين كبار رجال العهد ، مما صرف الانظار والأهتمام عن الأخطار المحدقة بالدولة الاسلامية ، ممثلة فى تربص الروم على ثغور البلاد وحدودها[٢] .

فى هذا الوقت يستقل ناصر الدولة بن حسين بن حمدان بالموصل ، غير عابىء بالخليفة . ثم يدخل هو نفسه فى صراع مع عمه أبى العلاء ابن سعيد بن حمدان . وقد ترتب على استقلاله بالموصل وقوع توتر فى جو العلاقات بين الأسرة الحمدانية والخلافة العباسية . هذا التوتر سرعان ما ينتهى بوفاة الراضى سنة ٣٢٩هـ واعتلاء المتقى لله عرش الخلافة . ثم يسيطر سيف الدولة على حلب الشهباء ، تاركا أخاه ناصر الدولة يدعم نفوذه فى منطقة الموصل[٣] .

وبينما كان سيف الدولة يؤسس ملك بنى حمدان فى حلب — بعد أنهيار قوائم ملكهم فى الموصل بعد انتصار توزون التركى أمير الأمراء عليهم — أواخر أيام أخيه ناصر الدولة — كان ابناء ناصر الدولة يتقاتلون على السيادة والمال ، وقد اساءوا الى أبيهم ، وانضموا الى غيرهم من الطامعين فى الأرض التى احتفظ بها أجدادهم الحمدانيون نحو أربع وسبعين سنة . وكان خلافهم ، وقيام بعضهم على بعض ، مما دفع عضد الدولة البويهى للتقدم ، وطرد أبا تغلب بن ناصر ، وبسط نفوذه فى البلاد . وبذلك تنطوى راية الحمدانيين فى الموصل وديار بنى ربيعة لتخفق من جديد راية دولتهم فى حلب الشهباء على يد سيف الدولة[٤] .

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ .
(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٤٤ .
(٣) سامى الكيالى : ص ٤٤/٤٥ .
(٤) سامى الكيالى : ص ٤٥/٤٦ .

فلماذا اختار سيف الدولة أرض حلب • ؟ هـل فيها مناعة المدن الحصينة التى تصد هجمات العدو ؟ الواقع انها تقوم على سهل منبسط فسيح وكثيرا ما تغنى الشعراء بجودة تربتها وطيب هوائها ، وجمال سمتها ، وبساتينها الفيحاء التى بزت غوطة الشـام • وكانت قلعتها الأثرية التى تجثم فى قلب البلد ، وقد عرفت عمر الزمن وخلود الحياة ، موضع اعجاب ودهشة الفاتحين الغزاة • فهل كانت قلعتها هذه سببا فى اختيـار سيف الدولة لحلب ليبذر فيها بذور دولته •

فى الحقيقة ربما كان سيف الدولة يرى ضرورة المقـام فى حلب ليرصـد منهـا تحركات الروم — وهم وهو فى حلب قريبون منه — ولاغرو فالروم كان يمضهم الشوق الى تلك البلاد التى ضـاعت منهم منذ عهـد الراشدين • فلـم يتركوا فرصـة الا وأغاروا على ثغور المسلمين محاولين اخذها • مما يبرر نظرة سيف الدولة فى الوقوف هنا ليصد هجمات الروم المتربصين بالمسلمين شرا ، فبنى مملكته الجديدة فى أرض الشهباء المتاخمة لأرض الروم •

على أى حـال ، فلقد دخـل سيف الدولة حلب سـنة ٣٣٣هـ ، فأخذها من يد أحـد قواد الاخشيد حاكم مصر • وكانت حلب فى عهد سيف الدولة ، عاصمة دولة تمتد من الموصـل حتى تكريت[1] • ومن عانه على الفرات حتى البحر المتوسط ، مشكلة — على وجه التقريب خطا مستويا يمر من جنوبى حمص • وقد امتدت ممتلكات الحمدانيين شمالا ، حتى منطقة كيليكيا وملطيـة وديار بكر حتى مدينـة أخيلات (خـلاط) الواقعة على بحيرة وان Wan •

ولقد ظلت الدولة الحمدانية مدة تنيف على السبعين عاما (٣٢٣ — ٣٩٤هـ) ثم انتهت كما بدأت ضعيفة تارة وقوية تارة أخرى • على أن نفوذها لم يقو الا فى عهـد سيف الدولة الذى رفع من شـأنها وخلد ذكرها ، مما يجعلنـا نقدر باطمئنان أنه اذا ذكرت الدولة الحمدانية فليكن معروفا ان سيف الدولة هو الذى خلقها وفرض اسمها فى التاريخ •

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٥٢ •

الفصل الأول

الأوضاع السياسية فى أرمينية

بين القرنين الثالث والرابع

بعد الهجرة

(ا) بنو الساج فى أرمينية وأذربيجان
(٢٦٦ ـ ٣١٨هـ ـ ٨٧٩ ـ ٩٣٠م) .

(ب) الامارات العربية الأخرى فى أرمينية .

(جـ) الممالك الأرمينية فى مستهل القرن الرابع الهجرى .

الأوضاع السياسية فى أرمينية

(١) بنو الساج فى أرمينية وأذربيجان (٢٦٦–٣١٨هـ / ٨٧٩–٩٣٠م) :

اتحدت منطقة أذربيجان(١) مع اقليمى الجزيرة (ما بين النهرين) وأرمينية(٢) — فى معظم الأوقات — تحت سيطرة حكم واحد . وفى نهاية

(١) ذكرها فى الأصل البستانى فقال : « قال ملطبرون (رحالة) فى جغرافيته وكانت — أى اذربيجان — تسمى عند الاقدمين اطروباطينة ... ومعنى اذربيجان أو اطروباطينة ارض النار ، اما لكون عبادة النار ظهرت ونشأت فيها ، أو لكونها كانت عرضة لهبجان جبال النار . . وهى أراضى جبلية يابسة منتشرة فيها أودية خصبة كثيرة الفواكه . . . » .
راجع : السيد محمد أمين الخانجى : منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان (باب الهمزة والذال وما يليهما) ص ١٨٤ .
واذربيجان اقليم شمالى ايران يحدها شمالا ومن الشمال الشرقى أملاك روسيا ، ومن الشرق جيلان Jilan ومن الجنوب كردستان الفارسية والعراق العجمى ومن المغرب (كردستان التركية وارمينية . مساحتها نحو ٣٠ الف ميل مربع) . . اكبر انهارها نهرا قرصو والرس . . وهواؤها غالبا معتدل وصيفها حار جدا ، وشتاؤها فى غاية البرد . وبها بحيرة أرمية الكبيرة المشهورة . . وعلى الجملة هى بلاد قديمة العهد جدا . انظر نفس المرجع السابق ونفس الصفحة .
وكانت تتداولها ولاة من المسلمين . فقد وليها سنة ١٣٢هـ أبو جعفر المنصور العباسى (الخليفة بعد ذلك) كما وليها الرشيد سنة ١٦٤هـ أيام ابيه الخليفة المهدى ، واقطعها المتوكل ابنه المعتز سنة ٢٣٥هـ . ثم اتصلت سنة ٢٨٨هـ الى يوسف بن الساج وكانت بيد اخيه محمد . وان كان ابن الأثير يذكر ان يوسف وليها سنة ٢٩٦هـ ، ثم نزعت منه أيام المقتدر على يد مؤنس الخادم سنة ٣٠٥هـ ثم تداولها أصحاب ابن أبى الساج .
راجع الخانجى : منجم العمران المستدرك ص ١٨٥ — ١٨٧ .

(٢) أرمينية : صقع عظيم واسع يمتد شمالا الى جبال القبق (القوقاز) والبحر الأسود . وبعض اقليم الجزيرة جنوبا . وبحر الخزر (أو قزوين) Caspian وهضبة أذربيجان شرقا ، وآسيا الصغرى والجزيرة غربا . وتشتمل أرمينية على الأراضى الجبلية التى تخترقها أنهار عظيمة أهمها : الدجلة والفرات فى الجنوب ، ونهر الكر Kyros ونهر الرس أراكس Araxes فى الشمال . وكان يسكن هذه البلاد شعب آسيوى مجهول الأصل يعرف باسم الأرمن . وقد اعتنق الارمن المسيحية فى وقت مبكر ، كما ظهرت شخصيته الشعب الأرمنى متميزة عما جاورها من شعوب . كذلك عاش فى أرمينية جماعات من اليهود والمجوس ، دفعت الى هذه البلاد من البلاد المجاورة . راجع المقدسى : احسن التقاسيم ص ٣٧٣ — ٣٧٤ وصابر دياب أرمينية ص ١ — ٥ . وط
Sterck Art. Armenia (Ency of Islam I. P. 637. ط . عربية وفتحى عثمان :
الحدود الاسلامية البيزنطية جـ ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ و ١٩٦ — ١٩٨ .

القرن الثالث الهجرى (بداية العاشر الميلادى) كانت أذربيجان ضمن منطقة نفوذ الأسرة الساجية (بنو الساج)[1] • وقد حكمت هذه الأسرة الساجية منطقة أرمينية — التى كانت وقتذاك تابعة لاقليم الجزيرة — بالاشتراك مع عيسى بن الشيخ وحلفاؤه من بنى سيبان وابن كنداج • وانتهى بنو الساج من أرمينية وأذربيجان باغتيال « أبو المسافر فتح بن أفشين » بيد أحد غلمانه، ومغادرة آخر أفراد الأسرة الساجية البلاد الأرمينية ، ليصبح مجرد ضابط فى الجيش العباسى تحت أمرة ابن رائق[2] •

والحق أن الأسرة الساجية مرت — بعد سنة ٣١٧هـ — بفترة مشوبة بالاضطرابات والفتن • وكل ما نعلمه عن هذه الفترة الحرجة فى تاريخ بنى الساج بأرمينية هو أنه تعاقب على حكم أذربيجان اثنان من غلمان بنى الساج هما : وصيف شيروانى و « مفلح » الذى ورد ذكره عام ٣١٩هـ (٩٣١م) ، ضمن ذكر اغارة على البلاد الأرمينية[3] • وان كان من غير الواضح كم من الوقت استمر حكمهما •

والثابت ، أنه فى عام ٣٢٠ هـ (٩٣٢ م) حصل مرداويج بن زيار الديلمى سيد أو حاكم طبرستان واقليم الجبل — من الخليفة العباسى المقتدر بالله (٢٩٥—٣٢٠هـ) — على عهد بتوليته اقليم أذربيجان والبلاد الأرمينية ، الى جانب طبرستان والجبل[4] • ولم يثبت ما اذا كان مرداويج بن زيار قد توجه الى هناك ليدير هذه المناطق ، أو أنه أرسل أحد ممثليه ليحكم هناك نيابة عنه • بل أن المرجح أن اقليم أذربيجان ، كان — وقتذاك — لا يزال فى يد ديسم بن شاذلويه الكردى أحد ضباط

---

(١) بنو الساج : هم أسرة تنتسب الى ضابط تركى من ضباط الخليفة العباسى المتوكل على الله (٢٣٢ — ٢٤٧هـ) . وقد قتل احد افرادها البارزين عام ٣١٥هـ (٩٢٧م) اثناء القتال ضد القرامطة . راجع : زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى . جـ ٢ ص ١٧٧ وابن حوقل : صورة الأرض ٢٣٨

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 454.

(٣) Canard : Hist. de la dyn. des Hamd., P. 454.
Defermery; Sajides (J. Asiatique, 1947, X P. 436).

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٣٢ •

يوسف بن أبى الساج[1] . فلما قتل مرداويج بن زيار الديلمى أوائل عام ٣٢٣ هـ (٩٣٥ م) ، واصل أخوه وخليفته « وشمكير » المناداة بمطالبه فى أذربيجان[2] .

وهكذا يتضح أنه منذ وفاة آخر أمراء الأسرة الساجية فى أذربيجان — وهو أبو المسافر فتح بن أفشين سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩م) انتقلت الأمور فى هذا الاقليم الى أيدى مختلف القادة والضباط الساجيين الذين بذلوا جهودا كبيرة لاحكام السيطرة على أرمينية ، حتى دون اذن الخليفة العباسى ، علما بأنهم لم يقوموا بأكثر من اغارات على أرمينية لم تسفر عن نتيجة تذكر[3] .

والواقع أن عملية اسلاس قياد منطقة أرمينية لم تكن بالأمر اليسير ، وذلك لعدة عوامل أهمها : تضاريس البلاد وصعوبتها . وكان المتعارف عليه بين الأرمن ، أنه اذا أمكن لأحد أن يتوغل فى أرمينية ، ويحصل على موافقة أمرائها ، وقبوله أميرا عليهم ممثلا للخلافة العباسية ، أصبح من الميسور بعد ذلك أن ينال من الحكومة العباسية ، عهدا بتوليته على البلاد ليصير بذلك واليا شرعيا على أرمينية .

وفى هذه الاثناء كان ناصر الدولة الحمدانى — الذى خلف عيسى ابن الشيخ الشيبانى — فى ديار بكر يأمل فى ضم أرمينية لتصبح ضمن الاقاليم التى قلده الخليفة أمر ولايتها وادارتها[4] .

ولما كان ما يحكمه ناصر الدولة من بلدان يقع فى مواجهة أراضى الامبراطورية البيزنطية عبر ديار بكر ، ومطلوب منه الدفاع عن منطقة

---

(١) كان والد ديسم بن شاذلوية من أنصار هارون الشارى الخارجى . فلما قضى على هارون وحركته بواسطة حسين بن حمدان ممثلا للخليفة العباسى المكتفى (٢٨٩ — ٢٩٥هـ) هرب شاذلويه الى اكراد اذربيجان .

راجع : ابن مسكوية : تجارب الأمم ٣٢/٢ — ٣٣ و ٣٨٨/١ و ٤٠٤ وابن الأثير : الكامل : حوادث عامى ٣٢٥هـ و ٣٣٢هـ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٤ ص ١١٨٥ مادة وشمكير .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 463.

(٤) Canard : Ibid, P. 463.

ما بين النهرين (الميزوبوتوميا) . فقد صار من أهم مصالحه السيطرة على بعض الأماكن أو المواضع الرئيسية ، مع ضمان سلامة حركة المواصلات مع مدينة قاليقلا Qaliqala في قلب أرمينية[١] .

ويسمى كنارد هذه الفترة السابقة لعام ٣١٩ هـ وحتى سنة ٣٣٣هـ بالفترة « القبل سيفية » ، أى الفترة السابقة على ظهور سيف الدولة الحمدانى ، كأمير مسئول مسئولية مباشرة عن مواجهة الروم . كما أنه لم يكن قد لقب بعد بلقب « سيف الدولة » . وكان لايزال مجرد حاكم على مجموعة أقاليم حدودية ثغرية ثم يستدرك موضحا سمات هذه « الفترة الارمينية الميزوبوتامية » من الحروب ضد الروم . وقد سماها كذلك نسبة الى المسرح الذى جرت عليه المواجهة بين المسلمين من ناحية ، والروم والأرمن ومن ولائهم من ناحية أخرى[٢] . وهو ما سنفصله بعد ذلك فى موضعه وحينه .

الامارات العربية فى أرمينية أبان القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) :

فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى وجدت فى أرمينية عدة أمارات عربية مستقلة ، فى منطقة الاباهونيك ، وبحيرة فان . وقد انعزلت هذه الامارات العربية الأربع عن الخلافة العباسية ، منذ ازدياد قوة جيرانها الأرمن ، وسعت بالتالى ، الى التكيف مع هذا الوضع ، باذلة جهودا كبيرة لصد محاولات الغزو من جانب كل من البيزنطيين ، والأردذرونيين حلفاء بيزنطه[٣] .

وعلى الرغم من التضامن الذى كان قائما بين المسلمين هناك ، فلسوف نرى أن أمراء العرب فى أرمينية ، كانوا يلقون من الحدانيين نفس المعاملة التى كانوا يعاملون بها أمراء الأرمن ، وأنهم — أى

---

(١) Canard : Ibid, P. 463/4.

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 463/4.

(٣) Runciman : Ibid., P. 160

أمراء العرب — كانوا يعتبرون أنفسهم كالأرمن الى حد ما ، حتى أنهم خضعوا فى النهاية للنفوذ البيزنطى[1] .

وقد وجد فى القرن التاسع الميلادى (الثالث الهجرى) عدد كبير من الجاليات الحضرية والامارات العربية المستقلة ، فى أرمينية ، وجورجيا . وألبانيا . وقد استمرت هذه الجاليات العربية ، منذ القرن التاسع الميلادى كما يذكر المؤرخ البيزنطى ثبود شيان Thopdschian — تقيم فى مدن مثل دوين Dwin ، وظلت فيما يبدو محتفظة باستقلالها ، مع تناقص فى عدد الامارات العربية الأرمينية[2] . من ذلك مثلا امارة أرزن Arzan التى امتدت فى عهد موسى بن زرارة الذى كان ينتسب بالمصاهرة الى الأسرة الباجراتية — وفى عهد ابنه « أبو المجرا » (المجرع) — Abul-Magra الذى يبدو أنه كان يبطن المسيحية حكم حتى «بتليس» وحدود الطارون ، الى أن دمرها « عيسى ابن الشيخ » . ومع هذا فان الأسرة لم تنقرض تماما الا فى القرن العاشر الميلادى ، حين استولى جاجيك أردزرونى على آخر موقع كان فى يدها هذه الأسرة العربية فى الجنوب الغربى من البحيرة (فان) ، لتضم ارزن الى ديار بكر[3] .

كذلك نجد من الاسرات العربية المستقرة فى أرمينية الاسرة القيسية (أو القيسيين) ، والعثمانيين[4] بنو خزيم ، والجحافيين Jah'hafides وهى فيما يبدو فرع من القيسية عرب الشمال ، أو بصفة خاصة قبيلة سليم التى لا يعرف متى بدأت اقامتها فى أرمينية .

ومما يذكر أن العثمانيين سيطروا فى القرن التاسع الميلادى على مدينة « بيركرى » وحصن أميوك الواقع غربى

---

(١) Brosset : Ibid., P. 244 - 246 + Canard : P. 471 - 2.

(٢) Canard : Ibid., P. 472.

(٣) الطبرى : الأمم والملوك ج ٣ ص ١٩٩١
Laurent : Les Bagratuni Sout Goergie de la IX Siede P. 326.

(٤) نسبة الى عثمان بن عمارة بن خزيم ، الذى حكم ارمينيا خلال عام ١٦٦هـ ، ١٦٧هـ/٧٨٣م . راجع البلاذرى : انساب الاشراف . وفتوح ص ٢١٠ .

بحيرة (فان) ، الذى ظل فى يدهم حتى انتزعه منهم جاجيك الاردزونى فى مستهل القرن العاشر الميلادى ، ونجح فيما فشل فيه أسلافه أشوط ديرنيك • لكن سمباط البجراتى لم يرض عن هذا الاستيلاء وذلك لأن العثمانيين كانوا يدفعون له الجـزية فى ذلك الوقت • وفى سـنة ٩٠٢/٣ م كان العثمانيون ما يزالون يسيطرون على بيركرى ، وكانوا فى صراع ضد أمير منزيكرت (ملازكرد) ، التى كانوا منذ ثلاثين سنة مضت (منذ نحو سـنة ٨٧٢م/٢٥٩هـ) طفـاءها ضـد الملك الأرمنى أشوط الاردزرونى • وفى الحملـة التى شنتهـا أسرتا البجـراتين والاردزرونيين — سنة ٩٠٢م ضـد أمير منزيكرت سيد الاباهونيك وقف أمير بيركرى العثمانى فى جانب الأرمن وهو عثمانى عربى مسلم وهو مالم نعد نسمع عنه بعد ذلك شـيئا ، حيث انتقلت السيادة على بيركرى الى أيدى الأسرة الحاكمة فى منزيكرت[1] •

ومما يدل على أهمية حكام منزيكرت القيسيين (من بنى سليم) وتأثيرهم فى تاريخ تلك المنطقة ، فى السياسة البيزنطية ، انهـم حظوا بعناية الامبراطور قسطنطين بورفيروجنتس ، فى دراسته التى وضعها عن الامبراطورية البيزنطية بعنوان « ادارة الامبراطورية البيزنطية » وهى الدراسة التى اهتم بها المؤرخ مركفارت[2] فيما بعد •

ومن المهـم أن ننقـل الاجـزاء الرئيسـية فى نص قسطنطين بورفيروجنتس : حيث يقول : « انه قبـل عهـد اشوط البجـراطى (٨٦٢ — ٨٩٠ م) أمير الامراء ، كانت المدن الثلاث : بيركرى (بركرى بالعربية) وشليات Chiat (بالعربية خيلات) • وأردزيس Ardzes (بالعربية ارجيش) فى يد العرب • لكنها كانت تابعة لملك أرمينيـة • وكذلك مدن طيبة Tibe وهى بالأرمينية «دوين» وبالعربية «دابيل»، وشـرت Chert بالأرمينيـة : هير وبالعـربية خوى ، خـواى) ، وسلاماس Salames والاخيرتان — أى خوى وسلاماس — تقعان فى اقليم اذربيجان • أما مدينة منزيكرت (مانزيكرت أو ملازكرد) فكانت

---

(١) Canard : Ibid., P. 437.

(٢) Canard : Ibid., P. 474.

فى يد « ابى الورد » (مالافرنجيـــــة ابلكـــــرت أو ابلبــــرت) — وهو « عبد البر » وهذا الراجح عند مركفارت وكان خاضــعا لسيادة اشوط البجراطى • وقد منحه اشوط حكم مدن : شـــليات (خيلات) وأردزيس (ارجيش) وبيركرى (بركرى) ، فظل يحكمها ، ثم خلفه ابنه عبد الحميد بن عبد البر أو (أبــو الورد) — وتســميه المراجع الاجنبية Abul Chamit — ثم خلف هذا ابنه « أبو سوادة » ابن عبــد الحميد بن عبد البر (أبو الورد) وهو أيضا الذى تسميه المراجــع الاجنبية Aposebatas أى « أبو سوادة »[1] •

وبعد وفـــاة الملك البجــراطى « ســـمباط » سنة ٩١٤م ، تمكن « أبو سوادة بن عبد الحميد بن عبد البر القيسى ى (من بنى سليم) من الاستقلال بحكم وادارة مانزيكرت ، وكل ما تحت يده من أملاك • وقد تعرضت أملاكه فى عهده لهجوم ونهب الدمستيق (الديموستيكوس) البيزنطى ، فى عهد الامبراطور البيـــزنطى « رومانـــوس ليكابينوس » (٩١٩ — ٩٤٤ م) ، نتج عنه خضوع أبو سوادة وأخويه : أبا الأسود وأبو سالم (بالافرنجية أبو الشفت ، وأبو سلمس) وقبولهــم دفــع الجزية للامبراطور ، الى جانب جــزية أو ضريبة أخــرى سنوية له ، تعبيرا عن هذا الخضوع واثباتا للولاء • وبذلك جمع أبو الأسود بين ولاءين : ولاء لبيزنطة ، وولاء للحاكم البجراطى ، الذى كانت المدن التى يحكمها أبو الأسود فى نطاق اقليمه ، وهى المدن المذكورة سابقــا مضافا اليها مدينتى « هرق » Hark (شركا) Charaka وكوريه Kord (الورك) Al-Warak [2] •

والجدير بالذكر أن قسطنطينبورفيروجينتس اعتبر — فى كتابه — أن كل هذه المدن التى فى يــد القيسية وســـلالتهم ، ضـــمن املاك الامبراطورية البيزنطية ليس فقط لأن امراءها كانوا خاضعين سياسيا للامبراطور البيزنطى رومانوس ليكابينوس ، ولكن أيضا لأن سيدهم

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ١٦١ ، ١٦٥ •

(٢) Canard : Ibid., P. 474.

الأول البجراطى (اشوط الثانى ٩١٤ — ٩٢٩م) كان تحت السيادة والحماية البيزنطية[١] .

ثم يضيف بورفيروجينتس الى ذلك أن أبا الاسود ، أخا أبو سوادة ، وابن عمه احمد (الذى لم يذكر اسم أبيه) (وتسميه المصادر الافرنجية انبسيوس) ، استوليا على « خيلات » (شليات) وارذريس (أرجيش) والتركية ، واعترفا بالسيادة للامبراطور البيزنطى مثلما فعل أبو الاسود من قبل[٢] .

أما عن الأخ الآخر (أبو سالم) — أبو سلمس — فوضع يده على « تزيرمانترو » Tzermatzou [٣] — أو بالاصح سرمانترو — الواقعة شمال غرب « هرق » ، والأراضى التابعة لها وخضع لسيادة الامبراطور — البيزنطى أيضا .

ولما مات « أبو سوادة » خلفه ابنه « عبد الرحيم بن ابى سوادة ابن عبد الحميد ابن عبد البر القيسى » ، ثم خلفه من بعده عمه « أبو الاسود » ، الذى سيطر على الأمور فى مانزيكرت وأماكن أخرى ، ثم اعقبه أخوه أبو سالم[٤] .

وكان لابى سوادة ابن آخر اسمه « ابو المعز » (وربما عبد المعز) . ولما لم يكن لأبى الأسود ابناء ، فانه تبنى ابن عمه احمد .

بينما كان لأبى سالم (اخو أبو الاسود) ابن عبد البر الثانى أو (أبو الورد الثانى) . وقد حكم هذا فى مانزيكرت كما يذكر بورفيروجنتيس . بينما أبعد ابو المعز (عبد المعز) عن السلطة لحداثة سنه بعد وفاة والده « أبو سواده » وعمه « أبو الاسود[٥] » .

---

(١) Canard : Ibid., P. 474.

(٢) Canard : Ibid., P. 229.

(٣) Canard : Ibid., P. 230.

(٤) Canard : Ibid, P. 475.

(٥) راجع قسطنطين بورفيرجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية .

أما أحمد بن ابو الاسود (بالتبنى) ، فتـولى فى عهـد والـده (بالتبنى) حكم خيلات وارجيش والتزيكية (ذات الجوز) ، واحتفظ بولاية هذه المدن فى عهد أبو سالم ، مع اسـتمراره فى دفع الجزيـة للامبراطور البيزنطى عن هذه المدن الثلاث • غير أن عبد البر الثانى ابن أبو سالم اغتاله واحتل المدن الثلاث ، التى طالب بهـا الامبراطور البيزنطى مدعيا تبعيتها له •

والجدير بالذكر أن مؤرخى الأرمن زودونا بمعلومات عن هذه الاسرة القيسية • حيث يظهر عبد البر (أبو الورد) معاصرا للملك البجراطى اشنـوط الاول ٢٤٨ — ٢٧٦ هـ كمـا ورد فى كتاب تاريخى وضـعه « توماس أردزرونى » فذكر اسمه « ابلير » وانه سـيد الاباهـونيك ومانزيكرت فيما بين سنتى ٨٦٨ و ٨٨٧ م (٢٥٤ — ٢٧٤ هـ) •

وفى مستهل القرن الرابع الهجرى / القـرن العاشر الميـلادى (٢٨٩هـ — ٩٠٢م) ثار القيسيون (من بنى سليم) على الملك سمبات البجراطى (٢٧٦ — ٣١٠ هـ — ٨٩٠ — ٩١٤ هـ) الذى كانوا يعترفون الملك الأردزرونى المعاصر — حمله عسكرية أخمدت تمرد القيسية ، وان لم يتمكن من الاستيلاء على مانزيكرت • وقد سـمى الكاتب المؤرخ توماس اردزرونى هؤلاء القيسية باسم « أبناء عبد الرحمن »[1] •

وهو اسم لم نجده فى تاريخ بورفيروجنتيس • ويعتقـد ماركفارت انه

---

(١) يظهر اسم عبد الرحمن فى نص لابن الأزرق ، على انه ابو شخص يدعى «احمد» فينطبق على اسم احمد الذى أورده قسطنطين بورفيرجنتس . لكنه لم يذكر اسم ابيه (والد عبد الرحمن) . ولمـا كان احمد هذا قد ذكره بورفيروجنتس على انه ابن عم « أبو لسفت » (عبد الحميد) ، احد ابناء (ابن عبد البر) فاننا نخلص من ذلك الى أن عبد الرحمن هو ابن عبد البر واخو عبد الحميد وهذا يدل أيضا على أن اسم عبد الرحمن كان شائعا فى الأسرة . وان احد الاجداد كان يحمل هذا الاسم . ومن ثم كان ورود اسم ابناء عبد الرحمن فى تاريخ توماس اردزرونى .

راجع :

Canard : Ibid., P. 475.

يوجد خلط في الاسماء في تاريخ توماس أردزروني[1] . أما عن القيسية في أرمينية بعد هذه الفترة فليست لدينا عنهم معلومات .

وليس هناك شك في أن مدينة بيركري ، قد انتقلت الى أيدي القيسيين ، عقب ضعف سلطان الاسرة البجراتية ، بعد وقوع سمباط (٨٩٠ — ٩١٤ م) في يدي يوسف بن ابي الساج . كما لا يجب — في الواقع — أن نعطي أهمية لما أكده قسطنطين بورفيروجنتس من أن الملك اشوط البجراطي ، منح أبا الورد (ابليرت) مدن بيركري وخلات (شسيلات أو خلاط) ، وأرجيش كاقطاعيات له . اذ لو افترضنا — جدلا — أن أشوط البجراطي كان في حالة تسمح له بهذا العمل ، فانه كان من الاولى به أن يحتفظ بهذه المدن لنفسه ويتولى هو حكمها . ولكن يبدو أن بورفيروجنتس أراد — بتأكيد هذا الأمر — أن يكشف عن رغبته في اظهار تبعية هذه المدن للامبراطورية البيزنطية قانونا . لانها كانت تابعة للمملكة البجراتية ، التي أصبحت منذ عام ٩١٥ م خاضعة أو تابعة للامبراطورية البيزنطية[2] .

وهكذا يتبين أن أبناء عبد الحميد أبو الورد ، كانوا معاصرين للامبراطور البيزنطي رومانوس ليكابينوس . (٣٠٦ — ٣٣٣ هـ ، ٩١٩ — ٩٤٤ م) ، وأنهم — بلا شك — قاموا بدور ما في عام ٢٨٩ هـ / ٩٠٢م وكان « أبو الورد » الثاني يتولى الحكم ابان كتابة بوفيروجنتس لتاريخه — أي بين عامي ٣٣٨ — ٣٤٢ هـ ، ٩٤٩ — ٩٥٢ م) .

وعلى هذا يمكن القول أنه في الوقت الذي تدخل فيه الحمدانيون في شئون أرمينية ، كانت منطقة الأباهونيك ، والضفة الشمالية لبحيرة (فان) Van في أيدي القيسيين ، أي أيدي أمراء عرب تابعين بدرجة ما للملك البجراطي والامبراطورية البيزنطية .

أما الجحافيون (بنو جحاف) — ويشتركون مع القيسية في أصل قبلي واحد — فهم ينتسبون الى جحاف السلامي (من قبيلة سلام) ،

(١) Canard : Ibid., P. 475 - 476.

(٢) Canard : Ibid., P. 476.

الذى تزوج سيدة أرمينية ، هى ابنة الأمير موشغ الذى قتل فى تمــرد سنة ٧٧٢م (١٥٥ هـ) الذى قام ضد العرب فى أرمينية . كما لعب دورا هاما فى أرمينية أبان عصر المأمون ، حيث ثار على واليه العباسى هناك ، واستولى على مدينة دوين مقر الحكم الاسلامى بأرمينية[1] .

وقد بسط « جحاف السلامى وأبناؤه سيادتهم ، على اقليم شاسع يمتد من أرشارونيك (منطقــة نهر الرس جنوبى بحيرة قارص) حتى بحيرة فان واقليم طارون . كما سيطر على مدينتى منزيكرت وخيلات. ويذكر المؤرخون العرب والأرمن بعض أبناء جحاف السلامى » بأسماء عبد الملك ، وعبد الله وعبد الحميد والد « سوادة » ، الذى دآن لخالد ابن يزيد بن مزيد الشيبانى ، فى أواخر حكمه ، الذى تعاون مع والى اذربأجان وأرمينية وقتذاك « ابو ســعيد محمد بن يوســف مروازى (٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م)[2] .

على أننا نفتقد الاثر التاريخى لهؤلاء الاشخاص فى أرمينية (فى أواسط القرن التاسع الميلادى / أواسط الثالث الهجرى) . فقد ذكــر الطبرى ابن سواده ـــ ويدعى جحاف فى حوادث سنة ٢٥١هـ / ٨٦٥ م على أنه قائد للقوات الاسلامية فى ملطية Malytaia . ويبدو أنه ـــ فى هذه الفترة انتقلت الاقاليم التى كانوا يملكونها أو يحكمــونها ، الى أيدى اسرة سلامى آخر ، لابد أنه كان من أقرباء أبو الورد (عبد البر) التى كان ابناؤها يحملون بنوع خاص اسم « القيسيين » ، لكن سوف نتبين أن هؤلاء الجحافيين ظلوا يملكون اقليما ما فى أرمينيــة ، حيث كان بعضهم على علاقة بسيف الدولة الحمدانى عام ٣٢٨ هـ ، دون ذكر أو تحديد للاقليم أو المدينة التابعة له[3] .

---

(١) Canard : Ibid., P. 477.

(٢) Canard : P. 477.

(٣) Canard : P. 477 - 478.

(جـ) الممالك الأرمينية في مستهل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) :

كان يوجد بأرمينية منذ القرن التاسع الميلادي (النصف الثاني منه بخاصة) مملكتان تعلوان على مختلف الامارات الاقطاعية الأرمينية هذا فضلا عن الامارات العربية الاسلامية التي كانت هناك في نفس الفترة . وقد حاولت مملكتان أرمينيتان ممارسة نوع من السيطرة والسيادة على الامارات العربية الاسلامية آنذاك . هاتان المملكتان الأرمينيتان هما : مملكة البجارطه (البجراطيون) في شمال أرمينية ، والمملكة الاردزرونية في جنوب البلاد [1] .

ومن ناحية أخرى تعرض النفوذ العباسي — في مستهل القرن التاسع الميلادي — في اقليم القوقاز للزوال . وذلك بسبب التمرد الخطير الذي قام به اسماعيل بن شعيب أمير تفليس على عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد (١٧٠ — ١٩٣ هـ) . هذه الثورة تم سحقها واخمادها بمساعدة أمراء الأرمن . كما شهدت سنة ١٩٧ هـ (٨١٣ م) حركة تمردية أخرى قامت في مدينتي دبيل (دوين) وبرذعه ، فضلا عن قيام المسلمين في تفليس سنة ٢١٤ هـ (٨٢٩ م) بالتمرد ثانية على أميرهم وقتذاك محمد بن حطب . كما هزمت القوات العباسية في مدينة كاختي Kakhti سنة ٢٢٦ هـ (٨٤٠ م) و ٢٢٨ هـ (٨٤٢م) من جانب قوى أرمينية محلية ، وفي سنة ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) تمرد أمير تفليس ، ورفض السماح لقوات الخلافة العباسية بقيادة « بغا الكبير الشرابي » بالتدخل للقضاء على محاولة جعل مدينة تفليس مركزا لدولة اسلامية في اقليم القوقاز [2] .

أما عن الوضع بالنسبة للجانب البيزنطي ، فقد تأثر موقفهم بتفجر النزاع الديني الأيقوني مرة أخرى ، في نفس الوقت الذي كانت الخلافة العباسية تعاني من متاعب داخلية كثيرة . كما منيت بيزنطه

(١) Allen, W.E.D. : Hist. of the Georgian People, P. 81 - 82.

(٢) Allen : Ibid., P. 82.

حين حاولت التدخل فى شئون بلاد الابخاز بكارثة وهزيمــة ملحقة سنة ٨٤٢م (٢٢٨هـ)[١] •

ومع استمرار تدهور أوضاع كل من القوتين المتنافستين وقتــذاك (العباسية — والبيزنطية) ، برز البيت البجراطى رافعا لواء التمرد ، معبرا بذلك عن تلك الروح الجبلأة الصرفة لسكان أرمينية ذات الطبيعة الجبلية الجافة • كما نصب أشوط الاردزرونى نفسه ملكا على اقليم الفاسـبوراكان جنــوبى بحيرة (فان) Van • أما باقى المنــاطق الأرمينية ومعظم منطقة جورجيا فقد توزعتها أجنحة البيت البجراتى• وكان أكثر أفراد هذا البيت عقلا وحكمة وشجاعة وحنكة ، فى مواجهة أزمات القرن التاسع الميلادى المحدقة بأرمينية ، هو أشوط البجراتى امير شيراك Chirak الذى حقق نصرا على العرب الموجودين هنــاك، فعينه نبلاء الأرمن عليهم ســنة ٨٨٦/٨٨٧م (٢٧٣ — ٢٧٤هـ) ملكا ومنحــوه لقب « ملك ملــوك الأرمــن » (أو شــاهنشاه الأرمــن) Armen = Arkhôn Arkhonton Armenôn ويستمر ملكا على الأرمن دون منازع حتى سنة ٨٩٠ م[٢] •

والجدير بالذكر أن كلا من المملكتين الأرمينيتين كانتا من صــنع المسلمين أنفسهم ، الذين أرادوا — بمساعدتهم لاقوى وأكبر أسرتين اقطاعيتين فى أرمينية — اســتغلال نفــوذهما لصــالح دولة الخلافة العباسية • ولا غرو ، فقد باتت دولة الخلافة تشعر — منــذ النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى أواخــر القــرن الثالث الهجــرى — بالحاجة الماسة الى مصانعة الأرمن ، لكى تكسبهم — ولو بطريق غير مباشر — الى جانبها فى صراعها ضد الروم ، الطامعين فى فرض نفوذهم وبسط سيطرتهم على البلاد الأرمينية[٣] •

---

(١) Allen : Ibid., P. 82.

(٢) Allen : Ibid., P. 82.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 463.

ففيما يتعلق بالملكة البجراتية (البجراطونية) ، قـرر الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة ٢٤٦/٢٤٧ هـ (٨٦١ — ٨٦٢ م) منـح لقب « أمير أمراء أرمينية وجورجيا وبلاد القوقاز » لأحـد أفـراد هذه الاسرة وهو أشوط الأول Achût I بن سمباط Sombat . فلمـا رأت الامبراطورية ذلك ، قررت الرد على المبـادرة العباسـية تجاه البجارطة ، بمنح أشوط الأول نفسه لقب ملك Rex [1] .

ولقد سعت المملكة البجـراتونية الأرمينية الفتيـة ، الى دعـم نفوذها وسلطاتها ، على حساب كل من الامـراء الأرمن ، والأمـراء العرب المسلمين المستقرين فى مختلف مدن أرمينية وأقاليمهـا . وكان التوفيق حليف هذهالاسرة الملكية الاقطاعية.ذلك أن مدينة دوين Dwin أو دابيل Dabil عاصمة أرمينيـة الاسـلامية ، اعتـرفت بسلطة وسيادة الملك البجراطى أشوط الأول بن سمباط[2] .

غير أن الأمور لم تستقم على هذا الوضع . اذ حدث نوع من رد الفعل العنيف ضد تنمية أو تقوية نفوذ المملـكة البجـراطية فى عهـد سمباط بن أشوط الأول (٨٩٠ — ٩١٤ م / ٢٧٦ — ٣٠١ / ٣٠٢ هـ) . وكان رد الفعل هذا من جانب بنى الساج أمراء أذربيجـان ، والقائد أفشين التركى ثم خليفته يوسف بن ابى الساج ، اللذين كانا يتوليان أمور أرمينية وآذربيجان ، مؤسسين بذلك أسرة حاكمة صغيرة شـبه مستقلة عن الخليفة العباسى[3] .

اتجهت سياسة كل من الأفشين بن مازيار التركى ، ويوسف ابن أبى الساج نحو تشديد القبضـة على أرمينية ، وذلك دون التقيـد بالالتزامات المتفق عليها بالنسبة للأرمن منذ بـداية العصر الاسلامى بها ، وهى الالتزامات التى طالما أوفى بها أسلافهما[4] . وكان يوسف

---

(١) Laruent : Les Bagratuni sont en Georgie de le IX Siecle, P. 128, 267/8, 282 + Runciman, Romanus Lepapenus, P. 152.

(٢) Runciman : Ibid., P. 152 + Laurent : Ibid., P. 282.

(٣) Laurent : Les Bagratuni, P. 282 + Runciman : Ibid., P. 152.

(٤) Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 464.

ابن أبى الساج كثيرا ما يخرج على طاعة الخليفة العباسى . وانتهى الأمر بأن وقع سمباط ابن اشوط الأول (٨٩٠ — ٩١٤ م / ٢٧٦ — ٣٠١هـ) . أسيرا فى يد يوسف ابن الساج سنة (٣٠١هـ/٩١٤م) ، الذى لم يلبث أن أعدمه بعد تعذيبه[١] .

اعتلى أشوط الثانى بن سمباط « التعيس » عرش أبيه بعد مقتله سنة ٩١٤ م ، وتولى حكم أرمينية باسم البجارطة فيما بين سنتى ٩١٥ م ، ٩٢٩ م — (٣٠٢ — ٣١٦ هـ) . لكنه لم يتمكن من بسط سيطرته الملكية على كل الأراضى الارمينية ، وذلك بسبب قيام أحد اقربائه الأسبارابت (القائد العام) أشوط ، بالسيطرة على جزء من أرمينية بمساعدة يوسف بن أبى الساج ، الذى ألبسه التاج الملكى ، ونصبه ملكا على أرمينية فى دوين حاضرة الحكم الاسلامى هناك ، وذلك لكى يضارب به أشوط الثانى[٢] .

انصرف يوسف بن أبى الساج — بعد تتويج القائد العام أشوط ، أحد أقارب الملك البجراطى أشوط الثانى بن سمباط التعيس — باهتمامه لحسم الموقف مع الخلافة العباسية . اذ خرج محاربا جيش الخلافة فى اقليم الجبل . وعندما تم أسره سنة ٣٠٧ هـ (٩٢٠ م) وسيق مكبلا الى عاصمة الخلافة (بغداد) حل محله فى عمل أرمينية عامله ومولاه سبك Subuk — بالأرمينية Spuk ومع هذا لم يتمكن أشوط الثانى من السيطرة على دوين عاصمة الحكم الاسلامى فى أرمينية[٣] .

لم يمكث يوسف بن أبى الساج فى أسره بدار الخلافة أكثر من ثلاث سنوات ، اذ عاد بعدها سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢ م) الى عمله فى اذربيجان ، حيث اطلقت الخلافة العباسية سراحه بعد تفاهم ما تم بين الطرفين[٤] . اذ يبدو أن دولة الخلافة رأت وقتذاك من المفيد مصالحة يوسف بن أبى الساج ، والاعتراف بسلطانه على ما تحت يده من

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ . Defremery : art. : Sajides : Ency. of Islam, Vol. IX, P. 369, 409 + Laurent : Ibid., P. 268 + Runciman : Ibid., P. 152/3.

(٢) Defremry : Ibid., TX, P. 409.

(٣) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٤٥ — ٢٤٦ و Canard : Hist. de la Dynastie Hamdanides, P. 465.

(٤) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية جـ ١ ص ٢٦٧ .

بلاد ، ومنحته مزيدا من السلطات فى ادارة ما تحت يـده من بلـدان وأقاليم ، وذلك مقـابل قيام يوسف بن أبى السـاج بمهمة صد خطر القرامطة عن دولة الخلافة • ومما يؤكد ذلك أنه بعد نحو أربع سنوات من عودة يوسـف بن أبى الساج الى دوين كلفه الخليفـة العباسى (المقتدر ٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ) ٣١٤هـ ــ بمحاربة القرامطة • فينفذ ابن أبى الساج ما كلف به ، ويغادر اذربيجان لهذا الهدف ، لكنه لم يعد اليها ابدا بعد ذلك ، لأنه قتل سنة ٣١٥هـ (٩٢٨م)[1] •

ومن ناحية أخرى فقد تمكن أشوط الثانى بن سمباط التعيس من احلال الهدوء والأمن فى البلاد الأرمينية ، التى كانت خاضعة لسلطانه• كما تمكن من عقد الصلح مع الأمراء الأرمن ، بحيث اعترف له خصومه وأنداده ــ وبخاصة أمراء أسرة أردزرونى ــ بالسيادة عليهم[2] •

ويبدو أن المملكة البجراطية فى عهد أشوط الثـانى ، لم تنشغل كثيرا بخليفة يوسف بن أبى الساج ، حيث ظلت دوين فى دائرة النفوذ الاسلامى ، تحت حكم واليها العربى المسلم نصر السبكى Nacr Subuki أحد غلمان سبك فيما يرجح ــ ثم مات أشوط الثانى سـنة ٩٢٩ م (٣١٦ هـ) ، ليخلفه أخوه عباس (أباز) Abas فى حكم أرمينيـة لمدة ثلاثين عاما (٩٢٩ ــ ٩٥٨م)[3] •

وفى عهد عباس ابن سمباط التعيس (٩٢٩ ــ ٩٥٨ م) عاشـت المملكة البجراطية أزهى وأقوى فترات حياتها ، حيث اعتبرت أقـوى سلطة فى أرمينية ، وذلك على الرغم من أن رئيس هذه الأسرة ــ الملك عباس ــ لم يتمتع بسلطة ملكية حقيقية على كل أرمينية • اذ كان عليه

---

(١) Derfermery : Sajides. Ency. of Islam IX, P. 409 + Canard : Ibid., P. 465.

(٢) Runciman : Romanus Lecapenus 132 - 15 + Laurent Les Bagratuni, P. 292.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamh., P. 465 No. 206.

ويذكر جروسية ان ابا (عباس البجراطى) توفى . حـوالى عام ٩٥٢م او ٩٥٣م مستندا على رواية ازوليك .. راجع :

Grousset : Hist. de la Armenie, P. 478.

مراعاة واحترام نفوذ الاسرة الملكية الاقطاعية الارمينية الاخـرى • وكانت فترة حكم عباس هذه معاصرة لكل من ناصر الدولة وسـيف الدولة الحمدانيين • كما اتسمت الى حد ما باستمرار وجود نوع من الفوضى الاقطاعية ـــ سواء بصـورة مباشرة أو غير مباشرة ـــ بفعـل الأمراء الاتباع أو الاحلاف الأرمن • وقد شملت هذه الفوضى مناطق: ترويبران Turuberan ـــ فيما عدا منطقة الاباهونيك ـــ ومنطقة حوض نهـر الـرس الاعلى والأوسـط ، والبـانيا الغـربية ، بين نهـرى كر (كور) ، والرس Arax ـــ وشمالى أرمينية[1] •

كذلك كانت لاباز (عباس) سيادة أسـمية فقط على منطقـة جورجيا ـــ أى منطقة تفليس Tiphlis وكور العليـا ـــ ، والطايق Taiq ـــ (أى المنطقة الشرقية لتشوروخ الوسطى ، حيث يحـكم هناك أحد فروع الأسرة البجراطية) ، كما شـملت سـلطته منطقـة الطارون Taron التى كانت فى يـد بعض أفـراد الأسرة البجراطيـة كذلك[2] •

وكان حاكم منطقة جورجيا يذكر اسمه عادة مع لقب كوربولات Curopolate أى حاجب البلاط ـــ الـذى كان يمنحه له الامبـراطور البيزنطى • وبعد وفاة الكوربولات اترنرسيه الثـالث Aternerseh III فى عام ٩٢٣ م ـــ خلفه ابن عمه «اترنرسيه الرابع» على حكم منطقـة جورجيا حتى عام ٩٤٥م ، ثم اعقبـه ابنه أشوط الثانى بن اترنرسية الرابع ، الذى مات عام ٩٥٤م[3] •

ومن ناحية ثانية كان أمير اقليم طارون ـــ فيما بين ٩١٤ و ٩٣٦ م (٩١٤ ـــ ٩٢٩ م) فى عهـد اخيـه وخليفتـه (٩٢٩ ـــ ٩٥٨ م) ـــ

---

(١) Canard : Ibid., P. 465-466 No., 207.

(٢) Canard : Ibid., P. 466.

(٣) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٦٥ والبـلاذرى : فتوح ص ١٩٤ و

Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 191, N. 3 + Hist. de la georgie I, P. 280 + Runciman : Romanus le Lecapenus P. 167/1 + Laurent : Bagratuim, P. 99.

هو جريجوريك ـــ أو كريكوريكوس ـــ الذى مات فيما يرجح قبل عام ٩٣٦ م ، فقسمت ـــ بوفاته ـــ منطقة جورجيا بين كل من ابنه الأكبر طورنيق Torniq ، وابن ابو غانم Apoganem آخى جريجوريك[١].

لقد كان أمراء طارون Taron ـــ شأنهم شأن سائر أمراء أرمينية ـــ على علاقة وطيدة ببيزنطه . ويبدو أن جريجوريك كان قد تنازل عن حقوقه اسميا فى ذلك الاقليم بالاعتراف بالسيادة الاسمية للامبراطور البيزنطى ، وذلك مقابل تلقيه معاشا شهريا بصفته السابقة حاكم اقليم الطارون Magister Stratège ، بينما ، احتفظ فعلا باستقلاله[٢].

وتمشيا مع هذا التصرف من جريجوريك فقد منح الامبراطور البيزنطى لقب حاكم ـــ أستراتيجوس ـــ لبجارات بن جريجوريك أما أشوط Achot الابن الطبيعى لجريجوريك ، فمنحه الامبراطور لقب بطريق Patrice ولما كان كل من الأخوين أشوط وباجارات ابنا جريجوريك يطمعان فى نصيب ابن عمهما طرنيق (تورنيك) Torniq فى الميراث ، لذا قرر أشوط التنازل للامبراطور عن اقليمه الواقع فى القسم الغربى من الطارون ، مقابل الاقامة فى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية . لكن المنية عاجلت تورنيك قبل سفر أشوط الى العاصمة البيزنطية[٣].

وبهذا يكون الجو قد خلا لكل من باجارات وأشوط ، لكى يستوليا على ممتلكات (طورنيق) Torniq وذلك بالتنسيق والاتفاق مع الامبراطور البيزنطى ، مقابل تنازلهما عن منطقة اوغنوت Oghnut وما جاورها فى الحد الغربى من اقليم طارون . ويبدو أن حكم باجارات لاقليم الطارون استمر حتى عام ٩٤٠ م فقط ، ثم خلفه أخوه

---

(١) Canard : Hist. de la dynastie de Hamd., P. 466/467.

(٢) Canard : Ibid., P. 467.

(٣) Brosset : Hist. des Ardzrounis, P. 101, No. 3.

أشوط الذى مات عام ٩٦٦/٩٦٧ م حيث آل اقليم الطارون بعــده الى الادارة البيزنطية مباشرة[١].

أما فيما يتعلق بالمملكة البجراتية نفسها ، فقد كانت هناك علاقات بين أباز (عباس) والحمدانيين . وبالنسبة للعلاقات بين بنى الساج وأباز فى اذربيجان فلم يتوافر لنا قدر كاف من المعلومات . وان كان من الثابت أن أمراء بنى الساج — حكام اذربيجان — كانوا يرنــون بناظرهم الى أن تصبح أرمينية كلها تحت سيطرتهم ومع ذلك لم تستمر دوين — عاصمة الحكم الاسلامى فى أرمينية — فى يد أمير عربى واحد كما كان قبــلا[٢] .

ففى سنة ٣١٩ هـ (٩٣١ م) قام القائد المسلم « مفلح الساجى » غلام يوسف ابن أبى الساج — سيد اذربيجان — بحملة انتقامية ضد الروم ، والأرمن الموالين لهم ، عقابا لهم على حملتهم التدميرية ضــد المسلمين المقيمين فى منطقــة بحــيرة (فان) Van ، أو Wan وهذه الحملة هى التى اصبح بعــدها مفلح ســيد اذربيجــان دون منــازع[٣] .

هذا فى الوقت الذى كانت بيزنطه ، قد بدأت طورا جــديدا من أطوار المواجهةمع المسلمين،وذلك بتولى رومانوس ليكابيونس Romanus Lecapenus الحكم (٩١٩—٩٤٤م) . وان كانت توليته أعقبهــا على الفور تغيير ملحوظ فى الموقف على الجبهة الاســلامية ، خاصــة وان الحرب بين البلغار والروم ظلت مضطرمه بعض الوقت . وايا كان الأمر فلم يكن حظ الروم فى البداية سوى هزائم متتالية ، فيما عدا انتصار بحرى أحرزه أسطولهم ضــد القائد المسلم أبو الحارث غلام ظرافه المنطلق بقواته البحرية من طرابلس حول سنة ٣٠٩ هـ (٩٢١/٩٢٢م) .

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٩٤ و
Brosset : Hist. de la Georgie, I, P. 280 + Runciman : Ibid, P. 167/8.

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 468.

(٣) Canard : Ibid, P. 468.

هذا ، فضلا عن محاولة بيزنطية فاشلة ، كانت قد جرت فى أرمينية فى العام التالى لتولى رومانوس ليكابينوس العرش — أى سنة ٩٢٠ م — لانتزاع دوين Dwin — المدينة الاسلامية فى أرمينية — من يد حاكمها سبك Subuk غلام يوسف بن أبى الساج[١].

ولقد أظهرت هذه المحاولة اهتمام الامبراطور الجديد رومانوس ليكابينوس — الأرمنى الأصل — بشئون أرمينية اهتماما خاصا ، فضلا عن اهتمامه بصفة عامة بالحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية، وذلك على الرغم مما يحدق بدولته — من أخطار من جهة الغرب[٢] . واستمرت الحملات العربية الاسلامية تنطلق برا من ملطية ، وبحرا من طرسوس ، كان منها حملة قادها القائد ثمال (ثمل) الطرسوسى Thamal فى عام ٣١١هـ/٣١٢هـ (٩٢٣هـ—٩٢٤م) . وهى الحملة التى اتصل خلالها الطرسوسيون والبلغار ، الذين ركب بعضهم سفن المسلمين وعادوا معهم الى طرسوس[٣].

والجدير بالذكر انه كان هناك فى ذلك الوقت (أوائل القرن الرابع الهجرى) ثمة مشروع لتحالف بلغارى — اسلامى ، سعى البلغار الى تحقيقه فى القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ، حين فكر الملك البلغارى ذو البأس سيميون ، فى غزو القسطنطينية عاصمة الروم ، متطلعا الى تتويجه ملكا (قيصرا) للبلغار والروم معا[٤]. ولما كان من العسير — ان لم يكن مستحيلا — غزو القسطنطينية برا ، لذلك احتاج

---

(١) ابن الاثير : الكامل : حوادث ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٢) ابن الاثير : المصدر السابق حوادث ٣١٠ — ٣١٢هـ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ١٦/٢ — ١٨ وابن الاثير : الكامل : ج ٨ ص ٤٥ حوادث ٣١١ ، ٣١٢هـ ، على انه ليس من المعروف ما اذا كان هؤلاء البلغار هم بلغار سيميون حسبما يرى فازلييف وكنارد ، أم انهم بلغار الفولجا كما يرى آخرون مستندين فى ذلك الى رواية المسعودى . وما اذا كانت ثمة مفاوضات قد جرت بين الطرفين للتحالف ضد الروم أم لا ؟
راجع : المسعودى نفس المصدر والصفحة .

Vasiliev : Byz et les Arabes II, P. 222 + Canard : Arabes et Bulgares, P. 213 + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 90 No. 3, P. 116-117.

(٤) صابر دياب : أرمينية ص ١٥٤ .

سيمون — لتنفيذ فكرته ، الى عون بحرى فعال ، وهو ماحاول الحصول عليه من الفاطميين فى بلاد المغرب ، فضلا عن بعض عرب المشرق . لكنه لم ينجح فى مسعاه لأن سياسة بيزنطه كانت تركز جهودها على الحيلولة دون لقاء البلغار فى تحالف مع الفاطميين أو التعاون معا ضدها ، لادراكها خطورة مثل هذا التحالف أو التعاون لو تم[١] .

وقد حدثنا المؤرخ كنارد[٢] — نقلا عن كدرينوس Cedrenus — عن مشروع التحالف البلغارى الفاطمى . لكن من المؤسف حقا ان المؤرخ كدرينوس لم يحدد لنا زمان أو تاريخ حدوث هذه المفاوضات أو الاتصالات البلغارية الفاطمية التى أجريت للتفاوض لعقد التحالف . وانما اكتفى بقوله فقط ان سيميون البلغارى كان تواقا الى غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها . فأوفد بعثة دبلوماسية الى ملك الافريقيين (يقصد الفاطميين) فى هذا الشأن[٣] . غير ان هذه المساعى البلغارية باءت بالفشل ، لوقوع البعثة البلغارية والوفد الفاطمى معا فى قبضة احدى سفن الأسطول البيزنطى — عند عودة البعثة الى بلادها — وأسرهم ، ثم أطلق الروم سراح الفاطميين — اصطناعا لخليفتهم ودولتهم — مما كان له أثره الطيب فى نفس الخليفة الفاطمى وقتذاك . وبذلك تكون قد فشلت المحاولة البلغارية للتحالف مع احدى القوى الاسلامية لضرب الروم فى عقر دارهم ، مما لم يجد معه سيميون بدا من اظهار المسالمة — مضطرا — للروم والاتفاق معهم على وقف الغارات .

---

(١) صابر دياب : ارمينية ص ١٥٤

Canard : Arabes et Bulgares, P. 214 +

(٢) Canard : Ibid., P. 215.

(٣) من المحتمل ان يكون هذا الاتصال تم بين البلغار والفاطميين حول سنة ٣١١هـ (٩٢٣م) أى فى خلافة عبد الله المهدى (٢٩٦ — ٣٢٢هـ) راجع : Canard : Ibid., 215, 16, 20, 22.

وكان سيميون البلغارى قد احتل عام ٣١١ هـ (٩٢٣م) مدينة أندرينوبل البيزنطية ، ثم اضطر لاخلائها ، حتى يتفرغ لمواجهة ثورة كانت قد نشبت وقتذاك فى منطقة الصرب Serbia • وفى عام ٩٢٤ م (٣١٢هـ) تم لقاء بين كل من الامبراطور رومانوس ليكابينوس وسيميون البلغارى ، تحت أسوار عاصمة الروم (القسطنطينية) • وهذا اللقاء وان لم ينته الى نتائج سريعة ملموسة ، الا أنه أسفر عن تجمد الموقف فى الجبهة البلغارية — البيزنطية حيث توقفت الحروب فيها وقتيا(١) •

على أن الموقف تحسن — بعد ذلك — بين الروم والبلغار ، بعد وفاة سيميون وتولية ابنه بطرس أمر الأمة البلغارية • اذ عقد بطرس معاهدة صلح مع بيزنطة سنة ٩٢٧م (٣١٥هـ) • وفى نفس الوقت فان ما نجم عن هذه المعاهدة من توقف الهجوم البلغارى ، جعل الامبراطور رومانوس يلقى بثقله على الجبهة الشرقية معلنا الحرب ضد المسلمين المجاورين لحدود امبراطوريته من جهة الشرق (بلاد الجزيرة والشام وأرمينية) • وكان مما هيأ الجو لهذا الاتجاه تعيين يوحنا كوراكوس Jean Domestias Corcuas — القائد البيزنطى الأرمنى الأصل — قائدا عاما « دمستق » للقوات البيزنطية آنذاك(٢) •

وهكذا نجد أن رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩هـ—٩٤٤م) واصل سياسة بيزنطة العدائية تجاه المسلمين ، مما مهد الطريق للانتصارات التى أحرزها الروم فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) • وقد عاونه فى هذا السبيل هؤلاء القادة الروم ، الذين كانوا من أصل أرمينى مثل الامبراطور نفسه • اذ وجه هؤلاء القادة اهتمامهم صوب كل من اقليم الجزيرة (الميزوبوتاميا) وأرمينية وكان من أبرز هؤلاء القائد : ملياس Melias (٣) — مليح الأرمنى عند العرب ، وكان قائدا (استراتيجوس) وحاكما للواء ليكاندوس Lycandus

---

(١) Runciman : Romanus Lecapenus, P. 112-115.

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. de Hamd., P. 726, 727.

(٣) عن مليح الأرمنى : (ملياس) راجع •
Gregoire : dans Byzantion, S. 1933. PP. 83-87.
Grousset : Hist. de la Armenie, P. 477.- 478.

وصاحب الدروب . هذا فضلا عن يوحنا كوركواس (جورجين) قائد اقليم الاسكول Scholes اعتبارا من سنة ٩٢٣م (٣١١هـ) ، وأخوه تيوفيل Theophile استراتيج (حاكم) لواء خالديا (كالديا أو كلديا) وهو جد يوحنا تزمسكيس . وكان يوحنا كوركواس خاصة ، هو صاحب الفضل الأول فى اتساع الامبراطورية وامتداد أطرافها تجاه الشرق . مما جعل المؤرخين البيزنطيين يسمونه « شبيه تراجان » أو بليزاريوس القائد المحنك[1].

وعلى الرغم من أن الحكام العرب أوقعوا ببيزنطه — أثناء تولى يوحنا كوركواس قيادة قواتها — بوجه عام — ضربات قاصمة ، وتوغلوا فى احدى حملاتهم حتى عمورية Amorium وأنقرة[2]، فان انتصاره عزز — بوجه عام — موقف الروم ، وجعلهم يصمدون فى وجه المسلمين الذين نالت الخلافات من قوتهم ووحدتهم . هذا فضلا عن ما أصاب الخلافة العباسية والسلطة المركزية للدولة من تدهور وانهيار . فالقرامطه يتهددون العراق وعاصمتها بغداد[3]، وثورات الأمراء ، واضطرابات القصر الخليفى ، كل ذلك ساعد جيوش الروم ، وأجهد القوة الاسلامية وشل فعالياتها وقدرتها على العمل تجاه عدو شرس[4].

ففى بداية عام ٣١٤هـ (٩٢٦م) بدأ هجوم الروم على الثغور والعواصم الاسلامية ، مدركين مدى الضعف الذى كان المسلمون يعانونه . وقد أنذر المسلمين — قبل الهجوم — طالبا أن يدفع مسلموا الثغور الشامية لبيزنطه الضريبة اذا أرادوا ألا يخرب بلادهم . فلما رفض العرب ، دخل الروم بقيادة مليح Meleh الأرمينى ضواحى مدينة ملطية ، وخربوا ما جاورها من قرى ورساتيق . مما دفع السكان الى ارسال وفد لبغداد طلبا للنجدة ، دون جدوى . وذلك بسبب انشغال

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie, P. 731, No. 33.

(٢) ابن الاثير : الكامل حوادث ٣١٩هـ (عن ثمال وحملتيه الناجحتين) .

(٣) ابن مسكوية : تجارب ١/١٤٥ — ١٤٦ وعريب : صلة ١٢٣ وابن الاثير : حوادث ٣١٢هـ ، المسعودى : حوادث سنة ٣١٣هـ .

(٤) ابن مسكوية : تجارب ١/١٥٩ .

العباسيين بالخطر القرمطى ، الذى لم ينتهى الا فى عام ٣١٦ هـ (بداية ٩٢٨م)[1].

كذلك قام الروم — بعد ابرامهم معاهدة الصلح مع البلغار عام ٩٢٧م (٣١٥هـ) بهجمات متواصلة على المنطقة الوسطى من الحدود العربيـــة البيزنطية ، فضلا عن الحملات التى أرسلوها الى أرمينية لمساندة الأرمن ، فى محاولة من الادارة البيزنطية لاجتذابهم للسيادة البيزنطية والولاء للامبراطورية ، كما كان الهدف من هذه المساعدات — الى جانب ذلك — أن يجعلوا من الأرمن مصدر خطر وتهدد دائم لشمال اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) أو الميزوبوتاميا ومنطقـــة (هنزيط) L'Anzitene وحصن زياد ، وشميشاط Chimchât وســـطقة سمسطه Samosata جنوبى ملطية فى نفس العلم ٣١٥هـ (٩٢٧م)[2] .

وفى العام التالى (٩٢٨م/٣١٦هـ) حـــاول الروم بقيـــادة مليح (ملياس Melias) الأرمنى الاستيلاء على مدينة ملطية ، ولكن دون جدوى . وأصبح الوضع حرجا سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) — بالنسبة لكل من ملطية وآمد وأرزن وميافارقين ، لعدم حصول اهاليها على مايدعم صعودهم امام الهجمات البيزنطيـــة الملحة والمحتملة بقيـــادة « مليح الأرمنى » . ولعل ذلك الوضـــع أدركه جيدا القائد البيزنطى فزحف سنة ٣١٨هـ (٩٣٠م) على منطقة سمسطة فى اقليم الجزيرة[3] .

ومن ناحية أخرى كان الوضع مختلفا الى حد ما فى جبهـــة الثغور الشـــامية . ذلك أن أهـــل طرسوس Tarsiotes شنوا حملتين — ضد الروم فى عامى ٣١٤ — ٣١٥هـ (٩٢٦/٧ — ٩٢٧/٨م) فشلت احداهما ونجحت الأخرى . كمـــا شنوا حملتين اخرتين ســـنة ٣١٩هـ (٩٣١م) بقيادة ثمال Thamel الطرسوسى : احداهما كانت فى الربيع ، والأخرى

---

(١) Canard : Ibid., P. 732.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق حوادث ٣١٥هـ وابن مسكوية : نفس المصدر والصفحة .

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie, P. 732/733.

فى الصيف ، فضــلا عن حملة شنها بعد ذلك بقليل سعيد بن حمدان بن حمدون[1] .

ومما يروى ان الروم تمكنوا سنة ٣١٩هـ (٩٣١م)من احتــلال مدينة ملطية للمرة الأولى[2] . وان كان تحديد هذا التاريخ غير مؤكد بصفة قاطعة . ذلك ان رواية ابن الأثير توضح ان أبا العــلاء سعيد بن حمدان تولى فى هذا العام (٣١٩هـ/٩٣١م) حكم الموصل وديار ربيعة ، ثم تلقى أمرا من الخليفة المقتدر العباسى (٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ) باستعادة المدينة (ملطية) التى كان قد اخذها الروم . وهو ما يفهم منه أيضــا ان المدينة استسلمت ليوحنا كوركواس قبل هذا العام ، أى فى العــام الســابق مثلا (٣١٨هـ/٩٣٠م)[3] . فيقول ابن الأثير أن « عســاكر الروم سارت الى سميساط (شميشاط) فحصروها ، فاستصرخ أهلها بسعيد بن حمدان » والى الموصل وديار ربيعة ، الذى اشترط عليــه الخليفــة ــ العباسى ــ المقتدر بالله (٢٩٥ ــ ٣٢٠) عند توليته ، أن يغزو الروم ، ويستنقذ منهم ملطيــة ، التى كان أهلها قــد ضعفوا ، فصــالحوا الروم ، وســلموا مفــاتيح البلد اليهــم ، فحكموا على المسلمين »[4] .

تجهز سعيد بن حمدان وسار الى سميساط لاجلاء الروم عنها . فلمــا قاربها هربوا الى ملطية ، التى كان بها جمع من الروم ، وعسكر القائد البيزنطى مليح الأرمنى (ملبــاس) يؤازره بنــاى بن نفيس الخــارج على الخلافة العباسية ، الذى تمرد على المقتدر وتنصر اثناء

---

(١) عريب القرطبى : صلة الطبرى ص ١٤٦ و
Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 230, 232.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ١٢٠ و
Canard : Hist. de la Dyn. P. 733 No. 40.

(٣) كانت ملطية تحت سيطرة حاميــة بيزنطية ومتمرد عربى يدعى « بناى بن نفيس » الذى كان قد فر من بغداد بعد فشل انقلاب على الخلافة اشترك فيه سنة ٣١٧هـ . راجع : ابن الأثير حوادث ٣١٧هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ٢١٧ (حوادث ٣١٩هـ)

مقــامه مع الروم . فلما أحس الروم بمقدم سعيد بن حمدان اليهم وهم فى ملطية ، خرجوا منهــا ، « خشية ان يدركهم سعيد وعسكره من خــارج المدينة ، ويثور أهلهــا فى الداخــل على الروم فيهلكوا ، ففارقوها « ودخل سعيد بن حمدان ملطية ، ثم استخلف عليها أميرا ، وعاد منها الى غزو بلد الروم وكان دخوله بلد الروم فى شوال سنة ٣١٩ ، حيث قدم بين يديه سريتين تمكنتا من العسكر البيزنطى فى البلد ، فقتلوا منهم خلقا عظيما قبل دخوله اليها »[1] .

وقد أورد أبو فراس الحمدانى فى احدى قصائده ثلاث اشارات بشأن حملة سعيد بن حمدان هــذه على الاقليم البيزنطى . وتعطينا احدى هذه الاشارات أو التعليقات تأريخا للحملة بأنها كانت سنة ٣٢٩هـ (ولكن صحته ٣١٩هـ حيث توفى سعيد بن حمــدان ســـنة ٣٢٣هـ) أما التعليق الثانى — وهو خلو من أى تاريخ — فيبين أن سعيد بن حمدان قام من ملطية وفى صحبته سيف الدولة ، وأنه وصـــل الى ليكاندوس (لوقاندو Luqandu) وسمندو Samandu أو ترامندوس ، والصفصـــاف Ac-Cafcat ووادى صبور . وعلى الرغم مما قيل فى شأن هذه الحملة من أنهـــا انطلقت من حلب — وهو أمر مستحيل بالنسبة لتـــاريخ وفاة سعيد بن حمدان وهو سنة ٣٢٣هـ — ، الا أن من الراجح جدا ان تكون هذه العملية هى عملية سنة ٣١٩هـ . أما التعليق الثالث فيذكر فقط مرور سيف الدولة مع عمه سعيد بملطية عام ٣١٨هـ (والصحيح ٣١٩هـ)[2] . وهذا بلا شـــك كان أول عمل يشترك فيـــه سيف الدولة ، وكان عمره وقتها ١٥ عاما (خمس عشرة سنة فقط) .

أما الرواية الاغريقيـــة التى يوردها كنارد فتؤكد على حقـــائق

---

(١) ابن الاثير : المصدر نفسه ٢١٧/٦—٢١٨ ، وابن حوقل صورة الأرض ص ١٢٠ ، و

Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 733 No. 40.

وسيستولى الروم على ملطية ثانية ٣٢٢هـ بواسطة يوحنا كوركواس، وتبقى فى يدهم حتى عام ٣٨٩هـ (١٠٠١م) كما سيتضح فيما بعد .

(٢) أبو فراس الحمدانى : ديوانه (نشر الدهان) ص ١٣٦ ونسخة برلين ورقة ٣٧ .

أخرى ، أهمها أن أمير ماطية العربى المسلم « أبو حفص » Apochaps من ذرية عمرو بن عبيد الله الاكتـع ، ومعاونه أبو الصلت دخـلا فى مفاوضات مع يوحنا كوركواس ، لأنهما شعرا — فيما يبدو — بأن بغداد لا تعنى بهما • وان يوحنـا كوركواس احتفى بهمـا ، وأرسلهما الى القسطنطينية ، حيث عقدا معـاهدة تحـالف رسمية مع الامبراطور البيزنطى رومانوس الأول ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م) — الذى شارك قسطنطين السـابع بورفيروجنتس الحكم ٩١٣ — ٩٥٩م — وقد عاد بعـد عقـد المعـاهدة الى بلدهما ، حيث حـاربا فى صفوف القوات البيزنطيـة • ثم ظهرا فى القسطنطينيـة كمنتصرين يقـودان أسرى المسلمين • وان المعـاهدة ظلت سارية حتى مات أبو حفص فنقضها أهالى ملطية • كما يذكر كنارد أنه ليس من المؤكد ماإذا كان الموقع الذى حرره سعيد بن حمدان قبل ملطية هو شمشاط أم لا ؟[1] •

على أى حـال ، لقد تخلصت ملطية من الروم مرة أخرى • ومن المحتمـل أن يكون الروم قد قاموا — بعد قليل — بمحـاولة جديدة لغزو المدينة • ففى سنة ٣٢٠هـ (٩٣٣م) حين كان مؤنس الخـادم فى الموصل — متمردا على الخليفة العباسى — علم ان الروم يزحفون على ملطية ، فأتصل مؤنس بناى بن نفيس الذى بقى على صـلة طيبـة بالروم • فاقنعهم بناى بالكف عن الهجوم تلك السنة[2] •

ثم عاود الروم محاولتهم لغزو ملطية سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م بقيادة القائد البيزنطى — الأرمنى الأصـل — يوحنا كوركواس ، الذى صحب معه القائد مليح الأرمنى أيضـا وجنوده الأرمن ، وكان جملة تعداد قوات كوركواس حول خمسين ألف مقاتل • وفى البداية حاربت حامية المدينـة مدافعة عنها خـارج أسوارها ، ولكن كثافة الجند البيزنطى اضطرتهم الى الانسحاب والتحصن داخل المدينة لتقع بعد ذلك تحت حصـار شديد للروم ، ترتب عليـه وقوع مجاعة بين أهلها وانتهى

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 734-735.

(٢) عريب : صلة الطبرى ص ١٧١ .

الأمر باضطرار حامية المدينة الى التسليم فى غرة يوم الاثنين جمادى الاخرة ٣٢٢هـ (١٩ مايو ٩٣٤م)[١]. وسلم الأهالى جميعا . وقد نبه الروم بأنه على كل من يريد البقـاء فى ملطيـة مع أسرته وأمواله ان يتنصر (يتحول للمسيحية) . اما من بقى على اسلامه فتم ترحيلهم الى الأراضى الاسلامية[٢].

وقد تعرضت ملطية ، بعد اقتحام الروم لها واستسلام حاميتها واذعان أهلهـا لحكمهم ، لتخريب وتدمير شديد . وأصبحت بذلك من أمـلاك الادارة البيزنطيـة Curatore ، وظلت كذلك حتى سـنة ٤٩٤/٤٩٥هـ(١١٠١م)[٣] .

الاستيلاء على شميشاط :

تمكن الروم من الاستيلاء على سميساط (شميشاط أو اسمسوساط) فى نفس الوقت الذى سقطت فيه ملطية سنة ٣١٩ فى يد الروم . لكن استيلاء الروم على سميساط هذه المرة لن يكتب له الاستمرار ، وانما سنرى الروم يتمكنون . فيما بعـد ، سنة ٣٢٤ هـ (٩٣٦م) فيقومون بالاغـارة على آمـد وسمسطة ، وأن سمسطة مونهـا سيف الدولة الحمدانى ، ولم يتمكن الروم من فتحها الا فى سنة ٣٤٧هـ (٩٥٨م)[٤].

ولقد نتج عن فتح الروم لملطية ، أنهم فتحوا المنـاطق التابعـة لها وهى هنزيط (يذكرها كنارد انزيتين Anzitene) وشميشاط . وقد أورد ابن حوقل فى كتابه عن المسالك والممالك خبر استيلاء الروم على

---

(١) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ٢٤٧ .

(٢) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٩٤ (حوادث ٣٢٢هـ) والمسعودى : التنبيـه والاشراف ص ١٨٣ ، وياقوت : معجم البلـدان جـ ٤ ص ٦٣٤ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ١٩٧ .

(٣) مختار الهامى : التوفيقات ص ١٦١ . وقد أورد أنه فى ٤ يناير ١١٠١م الموافق غرة ربيع الأول ٤٩٤هـ وقعت فى يد الفرنج أيضـا مدن : سروج من ديار الجزيرة وارسوف بساحل عكا ، وقيسارية .

(٤) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 736.

ملطيـــة وحصن زياد وشميشاط . والراجـــح أن المسلمين تمكنوا من استعادة شميشاط من الروم ثانيـــة ســـنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) ذلك أن سيف الدولة — بعد أن حاصر حصن زياد ، الذى كان تابعا لبيزنطه ، انسحب منهـــا فى نفس الســـنة الى شميشاط — التى كانت تابعـــة لبيزنطه[1].

نتائج سقوط ملطية وشميشاط :

استمر الوضع فى هذه المنطقة غير مستقر لبضع سنوات الى أن ضمت هذه الاقاليم لبيزنطة ابان عهد الأمبراطور رومانوس ليكابينوس (٩١٩ — ٩٤٤م/٣٠٦ — ٣٣٣هـ) . حيث ألحقت هنزيط (أو خنزت أو أنزيتين) Khanzit ، وروما نوبوليس الى اقليم الجـــزيرة (ما بين النهرين — الميزوبوتوميـــا) كما أنشىء من ناحيـــة أخرى — لـــواء سميـــساط[2]. والحق ان ذلك كله يعتبر صـــدى لسقوط ملطيـــة فى يد الروم . وان كان ذلك لا يعنى ان عمليـــة ضم هذه المنـــاطق (هنزيط ورومانبوليس) والانشاء (انشاء لواء شميشاط) تمت جميعها عقب استيلاء الروم على ملطيـــة مباشرة[3].

كذلك كان من نتـــائج سقوط ملطيـــة وشميشاط فى يد الروم ، انتقال قبيلة بنى حبيب — وهى قبيلة منافسة لبنى حمدان — التى كانت تقيم فى منطقة نصيبين ، الى الاقاليم البيزنطية . وهذه القبيلة كانت منذ زمن بعيد فى نزاع مع الحمدانيين ، ولذلك انحازت الى جانب على ابن مقلة الوزير العباسى : فى حربه ضد ناصر الدولة الحمدانى ، الذى كان يهدف الى استعادة الموصـــل من القوات العباسية . وقد احتدم الصراع بشـــدة بين أسرة بنى حبيب وبين الحمدانيين ، الى ان حسم بسقوط مدينة « السميعية » عاصمة بنى حبيب وتدميرها تماما عـــام ٣٢٣هـ/٩٣٥م[4].

---

(١) Canard : Ibid, P. 737.

(٢) قسطنطين بورفيروجنتس . ادارة الامبراطورية ص ٢٢٦ .

(٣) Canard : Hist. de la dynastie des Hamd., P. 737.

(٤) Canard : Ibid., P. 737/8.

وقد حرص نـــاصر الدولة على تلقين بنى حبيب درســـا قاسيا لا ينسى ، فضيق عليهم ، حتى اضطرهم للتخلى عن أراضيهم الخصبة الغنية ، بعد أن جعـــل حياتهم قطعـــة من العذاب • فرحلوا مع قطعانهم الى الاقاليم البيزنطية للاقامة فيها ، واعتنقوا النصرانية ، ثم سرعان ما اندمجوا فى آله الحرب البيزنطية ، وأصبحوا من أكفأ العسكريين فى القوات البيزنطية ، بعد أن كانوا من أخطر أعـــداء الروم[1]•

والجدير بالذكر أن قبيلة بنى حبيب هذه التى كانت من القبائل ذات الشـــأن الكبير ، حيث كانت نديدة لبنى حمدان ، وكان لديها من الفرســـان مايربو على العشرين ألف فارس ، هذا عـــدا أفراد أسرهم أو عبيدهم ، وكلهم على مســـتوى عال من الدربة والتجهيز — لقيت حفاوة بالغة منجانب السلطات الأمبراطورية البيزنطية•وقد نهجنهجهم بعض أفراد من قبائل أخرى هربا وفرارا من بطش الحمدانيين المتوقع بهم لعمالاتهم بنى حبيب • ابان صراعهم ضـــد على بن مقلة[2]•

واذا كان ابن ظافر قد أورد قصـــة بنى حبيب مع الحمدانيين ، فان ابن حوقل ذكرها بمزيد من التفصيل فى الفصل الذى أفرده فى كتابه للحـــديث عن اقليم الجزيرة • فابن ظـــافر تحدث عن التنـــافس بين العشيرتين وهو ما بحدثنا عنه أيضـــا أبو فراس فى ديوانه • بينما يزيد ابن حوقل شـــارحا العوامل التى دفعت بنى حبيب للهجرة ، قائلا ان الحمدانيين انقضوا على البلد وارهقوه بكل ضروب الظلم • • « وحدد أبن حوقل لذلك سنة ٣٣٠هـ تقريبا وهو ما يتوافق الى حد ما مع رواية ابن ظافر عن هذه الحادثة[3]•

---

(١) Canard : Ibid., P. 737/8.

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة . تحقيق روزنتال ص ١٠٣—١٠٥
Canard : Op. Cit., P. 738.

(٣) ابن حوقـــــل : ط ١ ، ص ١٤٠ وما بعدها و ط ٢ ص ٢١١ وما بعدها .
وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣—١٠٥ تحقيق روزنتال

أما روزنتـــال Rosenthall فيربط بين هجرة بنى حبيب للاقاليم البيزنطية ، وبين استيلاء الروم على ملطية ، كنتيجـــة لهذا الاستيلاء والحق ان صدى هذا الغزو كان قويا بلا شك ، ولابد أنه قد أثر بطريقة أو بأخـــرى فى القرار الذى اتخـــذه بنو حبيب بالهجرة — من نصيبين والسميعية ومنطقة الجزيـرة بأكملها — الى الأراضى البيزنطية(١).

لكن كنارد Canard يذكر ان ظاهرة انتقال الجماعات من دولة الى أخـــرى وتحولهم من ديانة الى أخـــرى ، آنذاك ، كانت من الأمـــور المعتادة ، لكثرة حدوثها خلال العلاقات العربية — البيزنطية ، أكثر من ارتباطها بالموقف العسكرى ، وما ينجم عن الصدام بين المسلمين والروم فى ميدان القتال . ألا أن هذه الظاهرة — انتقال جماعات وقبائل عربية الى أراضى بيزنطه وتنصرهم هناك — كانت مما شجع الروم على التوغل أكثر فأكثر فى الأراضى والبلدان الاسلامية ، واحراز النجاح فى منطقة الجزيرة (ما بين النهرين) فيما بعـــد(٢).

---

(١) ابن حـــوقل : ط ١ ، ص ١٤٠ ومابعـــدها و ط ٢ ، ص ٢١١ وما بعدها .
وابن ظافر : الدول المنقطعة ص ١٠٣ — ١٠٥ .

(٢) Vasiliev : Arabes et le Byzance, II., P. 120, 121, 419 - 421.
Canard : Hist. de la dynastie des Hamdanides, P. 737-739.

الفصل الثاني

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم
قبل سيف الدولة

« الفترة السورية الجزرية »

(٣١٩ ـ ٣٣٣هـ / ٩٣١ ـ ٩٤٥م)

الحمدانيون وجهادهم ضد الروم قبل سيف الدولة

(٣١٢ — ٣٣٣هـ / ٩٢٤ — ٩٤٤م)

(أ) مرحلة المواجهة الأولى فى ثغور الجزيرة وأرمينية :

تعرف هذه الفترة من فترات المواجهة الاسلامية — البيزنطية ، باسم « الفترة القبل سيفية أو الفتره الأرمينية الميزوبوتامية »[١]. فقد أهتم الحمدانيون منذ بداية حكمهم فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) بمنطقة أرمينية ، باعتبارها تابعة لسيادة الخلافة العباسية . وكانوا يتطلعون الى أن يصبح هذا الاقليم تحت سيطرتهم المباشرة ، لاعتقادهم باحقيتهم فى الاعتراف بهم كولاة على أرمينية ، تماما فى ذلك مثل الولاة العباسيين على منطقة اذربيجان . ومما شجع الحمدانيين على التطلع لبسط نفوذهم وسيادتهم على أرمينية وادخالهم ضمن نطاق سلطانهم انهم كانوا يحكمون مناطق ديار بكر ، وبخاصة منطقة ارزانين Arzanene — المتاخمة لأرمينية ، فضلا عن بعض المواقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة Tigris فى مقاطعات قرد Qarda وبازبدا Bazabda المتاخمتين لمناطق زاوازان انتزيفاتسك[٢] .

وسعيا وراء الوصول لهذا الهدف ، فقد شيد حمدان ابن حمدون مؤسس هذه الأسرة — سورا حول مدينة ملطية أنفق على بنائه ما بين ٧٠ ، ٩٠ ألف دينار . كما أوصى للمدينة — عن طريق الوقف — بحصة تقدر بأربعمائة فرس من اصطبلاته . وسجل هذه الذكرى بنقش على هذا السور ، شهده سيف الدولة الحمدانى فيما يرجح بعد ذلك عام ٣١٩هـ/٩٣١م ، ونوه به أبو فراس الحمدانى حين دخل ملطية عام ٣١٩هـ ، أى بعد الحملة البيزنطية عليها التى هاجمتها سنة ٢٩٩هـ (٩١١م) بنحو عشرين عاما ، وشكا منها سكان ملطية للحمدانيين[٢] .

---

(١) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 463.

(٢) أبو فراس : ديوانه (الدهان) ص ١١٠ .

على أن هناك روايات ترجع هذا الحدث الى سنة ٣١٤هـ (٩٢٦م) وليس سنة ٣١٩هـ • لانه فى هذا التاريخ (٣١٤هـ/٩٢٦م) يورد ابن الأثير قصة وفد قدم من ملطية الى بغـداد لطلب النجدة ، من الخليفة العباسى • فهل كان حمدان آنذاك (٣١٤هـ) لايزال على قيد الحيـاة الأمر مشكوك فيـه • لأن قوات الخليفة كانت قد أسرت حمدان بن حمدون منذ عـام ٢٨٢هـ/٨٩٥م ، وكان وقتها بالتأكيد فى سن كبيرة ، ومن المؤكد انه توفى سنة ٣١٤هـ • ولذلك نتساءل مرة أخرى فنقول : هل من الممكن ان نحدد لهذه الواقعة تاريخا أقدم من ذلك ، فى الفترة التى حاصر فيها الامبراطور باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م) مدينة ملطية مرة فى سنة ٨٧٢/٢٥٩هـ ، وأخرى سنة ٨٨١/٢م ٢٦٨هـ[1] •

على أى حـال ليس هنـاك ما يشير الى اشتراك الحمدانيين فى الحرب ضد الروم قبل عـام ٣٠١هـ/٩١٣ — ٩١٤م • ومع ذلك ينبغى لنا ، لكى نفهم جيدا وضع البيزنطيين والعرب ، ازاء بعضهم بعضا فى الفترة التى بدأ فيها الحمدانيون — وبخاصة سيف الدولة — أن نعرض أهم الاحداث فى أواخر القرن الثالث وبداية الرابع الهجريين (التاسع / العاشر الميلاديين)[2] •

فبالنسـبة للروم ، لم يكن ليو السـادس (الحكم) (٨٨٦ — ٩١٢م) ، موفقا فى قيادته للروم فى حربهم ضد المسلمين لأنه لم يكن أصلا راغبا فى الحرب • وكل ما فعله هو تحمل رد الفعل العنيف الذى أحدثته هجمات المسلمين فى جزيرة صقلية والشرق ، وفقد مدينة طبرمين عـام ٢٨٩هـ/٩٠٢م • كما لم تسمح الحرب التى اشتعلت من جديد فى أوربا مع البلغار ، للجيوش البيزنطية فى أول الامران تقـاتل على

---

(١) عن غزو ملطيـة ٢٥٩هـ (٨٧٢م) و ٢٦٨هـ/٢/٨٨١م راجـع فازلييف :

Vasiliev : Arabes et le Byzance, P. 40.

وقد أورد الطبرى فى الجزء الثالث من تاريخه (ص ٢٠٢٦) ذكر هجوم ٢٦٨هـ •

(٢) Vasiliev : Arabes et le Byzance, 2, P. 103 - 191 + Dstrogorsky + Brehier : Vie et mort de Byzance. PP. 149/55.

جبهة المواجهة الاسلامية فى الشام والجزيرة فضلا عن أرمينية . بل ان الاسطول البيزنطى منى بهزيمة فادحة عام ٢٨٥هـ/٨٩٨م ، أمام القوات العباسية بقيادة الخصى يازمان Yazman وبعض الامراء العرب[١] . كما هزم سنة ٢٩١هـ (٩٠٤م) على يد القوات البحرية الاسلامية بقيادة أبو الحارث غلام ظرافة (ليو الطرابلسى) التى استولت على الثغر الحربى البيزنطى الكبير الواقع على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى . والمعروف باسم اطاليا أو انطاليا Anatalia على ثغر تساليا (تسالونيك) الذى كان لسقوطه صدى مؤلم فى نفوس الروم[٢] .

والحق ان هذه الهزائم التى منى بها البيزنطيون (الروم) آلمتهم لدرجة اثارت فيهم روح الانتقام . لكنهم مع ذلك لم ينجحوا فى وقف التقدم ، الذى كان المسلمون يحرزونه برا وبحرا . ولذلك حفلت الفترة من ٢٩٦هـ حتى ٢٩٩هـ (٩٠٩ — ٩١٢م) بحملات اسلامية عديدة موفقة ، قامت بها القوات الاسلامية برا وبحرا من ملطية وطرسوس واستطاعوا ان يلحقوا بالاسطول البيزنطى هزيمة ساحقة فى موقعة أمام جزر ساموس فى صفر ٢٩٨هـ (اكتوبر ٩١١م)[٣] .

لقد ترتب على هذه الهزائم التى منيت بها القوات البيزنطية أواخر القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) ، أن اصبح من المستحيل عليهم مساعدة الأرمن . وبالتالى عدم الوفاء بالاتفاق الذى التزموا به تجاه أرمينية سابقا منذ عام ٨٩٣م (٢٧٩م) ، بين ليو السادس (الحكيم ٨٨٦ — ٩١٢م) وبين سمباط الأول البجراتى (البجراطونى ٨٩٠ — ٩١٤م) الملقب بالشهيد والتعيس . مما اتاح ليوسف بن أبى

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك جـ ٣ ص ٢١٨٥ (نسخة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨) .

(٢) الطبرى : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٥٥٠ و صابر دياب ، سياسة الدول الاسلامية (عن النشاط البحرى الاسلامى فى العصر العباسى) و Vasiliev : Arabes et le Byz, P. 138.

(٣) الطبرى : نفس المصدر جـ ٣ ص ٢٢٨٤ — ٢٢٨٧ و Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 723.

انساج غزو أرمينية وأسر سمباط (التعيس) الذى انتهى امره بالموت مقتولا سنة ٣٠١هـ/ ٩١٤م[1] فيما يرجح ، كما أسلفنا قبل .

على انــه لا يجب ان يتبــادر للذهن ان فترة حكم الامبراطور البيزنطى ليو السادس (الحكيم) التى اعقبتها فترة حكم أخيه السكندر (٩١٢ — ٩١٣م) — القصيرة الامد — لم تشهد فيهــا الامبراطورية سوى هزائم لاغير ، على حدودها الشرقية (الثغور الاسلامية) . بل انها شهدت عملية تنظيم لمنــاطق الثغور والحدود البيزنطية ، وانشاء اقسام اقليمية جديدة بهدف ضمان الدفاع عن حدود الامبراطورية[2] .

وفى سنة ٣٠١هـ (اغسطس ٩١٣ — ٩١٤م) قامت حملة حمدانية بقيــادة حسين بن حمــدان — والى ديار ربيعة — بدأت من ملطيــة ، واستولى على عدة قلاع ، ثم عاد عن طريق طرسوس[3] . وظل الروم عاجزين عن احراز أى نصر على المسلمين ، حتى كانت ثورة حسين بن حمدان على الخليفــة العباسى ، وانشغال افضل قادة الدولة العباسية بالقضــاء على هذه الثورة . مما مكن للروم من أن يحرزوا نجاحا على المسلمين فى حملة قامت بقيــادة احد قادتهم وهو « ملياس الأرمنى » Melias — عند العرب مليح Meleh — الذى كان يحكم منطقــة لواء ليكاندوس البيزنطى Lykandos[4] .

لكن بيزنطة لا تلبث ان تتعرض للانتكاسة امام العرب مرة أخرى ، بسبب الاضطرابات الداخلية الناجمة عن محــاولة قسطنطين دوكاس Ducas الاستيلاء على عرش الامبراطورية ، واندلاع الحرب من جديد مع البلغار ، الذين طرقت جيوشهم أبواب القسطنطينية ، وما تعرض له الوجود البيزنطى من متــاعب بسبب اضطرابات منــاطق ابوليا ، وكــلابريا Calabria (قلورية فى صقلية) مما اعاق الامبراطورية عن التصدى بصورة فعالة وقوية لحملات المسلمين البرية والبحرية[5] .

---

(١) الطبرى : المصدر نفسه جـ ٣ ص ٢٢٨٧ .
(٢) Canard : Ibid., P. 724.
(٣) الطبرى : ٢٢٨٩/٣ و Vasiliev : Byz. et les Arabes P. 202.
(٤) Canard : Ibid., P. 724.
(٥) Vasiliew : Ibid., 2, P. 197 - 199.

ومع ذلك لم تغب اهداف السياسة البيزنطية عن الانظار • ففى هذا العصر — فيما يرجح — ساعدت بيزنطة أشوط البجراتى فى أرمينية على اعادة ملك الأسرة البجراطيـــة • وكانت أرمينية وقتذاك مهددة — منذ وفاة سمباط — بالاغراق فى مرحلة فوضى شـــاملة ، خشيت معها بيزنطة ان تؤدى الى وقوعها كاملة فى أيدى المسلمين • ولذلك كان كل ما تهدف اليـــه بيزنطة من مساعدتها لأرمينية ، هو الحيلولة دون بسط النفوذ الاسلامى هناك • اذ ستصبح أرمينية فى يدهم مصـــدر خطر يهدد امن الامبراطورية البيزنطية • وقد استعاد أشوط فعـــلا عرش الأسرة البجراطية ، التى أعلن امراء الأرمن ولاءهم لهـــا ، بما فيهم عميـــد آل اردرزونى • وهذه الاحـــداث سيكون لهـــا فيمـــا بعـــد اهميتها ، لانهـــا تحدد بداية سياسة بيزنطية فعالة (ايجابية) تجـــاه أرمينية ، حـــاول سيف الدولة جهده فيما بعد ان يكافحها فى أرمينية نفسها[1] •

(ب) النشاط البيزنطى فى أرمينية بين سنتى ٣٠٣ — ٣٢٣هـ/٩١٥ — ٩٣٥م :

عهد الامبراطور رومانوس الأول (ليكابينوس) ، الى القـــائد الأرمنى يوحنـــا كوركواس Jeam Curcuas بمهمة قيـــادة العمليـــات القتاليـــة ضد المسلمين الموجودين فى أرمينية ، وذلك لمســـاندة الامير البجراتى ، الذى كان الامبراطور ليو الســـادس (الحكيم) قد وعده بالمســـاعدة منذ ٨٩٣م (٢٧٩/٢٨٠هـ) ، ولـــم تتمكن الامبراطورية وقتهـــا ، بسبب هزائمها المتتـــالية فى شرق البحر المتوسط وصقلية • وكان الامير البجراتى أشوط الثانى (٩١٤ — ٩٢٨م) يشعر بالخوف من سبك Subuk أمير اذربيجـــان المسلم ، وخليفتـــه يوسف بن أبى الساج ، الذى كانت قواته — مع غـــلامه نصر — تسيطر على مدينـــة دوين (اردبيل)[2] •

---

(1) Grousset, R. : Hist. de la Armenie, P. 443, + Runciman : Romanus Lecapenus, P. 131, 249 - 51

(2) Vasiliev : Byzance et les Arabes, II, P. 231.

وفى سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م) قامت حملة بيزنطيـة كبيرة بقيـادة يوحنا كوركواس بالزحف على مدينـة دوين — مقر الحكم الاسلامى فى أرمينية — وكانت حملة مجهزة تجهيزا كبيرا ، كان له اثره الوقتى فى النيـل من عزم المسلمين هناك آنئذ(١) . وقد خربت هذه الحملة — أثناء زحفها على دوين — منطقة فازيان (كاسيان Phasian) الواقعة شرقى قاليقـلا ، عند منابع نهـر الرس (اراكس Arax) ، وهـذه المنطقـة كانت بيد المسلمين كذلك . وعندما وصلت القوات البيزنطية الى مدينة دوين ، نجحت فى احداث ثغرة (ثلمة) فى أسوار المدينة ، نفذت منها الى داخلهـا . ومـع ذلك صمد السـكان ، بعد ان ذهب عنهـم هول كثافة الروم ، وتمكنوا من طرد قوات الروم ، وكان ذلك فى نفس سنة ٣١٥هـ (٩٢٧م)(٢) .

لكن ، على الرغم من الاخفاق الذى حل بهذه الحملة — الكثيفة التجهيز عددا وعدة — فان الروم جهزوا حملة أخرى ، فى السنة التالية مباشرة (٣١٦هـ/٩٢٨م) ، انطلقت من جنوب أرمينية لمهاجمة الامارات الاسلامية العربية فى منطقـة بحيرة فان Van المتاخمة لاقليم الجزيرة (ما بين النهرين الميزوبوتوميا)(٣) .

لقد حاصرت القوات البيزنطيةفىهذه الحملة مدينتى خلاط (خيلات) وبتليس اللتين استسـلم أهلهمـا لهم . كمـا دب الذعـر فى قلوب اهـالى أرزن Arzan وسائر المدن الأرمينية المتاخمة لاقليم الجزيرة . وكان صدى تلك الحملة سريعا فى نفوس الأرمن والمسلمين على السواء . فاستنجدوا بالخليفة العباسى فى بغداد(٤) . ولكن استغاثتهم ذهبت صرخه فى واد دون جدوى . بسبب ما كانت الخلافة تعانيـه وقتذاك من مظـاهر ضعف وانهيار فى سلطتها . وفى ذلك يذكر ابن الوردى

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ٨ ص ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٣ .

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 739.

(٣) ابن الوردى : تـاريخ ابن الوردى (تتمة المختصر) ص ٣٨٨ (تحقيق احمد رفعت البدراوى)،ط : دار المعرفة — بيروت ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م

(٤) Canard : de la Dyn. P. 739 - 740.

أن الدمستق (القائد البيزنطى) « صالحهم على ان يقلع منبر الجامع ، ويعمــل موضعه صليبــ ، فاجــابوا وفعلوا ذلك ، وفعــل ببدليس (بتليس) كذلك »[١] .

وفى سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) قامت حملة بيزنطية أخرى بقيادة يوحنا كوركواس أيضــا بالهجوم على مدينة دوين . لكن أمير اذربيجــان مفلح الساجى تمكن من التصدى لها ودحرها . فعاود الروم الهجوم على منــاطق اسلامية أخرى فى أرمينية بعد ذلك بعــامين (أى سنة ٣١٩هـ/٩٣١م) . وهذه المنــاطق هى : بيركرى (بركرى) وخلاط (خيــلات) وما جاورهما . وقد تمكن الروم فى هذه الحملة من رقاب المسلمين فقتلوا منهم عددا كبيرا ، كما اسروا كذلك عددا آخر .

ولمــا كانت هذه الحملة البيزنطية سنة ٣١٩هـ/٩٣١م ، وسابقتها التى تمت سنة ٣١٧هـ (٩٢٩م) ، قد دفع اليهما وحرض عليهما ملك اقليم الفاسبوراكان « جاجيك بن جريجور درنيـك » (المعروف بابن الديرانى فى المصــادر العربية) ـــ لذلك صمم مفلح الســاجى أمير اذربيجــان على الثأر منــه لدماء من مات من المسلمين على يد القوات البيزنطيــة . فجهز حملة كبيرة هاجم بها فى رمضــان / شوال ٣١٩هـ (سبتمبر / اكتوبر ٩٣١م) ـــ اقليم الفاسبوراكا كان انتقاما لموقف ملكه جاجيك بن الديرانى[٢] .

والجدير بالذكر . أنه على الرغم من تذرع الــروم وادعاؤهم المحافظــة على مصــالح الشعب الأرمنى كمبرر لتدخلهم فى الشئون الأرمينية ، وتجريد حمــلاتهم لمناهضــة الوجود الاســلامى فى هذه البلاد ، الا ان الشــعب الأرمنى ، لم يغب عنــه مطلقــا الاهداف البيزنطية التوسعية فى بلادهم . ولذلك لم يمدوا للروم يدا بمساعدة أو عون من أى نوع كان فى حروبهم للمسلمين هناك . وكان موقفهم

---

(١) ابن الوردى : المصدر السابق ٣٨٨/١ .

(٢) Vasiliev : Byz. et les Arabes, P. 231, + Macher : Erzerouni, P. 223, by Canard : Ibid., P. 740.

هذا محل تقدير كبير من الامراء والحكام المسلمين فى كل من أرمينية واذربيجان ، وسببا فى معاملتهم بما يتفق مع موقفهم الطيب هذا[١] .

وايا كان الامر ، فلقد نتج عن هذه الحملات البيزنطية المتتالية ضد المناطق التى يوجد فيها المسلمين فى أرمينية — وهى حملات سنوات ٣١٥،٣١٦،٣١٧،٣١٩هـ — ما يشبه التحويق لعملية بسط النفوذ الاسلامى والثقافة العربية هناك . مما أثر فى قوة موقف أمراء العرب والمسلمين تأثيرا سيئا ، لدرجة أن اصبحت الممتلكات والاقاليم الاسلامية الواقعة فى المناطق التى تحت السيطرة البجراتية والاردزرونية عارية عن أى حماية تقف فى وجه المطامع البيزنطية[٢] .

فقد اخبرنا قسطنطين بورفيروجنتس ان الامراء الذين كانوا من قبل تبعا لسمباط البجراتى ، اضطروا — نتيجة لضعف موقفهم — الى الاذعان بدفع الجزية للامبراطور البيزنطى ، مع الاقرار له بالتبعية ، كما فعل امراء طارون وجورجيا والبجراتيون الأرمن انفسهم . لذلك كان على سيف الدولة الحمدانى ان يواجه مثل هذا الموقف المتدهور الذى كان يعانيه الوجود الاسلامى فى هذا الصقع والذى اصبحت آثاره غير قاصرة على المناطق الأرمينية ، بل صار من المحتمل جدا امتدادها بتأثيراتها الى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) نفسه[٣] .

رد الفعل الحمدانى : أولى عمليات سيف الدولة ضد الروم فى أرمينية :

لقد باشرت بيزنطة نشاطها — بنوع خاص على الجبهة الأرمينية الميزبوتامية — طبقا لخطه مد الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية ، التى طبقت منذ عهد باسيل الأول (٨٦٧ — ٨٨٦م/٢٥٣ — ٢٧٣هـ) . وقد اهمل الروم الجزء الجنوبى فى الجبهة لصالح القطاع الشمالى .

---

(١) Makler : Erzerouni, P. 223.

(٢) Canard. : Ibid., P. 740.

(٣) بوروفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٥١ وما بعدها .

ولذلك باشر الامراء العرب وبخاصة حكام طرسوس عملياتهم من هذه الناحية . كما تصدى — من ناحية أرمينية — « ممنح » الساجى لهجمات يوحنا كوركواس مرات عديدة . اما عن النشاط الحمدانى فى ملطية ، فلم يكن هناك نشاط عسكرى حمدانى ذا بال ، سوى الحملة التى قام بهـا سعيد بن حمدان السابقة الذكر (١) .

وحين استتب الامر للحمدانيين فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين : الميزوبوتوميا Mesopotomia) . التزموا جـانب الدفـاع عن هـذا النطـاق من الثغور الاسـلامية ، « الثغور الجزرية » ، نيـابة عن الخـلافة العباسية التى كانت عاجزة وفى حالة لا تسمح لها بتحمل مسئولية المواجهـة ضد الروم فى منـاطق الثغور الاسلاميـة ، سواء الشاميـة أو الجزرية (٢) .

وقد عهد ناصر الدولة الحمدانى الى اخيه على (الذى سيعرف فيما بعد بسيف الدولة الحمدانى) ، بتولى مسئوليـة حكم منطقـة ديـار بكر ، التى تم انتزاعها من احـد الامـراء المتمردين بمساعدة وتحريض امراء اقليم طارون الأرمنى . وكان هذا الامير الحمدانى الشاب « على » (سـيف الدولة فيما بعـد) ، قد اشترك منذ عـام ٣١٩هـ (٩٣١م) — كما رأينـا — فى حمـلة على الاقليم البيزنطى ، واصبح بذلك يمثل خطرا يتهـدد الوجود البيزنطى ونشـاط ونفوذ القـائد البيزنطى يوحنا كوركواس (٣) .

كذلك اشترك ناصر الدولة فى هذه المواجهـة ضد الروم ، ولكن بنصيب أقل من نصيب أخيه على . كما تدل على ذلك ابيـات اوردها أبو فراس الحمدانى . وربما كان ذلك فيما بعد فى حمـلات ٣٢٣ أو ٣٢٤هـ ، اذ أورد أبو فراس هذه الابيـات عقب الابيـات التى تتحدث عن نجاح الصراع ضد بنى حبيب — ذلك الصراع الذى نعلم انه انتهى أواخر عـام ٣٢٣هـ (نوفمبر ٩٣٥م) — وانه داس بحوافر خيله أرض

(١ ، ٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

(٣) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamd., P. 741.

قلعتى وارتنس Wartanis ، وعاد مع الاسرى الذين جمعهم ، والذين كانت الاصفاد ترن فى أرجلهم وأيديهم ، ووطلقهم كالماشية على مرج قليز . وقد اورد ياقوت فى معجمه ان الحملة كانت ضد وارتنيس التى خضعت لسيف الذولة ، ثم يذكر فى موضع آخر شيئا مخالفا حيث يقول ان سيف الدولة توجه بحملته الى كولونيا[1] .

على اية حال ، يمكن ان نستنتج من ذلك ان الحملة وقعت فى اقليم ما بين النهرين (لواء الميزوبوتاميا) ، وذلك اذا كانت وارتنيس تطابق — كما ذكرنا قبلا — الموضعين اللذين يحملان اسم فاردنق Vardenik فى هذه المنطقة الأرمينية البيزنطية . فهل كان ابن الأزرق يقصد هذه الحملة حين قال « ان ناصر الدولة استرد فى عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م ملطية وكل الاماكن المحيطة بها ، ودخل الخيزرانى وطارده حتى أطراف اقليمه »[2] . وهذه هى العبارات القليلة الوحيدة التى تحدثت عن ناصر الدولة[3] بخصوص المواجهة مع الروم ، فضلا عن بيت من الشعر ورد فى ياقوت وردت فيه اشارة الى حصن زياد[4] .

(ب) مرحلة المواجهة البيزنطية — الحمدانية فى ثغور الجزيرة وبلاد الشام :

(٣٢٤ — ٣٣٢هـ/٩٣٨ — ٩٤٤م)

تمكنت القوات العباسية بقيادة الوزير على بن مقلة فى سنة ٣٢٣هـ (٩٣٥م) من طرد ناصر الدولة الحمدانى — الذى لم يكن حتى ذلك الوقت ملقبا بهذا اللقب — من الموصل . فالتجأ « ناصر الدولة » الى جبال زوازان بأرمينية ، ريثما يتمكن من العودة اليها ثانية . على انه خلال اقامته القصيرة هناك — التى لم تتجاوز شهرين على الاكثر — تمكن من جعل بعض امراء الأرمن يقبلون بسيادته

---

(١) ياقوت : المعجم جـ ٤ ص ١٦٨ .

(٢) ابن الأزرق : تاريخ ميافارقين (تاريخ الفارقى) و Canard : Ibid., P. 742.

(٣) هو ناصر الدولة الحسن بن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون راجع زامباور ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة جـ ٢ .

(٤) ياقوت : نفس المصدر جـ ٤ ص ٩١٩ .

عليهم ، بل ويسلمون له بدفــع الجزية السنوية التى كانوا يدفعونها للخليفــة العباسى فى بغداد[١] .

اصبح نــاصر الدولة فى حكــم الوالى (الامير) على قســم من أرمينية — وليس على كل أرمينية كمــا اشار لذلك بعض المؤرخين — وذلك لان العمــل الذى قام به ناصر الدولة الحمدانى ، لم يمتد الى العديد من نطــاق اقليم الفاسبوراكان ، وربمــا لم يتجــاوز منطقة الزوازان[٢] .

وفى سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) يتغير موقف الخــلافة من ناصر الدولة الحمدانى ، اذ يصدر الخليفة العباسى الراضى بالله (٣٢٢ — ٣٢٩هـ) قرارا إعترف فيه بناصر الدولة واليا على اقليم الجزيرة كله ، بما فيه ديار مضر . وكان ذلك فى الوقت الذى ثار عليه احد اتبــاعه فى أرزن وهو على بن جعفر الديلمى[٣] .

وعندما كلف ناصر الدولة اخاه الاصغر على — المعروف فيما بعد بسيف الدولة — بالقضــاء على ثورة على بن جعفر الديلمى ، استنجد هذا الخــارج المتمرد بابن طرنيق[٤] (ابن الديرانى) واشراف هــذا

---

(١) ابن الأزرق : تــاريخ الفــارقى ص ١١١ والذهبى : تــاريخ الاسلام ورقم ١٠٧ .

(٢) Canard : Ibid., P. 478.

(٣) الذهبى : المصدر السابق ، ورقة ١٠٧ — ١٠٨ وابن الازرق : نفس المصدر ص ١١١ .

(٤) بالطبع لا يمكن ان يكون ابن درنيك (طرنيق) ملك ارمينية هو اباز (عبــاس) البجراتى بل الراجح أن يكون ابن طرنيق هذا هو أمير اقليم الطارون القريب من ديار بكر ، والذى ربما يكون قد حمــل لقب « ملك » الذى تأكد فيما بعد لاحد خلفائه . ولعل استجابة ابن طرنيق لاستنجاد على ابن جعفر الديلمى ، مرجعه خوفه من أن يسلك الحمدانيون (حكام ديار بكر) نفس المنهج الذى سلكه احمد بن عيسى بن الشيخ (من بنى شيبان) الذى امتدت سيطرته الى اقليم الطارون . كما لا يمكن ان يكون ابن طرنيق هذا ابنا لطرنيق بن ابو غانم وابن عم الاخوين بقراط (بجارات) واشوط ابنــا جريجوريك الذى سبق ذكره قبلا . ويبدو ان تسمية المصادر العربية لابن طرنيق بهذا الاسم ، لها قيمة عرقية أو جنسية ، تماما كعبارة ابن الديرانى التى قصدوا بها درنيك ملك الفاسبوراكان . وابن طرنيق هذا اسم احد الاخوين بجارات أو اشوط الذى حكم فى اقليم طارون عام ٩٣٦م (٣٢٤هـ) وهو بجارات فيما يرجح .

البلد مصــورا لهــم الامر على انــه اذا تمكن الحمدانيون من البلد ، فسيكون فى ذلك خطرا يهدد امنهم وسلامتهم[١] .

وعلى الرغم من كل ذلك ، تمكن سيف الدولة من احبــاط خطــة الثائر على بن جعفر الديلمى وحلفائه من الأرمن ، وأخمد تمرده . وربما يكون سيف الدولة قد انســاح بقواته — بعد اخمــاد تمرد الديلمى وحلفــائه — حتى وصــل الى اقليم الطــارون نفسه . لكن من غير المحتمــل — كما يذكر ابن ظــافر وهو الوحيد الذى تحدث عن هــذه الواقعة — ان يكون سيف الدولة ، قد سيطر على كل الاقاليم الأرمينية الى جانب البــلاد المتاخمة لديار بكر فى مثل هذه الظروف . بدليــل انه بعد رحيــل ســيف الدولة استولى الروم على سمسطه دون ان يمســوا الســكان — هذه المــرة — بأذى — كما يذكر الذهبى وابن ظــافر[٢] .

لم يعاود سيف الدولة الجهاد ضد الروم ، الا فى عــام ٣٢٦هـ (٩٣٧/٩٣٨م) ، حيث تمكن من احــراز أول نصر له على الروم ، فى منطقــة انزيتين البيزنطية النفوذ . وتقدمت القوات الحمدانية حتى دادم . (دارم Darim دادم Dadim) الواقعــة جنوبى حصن زياد فى منطقــة تل هنزيط . وكان ذلك فى شــهر ذى القعدة ٣٢٦هـ (سبتمبر ٩٣٨م) ومن هناك أرسل فرقة من جيشه بقيادة الحسن بن على قواس ، ســارت حتى وصــلت الى تــل ارســناس غــربى حصن زيــاد (أو تلنزيت Tilenzit)[٣] شرقا . ثم مضى ســيف الدولة لحصــار حصن زياد ، فاستولى عليــه ، ومكث به سبعة أيام ، فلمــا وصــل الروم فى قواتهم الكثيفة (التى قيل انها بلغت مائتى ألف مقــاتل ؟) انسحبت القوات الحمدانية شرقا ، فى اتجــاه شمشاط ، بينما تعقبتهم

---

(١) Canard : Ibid., P. 479.

(٢) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعــة وابن الأزرق : تــاريخ ميافارقين ص ١١١ الذهبى تاريخ الاسلام ص ١٠٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/١٥٤ — ١٥٥ .

خيـالة الروم ونزل قلعة تسمى بـ « المقدمية » وهم ان يناجز الروم منها ، ثم تركها لتطيره[1] منها .

التقى الجمعان — البيزنطى والحمدانى — فى معركة طاحنة كان مسرحها فى المنطقـة بين حصن زياد وحصن سـلام . وكانت نهـاية المعركة نصرا مؤزرا احرزه الحمدانيون بقيـادة سيف الدولة ومعـه غلمانه يمالك Yamak وعبد الاعلى بن مسلم . حيث تمكن يمالك من دحر فرقة بيزنطية كبيرة من مجموع القوات البيزنطية ، بلغ عدد افرادها عشرون الفـا . واستولى الحمدانيون على المنصـة والعرش اللذين اعتاد الدمستق (القـائد) يوحنا كوركواس ان يجلس عليهما ، ليشرف منهـا على حركة قواته وسـير المعـارك[2] . وكانت هذه الموقعـة فى العـاشر من شهر ذى الحجـة ٣٢٦هـ (الموافق ٩ اكتوبر ٩٣٨م) . وقد برز فيهـا غلمـان الامير الشاب سيف الدولة الحمدانى . ومنهم يمالك التركى الذى توفى بعد ذلك عـام ٣٤٠هـ (٩٥١ — ٩٥٢م) وزميله عبد الأعلى بن مسلم[3] وقد نسب أبو المحاسن هذه الموقعـة — خطأ — الى ناصر الدولة الحمدانى[4] .

وقد ابرز أبو فراس الحمدانى — ابن عم سيف الدولة — هـذا الانجـاز الرائع ، الذى ورد عنـه ان الدمستق وصـل ومعه نحو ثمانين الف رجل ، بينما كان سيف الدولة معسكرا امام حصن زياد ، وان قوات الامير الحمدانى حوصرت فى مكان يسمى سلام (أى حصن سلام) ، وأن سيف الدولة ، الذى كان بامكانه ان يفر ومعـه ماخف حمله من المتاع والمـال - رفض ، واشتبك مع العدو ، وهزم الذومستيق (القائد) البيزنطى وجموعه . ومما يذكر ان الأمير الحمدانى — سيف الدولة — نفذ حتى وصل الى المكان الذى كان فيـه يوحنا كوركواس ،

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٥٥ .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ص ٢/ب — ٢٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٠٧ وما بعدها و ابن الأثير : الكامل ٥٥/٨ وما بعدها .

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٦٣ .

وان المعـــركة التى جرت بين الفـــريقين كانت على ضـــفاف نهـــر الارسناس[1] • وقد كان عـــدد قتلى الروم كثيرا جدا • ومع ذلك لم تسفر عن توطيد للنفوذ العربى الاسلامى فى شميشاط وقتذاك[2] •

ومن جهـــة أخـــرى ، فبينمـــا المعركة محتدمة ، بين الحمدانيين والروم ، على أرض شميشاط وعلى ضفاف نهر الاسناس ، كانت هناك مفاوضات دائرة بين محمد بن طفـــج الاخشيد والخليفة العباسى من جهة ، والامبراطور البيزنطى من جهـــة أخرى ، لتنفيذ عمليـــة فداء الاسرى بين الجانبين — العبـــاسى الاخشيدى والبيزنطى — وكانت بيزنطة حريصة على ذلك لعقد هدنة مع الاخشيد حاكم مصر وجنوب الشام ، ليتسنى لها تركيز قوتها والتحرك بحرية تجـــاه اقليم الجزيرة ومنطقـــة أرمينية ضد الحمدانيين هناك[3] •

كما أدرك الامير سيف الدولة الحمدانى ، ما ينطوى عليه وضع مناطق الثغور فى اقليم الجزيرة (ما بين النهرين) من خطر نتيجة ضم منطقتى ملطية والانزيتين للسلطة البيزنطية ، هذا فضـــلا عن خضوع بعض الأسرات العربية فى أرمينية للسيادة البيزنطية • لذلك نرى سيف الدولة يقرن — فى السنوات التالية لسنة ٣٢٦هـ — حمـــلاته ضد الروم فى اقليم الجزيرة ، بعمليـــات أخرى كان مسرحها الأراضى الأرمينية • ولم يكن ذلك سوى بمثابة اجراء وقائى قام به سيف الدولة ، لحماية النفوذ الاسلامى (الحمدانى) على أرض أرمينية ، وليدعم موقفه فى مواجهة الروم سواء فى الشام أو الجزيرة •

والجدير بالذكر أن هذا النشاط الحربى الحمدانى فى البـــلاد الأرمينية ضد الروم ، لم يكن له ايـــة انعكاسات ، أو ردود فعـــل سيئة لدى الشعب الأرمنى وحكامه على اختـــلاف اسراتهم • ولعل ذلك كان راجعا بالدرجة الأولى الى اطمئنان الأرمن — شعبا وحكومة —

---

(١) ابو فراس : ديوانـــه ورقـــة ٣١ ، ١/٣٩ (مخطوطه برلين) وص ١١٦ ، ١٤١ نسخة محمد سامى الدهان •

(٢) Canard : Ibid., P. 473.

(٣) Vasiliev : Byz. et les Arabes, II, P. 241 - 244.

الى نوايا الحكم الاسلامى بصفة عامة ، فضــلا عن بغضهم للعمليات البيزنطية التى اتسمت بنوع من فرض الوصاية على هذا الشعب . هذا الى جانب أنفقة الشعب الأرمنى نفسه من التدخــل البيزنطى ، لتشككه فى نوايا الامبراطورية تجــاه بلادهم ، مع الوضع فى الاعتبار ثقة الشعب الأرمنى المفرطة فى نفسه . بدليل نجاح اطوم بن جورجين أمير منطقــة الزوازان سنة ٣٢٦هـ (٩٣٧ — ٩٣٨م) فى التخلص من لشكرى الديلمى — حين اساء السيرة — بيسر وسهولة[١] .

ولعل هذا الحدث — عزل لشكرى الديلمى — كان من المؤشرات التى نبهت سيف الدولة الى ضرورة العمل على تأمين طريق يمر منــه عبر أرمينية ، لتكون تحت سيطرة السيادة المبــاشرة للحمدانيين — ، وهو ما فعله ســنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) . وقد رافق عمله هــذا بعمل مضــاد للروم ، باعتبارهم المحرك الرئيسى والاساسى لكل ما من شأنه زعزعة الوجود الاسلامى فى تلك البلاد[٢] .

اما ناصر الدولة ، فكان منذ سنة ٣٢٤هـ (٩٣٥ — ٩٣٦م) يطمع أن يكون له حكم اقليم اذربيجــان ، الذى لــم يرد له ذكر فى عهــد التولية الصادر له فى المحرم ٣٢٤هـ (ديسمبر ٩٣٥م) من الخــلافة فى عهــد الراضى بالله العبــاسى (٣٢٢ — ٣٢٩هـ)[٣] . وكان الخليفــة العباسى قــد أسند ادارة اقليم اذربيجــان الى احد ضباط بنى الساج ويدعى ناطف[٤] . وكان اقليم اذربيجــان وقتها تحت حكم وادارة ديســم بن ابراهيم بن شاذلوية . ولكن ليس من المعــروف ولا من الواضح ما اذا كان ناطف قد اصطدم هناك بالحــاكم السابق عليــه

---

(١) Canard : Une lettre de Moh. b. Tugj, P.189 - 195.

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 480.

(٣) الاصفهانى : الاغانى جـ ٩ ص ٥٨ — ٥٩ .

(٤) هو احد الضباط الذين عملوا مع الأسرة الساجية فى اذربيجان . وقد لجأ سنة ٣٢٥هـ (٩٣٦م) ، الى الموصل هربا من الاجراءات الصــارمة ، التى اتخذها الوزير ابن رائق ضد بنى الســاج ، وكل من يمت لهم بصلة أو يلوز بهم معــا .

فى اذربيجــان وهو ديسم بن ابراهيم ؟ ام ان السلطة انتقلت اليــه بهدوء ودون صدام ؟ أو بأى كيفية امكن لناطف الساجى ان يستقر فى اذربيجــان ؟ وذلك لان قسما منها ـ وقتئذ ـ كان تابعا بشــكل أو بآخر لاحد الحمدانيين • وهو ما يحتمل ان يكون القسم الواقع جنوبى بحيرة أرميــة Urmia الآهــلة بالاكــراد الذين كــانوا على صـــلة بالحمدانيين[1] •

على اية حــال ، فانه يبدو أن ناطف لم يطرد من اذربيجــان الاعلى يد لشــكرى بن مردى الديلمى ، الذى استطاع ان يســتعيد المنطقــة الى سيطرته وازاحة ديسم بن ابراهيم منهــا ، اذ يخبرنا الذهبى[2] ، فى تاريخــه ـ أن ناطف انهزم امام لشــكرى بن مردى الديلمى • وكان هذا الديلمى قائدا من قواد وشمكير وعامله على اقليم الجبل • وكان يسعى ـ كغيره من القواد الديالمه ـ الى تكوين امارة مستقلة • وقد استولى لشكرى الديلمى على البــلاد ، وأجبر ديسم ابن ابراهيم على الالتجــاء الى وشــمكير ، الذى كان وقتــذاك فى منطقــة « الرى » باقليم الجبل • وكان ذلك فيمــا بين سنتى ٣٢٦ ، ٣٢٨هـ (نوفمبر ٩٣٧ ـ ٣٠ اكتوبر ٩٣٨) •

كما سار لشكرى بن مردى الديلمى الى أرمينية ، التى توغل فيها حتى وصل الى اقليم الجزيرة ، حيث كان يطمع فى ثروات الموصــل وديار ربيعة ، التى لم يكن لديها آنذاك حاميــة قوية تدافع عنها لقلة سكانها • اما ديسم بن ابراهيم فقد وصل الى منطقة انتزيفاتسك أو « الزوازان » ، التى كان يحكمها وقتذاك « اطوم بن جورجين بن أبى بلــج » الذى كان يمت بصــلة القرابة للملك الفاسبوراكان جاجيك بن ديرنيك وتابعه[3] •

أما بالنسبة للنشاط الاسلامى وقتذاك فى المنــاطق الأرمينيــة

---

(1) Canard : Hist. des la Dyn. des Hamd., P. 456.

(٢) الذهبى : دول الاسلام (مخطوطه) ورقة ٥٨ •

(3) Canard : Ibid., PPP. 456 - 457.

واقاليمها ، فتورد الروايات ذكر حملة اسلامية لم تحدد تاريخها بدقة ؛ وان ذكرت انها كانت بعـــد سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م) • وان هذه الحملة قدمت من اذربيجـــان فيما يرجح • وقد واصـــلت الحملة سيرها الى مدينة دوين عبر مقاطعتى جغطن Goghten وناختشيفان Nachitchevan وأصيب الملك أباز الأرمنى بهزيمة فادحة امام قوات هذه الحملة ، مما اضطره للفرار الى اقليم جورجيا Georgia ، حيث ساعده جاجيك بن ديرنيك الاردزورونى ملك اقليـــم الفاسبوراكان ، الذى تبنى بنفســـه مسئولية محـــاربة المســـلمين • وقد تمكن جاجيك من دخـــول دوين (الاسلامية) وفرض على من بها من المسلمين اتاوة (جزية) كما فرض عليهم تســـليم بعض الرهائن ضمانا للالتزام بالاتفـــاق معه ، بعد ان خربت قواته المدينة وحرقت ضواحيها ونهبت دورها(١) •

ومن المـــلاحظ ان المؤرخين المســـلمين لم يوردوا شيئا عن هذه الحملة • ولذلك فليس من اليسير معرفة اسم الامير المســـلم ، الذى قاد الحملة المضـــادة على دوين لتخايصها من القوات التى هاجمتها : هل هو ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ؟ أم لشكرى بن مردى الديلمى ؟ أم هو حسين بن سعيد الحمدانى ؟ أم ناطف ؟ أم مرزبان بن محمد بن مسافرين سلار بعد سنة ٣٣٠هـ (٩٤١/٩٤٢م) ؟

على أى الاحوال ، فان اختفاء الاسرة الساجية من مسرح الاحداث فى اذربيجـــان ، فى هذا الوقت ، عرض النفوذ والوجود الاســـلامى فى هـــذه الأصقاع لموقف حرج • اذ صـــار امراء المســـلمين فى دوين واذربيجـــان عاجزين عن بسط سيادتهم على ما تحت يدهم من بـــلاد أرمينية ابان الثلاثينات من القرن الرابع الهجرى(٢) •

والجدير بالذكر ان مملكة اردزرونى الأرمينية ، كانت من صنع يوسف بن أبى الساج (الحاكم المسلم) على اذربيجـــان • ذلك انه

(١) Grousset : Hist. de L'armenie P. 465 - 66, + Brosset : Hist. de L'Ardzroni P. 241, + Laurent : Bagratuni P. 86.

(٢) Brosset : Hist, de L'Ardzrouni, P. 242, + Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 466.

اراد بذلك عرقلة نمو الاسرة البجراطية ومملكتها • ولذلك قرر منح الرتبة الملكية لاسرة اردزرونى الاقطاعيـــة الأرمينية ، ليصير ولاؤها اليـــه ، فيضمن بذلك ولاء المنطقـــة التى يحكمونها ــ وهى اقليـــم الفاسبواكان ــ بواسطة أحـــد أفراد تلك الاسرة وهو : جاجيك بن جريجور ديرنيك ، وذلك منذ عام ٩٠٩م (٢٩٦ ــ ٢٩٧هـ)[١] •

فلما قام يوسف بن أبى الســـاج بحركته التمردية على ســـلطة الخـــلافة العباسية اوائل القرن الرابع الهجرى ، ابان حكم الخليفـــة المقتدر بالله (٢٩٥ ــ ٣٢٠هـ) ، حرص الخليفة ــ نتيجة لذلك ــ على انتزاع اقليم الفاسبوراكان من نطاق نفوذ بنى الساج حكام اذربيجان • وقد جاءت هذه الاحداث والتطورات فى وقت كان الملك الاردزرونى ، قد بدأ يجاهر بتحديه ســـلطة بنى الساج عليه • فاستغل الخليفـــة هذا الوضع ، وأعلن حسن نواياه تجـــاه اقليم الفاسبوراكان وحكامه ودلل على ذلك بأن ارسل الى الملك الاردزرونى تاجا ملكيا ، دليـــلا على اعتراف الخلافة العباسية به ملكـــا على اقليمـــه ســـنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) • وكرر ذلك ســـنة ٣٠٦هـ (٩١٨م) ، حين ســـارت قوات الخـــلافة لمقاتلة ابن أبى الساج[٢] •

ولا يخفى ان الخـــلافة العباسّـــية كـــانت تـــريد ، بمحـــاولة احتوائهـــا لحكـــام الفاسبوراكان ، ضـــمان وقوفهم الى جانبهـــا ، وكان ذلك ابان حكـــم جاجيك بن جريجـــور ديرنيك (٢٩١ ــ ٣٣٢هـ) (٩٠٤ ــ ٩٤٣م)[٣] ، الذى اتســـمت الفترة الأولى من حكمه بنمو كبير فى سلطته وممتلكاته ، وكان النطـــاق الأولى لممتلكات الاردزرونية فى اقليم الفاسبوراكان • هو اقليـــم الالبق الكبير (أو أغبج) • ثم ما لبثت الاسرة أن أحكمت سيطرتها على كل اقليم الفاسبوراكان ، فى عهد أشوط بن حمزة وأبى جريجوريك ــ الذى كان قد توفى منذ ٨٢٤م ــ فقد اقتسم جاجيك ممتلكاته مع أخيه جورجين المكنى بـــ « مرزبان » ،

---

(١) Canard : Ibid., P. 469.

(٢) Grousset : Hist, de L'Armenie, P. 466.

(٣) Grousset : Ibid., P. 463.

الذى كان من نصيبه المقاطعات الواقعة جنوب شرقى بحيرة أورمية Urmia • أما جاجيك ، فاحتفظ بالمقاطعات والاقاليم الواقعة شرقى البحيرة[١] •

والمعروف ان نطاق السيادة الأردزرونية الأرمينية الاقطاعية فيما بين عامى ٣٠٤هـ/٩١٦م وحتى سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م ، كان يمتد غربا حتى منطقة سئرت Seért ، وجنوبا حتى نهر الزاب الكبير ، وشرقا حتى بحيرة أورمية ،وشمالا حتى جبال آرارات الرس (الأراكس Arax) وقد استطاع جاجيك أن ينتزع قلعة آميوك Amiuk من آل قيس الحاكمين لها واحتل جنوبى بحيرة فان Van , Wan ، أى اقليم موق أو موق Mokk ، الذى كان تحت سيطرت بجراتية غير مستقلة[٢] • كما كانت لجاجيك بن جريجور ديرينك أمير الفاسبوراكان علاقات مع الدولة الحمدانية فى عهد سيف الدولة الحمدانى[٣] •

أما فيما يختص بالموقف بين جاجيك وأسرته الأردزرونية وبين أذربيجان وحكامها المسلمين ، فقد سبق أن نوهنا بتعرضه للتوتر ، بسبب هجوم حكام أذربيجان على اقليم الفاسبوراكان سنة ٣١٩هـ (١٧ سبتمبر / ١٦ أكتوبر ٩٣١م) • كما تمكن لشكرى بن لشكرستان — الذى فر من أذربيجان من مواجهة ديسم بن ابراهيم بن شاذلويه — من اجتياز اقليم الفاسبوراكان فى طريقه الى اقليم الجزيرة ، وذلك فى صيف عام ٣٢٦هـ (فيما بين ٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ أكتوبر ٩٣٨م حسب رواية أخرى) • فيذكر ابن مسكويه[٤] أن لشكرى بن لشكرستان وصل الى زوازان قرب القلعة التى كان يقيم بها أطوم بن جورجين • وقد طلب أطوم من لشكرى بلطف ألا يتسبب فى أذى الأرمن ، حفاظا منه للمعاهدة التى تربطهم بالمسلمين •

---

(١) Canard : Hist., de La Dynastie Hmadanides, P. 469.

(٢) Canard : Ibid., P. 469.

(٣) Canard : Ibid., P. 470.

(٤) ابن مسكوية : تجارب الامم جـ ٢ ص ٣٩٨ — ٤٠٤ .

لكن أطوم لم يكن مخلصا فى رجائه ، بل كان يدبر للايقاع بلشكرى وجنوده ، وفعــلا هجم على لشكرى ونهب ماشية معسكره ، واقتادها عبر ممر ضيق كان رجــال اطــوم يرابطون فى اعــلاه • فلمــا رأى لشكرى وجنوده ذلك ، هبوا للبحث عن الماشية المفقودة ، فأوقع بهم رجال اطوم وقتلوا لشكرى بن لشكرستان [١] ، بينما هرب من كان معه من جنود الى عقبة التنين[٢] • ولكن اطوم باغتهم بقواته فى واد ضيق ودحرهم ، تحت وابل من الصــخور التى دحرجهــا الأرمن من قمة الجبل • وكان عدد من قتــل فى هذا الصدام من رجــال لشكرى لا يقل عن خمسة آلاف رجــل ، فلم ينج من جيشــه الا نفر يسير ، وصلوا هاربين — بمشقة بالغة وفى اعيــاء تام — الى ناصر الدولة الحمدانى فى الموصــل ، ومعهم لشكرستان بن لشــكرى • وبذلك يكون جاجيــك الاردزرونى قد قضى — بفرســانه الأرمن — على نفوذ الديالمــة فى منطقة الانتريفاتسك[٣] •

وكان الديالمة — ومنهم لشكرى وابنه لشكرستان بن لشكرى — يهدفون الى الوصــول للجــزيرة والسيطرة على منــاطق ازورستان وسورستان وأشور • وقد أمكنهم الوصول فعــلا الى مدينة هدامكرت — فى مقاطعة البقى — التى تعرضت لهجماتهم ، ثم تجمعوا بعدها فى الانتريفاتسك • وربما كانت هذه الوقعــة ونتائجها الايجابية فى صالح جـاجيك واتبــاعه الأرمن سببا فى اطــالة حكــم هــذا الرجــل الى سنة ٩٤٣م[١] •

وقد طلب ناصر الدولة من لشكرستان بن لشكرى وفلول قوات أبيه أن يلتحقوا بقوات بجكم التركى المرابطة فى مدينة واسط • ولم يبق لدى ناصر الدولة من فلول قوات لشكرى الديلمية سوى خمسمائة

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٧٣ (حوادث ٣١٩هـ) •

(٢) عقبة التنين او جبل التنين شمالى خابور الحسنية على حدود املاك ناصر الدولة • ياقوت : معجم البلدان •

(٣) ابن مسكوية : تجارب الامم ٢/٣١٨ و ٤٠٤ •

(٤) Runciman : Romanus Lecapenus, P. 157 + Brosset : Hist. de L'ardz., P. 243.

جندى بقائدهم • وكان بجكم آنذاك يشغل منصب « امير الامراء » خلفا لابن رائق ، الذى كان قد ترك واسط منذ شهر ذى القعدة ٣٢٦هـ (سبتمبر ٩٣٨م)[١] •

اما على جبهة المواجهة بين (الحمدانيين والبيزنطيين) فقد استطاع سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٢٦/٣٢٧هـ (٩٣٨م) ان يحـرز نصرا باهرا على يوحنا كوركواس وقواته فى اعالى اقليم الجزيرة ، فى موقعة دارت رحاها فى المنطقة الواقعة بين حصنى زياد وسـلام • وكان هذا النصر مما شجع سيف الدولة الحمدانى على المضى قدما لغزو أرمينية ، حتى استطاع فعـلا أن يرغم كثيرا من الأرمن والكرج على الاعتراف له بالسـيادة عليهم[٢] • ثم واصـل سيره حتى وصـل الى بـلاد الأرمن الواقعة تجاه الأراضى البيزنطية • فدخل الجهات المجـاورة لكولونيا عـام ٣٢٨هـ/٩٤٠م وذلك ردا على اعتداء الروم على كفرتوثا من اعمـال اقليم الجزيرة الذى عملوا فيه قتلا وسبيا وتخريبا ونهبا ، وكان ذلك فى السادس من صفر ٣٢٨هـ (الموافق ٦ أكتوبر ٩٤٠م)[٣] ، وهو ما سنورده مفصـلا فى موضعه •

ولا جـدال فى ان حروب سيف الدولة الحمدانى على الجبهـة الأرمينية البيزنطية كانت من نوع الحروب الوقائيـة التى استهدفت منع بيزنطة من تهديد المنـاطق التى يحكمهـا الحمدانيون فى الموصل والجزيرة ، وذلك لو سيطروا على المنـاطق الأرمينية • كما كان يهدف الى استرجاع ما اخذته الامبراطورية البيزنطية من أراضى فى اقليم الجـزيرة • ولذلك لا نتعجب اذا ذاع صيت سيف الدولة فى القـرن الرابـع الهجرى بين جنبات عالم الاسـلام ـ شرقا وغربا ـ لا على انه « امير حلب » بل على انه بطـل الجهـاد الاسلامى ضد الروم • وهذه حقيقة اعترف بها حتى المؤرخون الاجانب امثال كنارد وغيره[٤] •

---

(١) Canard : Ibid., P. 457.

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ •

(٣) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٦٤/١٦٥ •

(٤) راجع كنارد Hist. de la Dynastie de Hamdanides, P. 747.

وانه لولا ما وقع من صراع داخـل أسرة دولة الخـلافة العباسية ، لمضى سيف الدولة قدما فى فتوحه ، ولما توقف لانشغاله بالتدخـل لاصلاح الأحوال داخل البيت العباسى فى بغداد[١] .

أما ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، فعـاد ليواصـل توغله فى أذربيجـان حتى وصل الى حـدود المنطقة الخاضعة للحمـدانيين ، وكانت خالية من أية حامية أو قوة دفاعية • بحيث كان من اليسير عليه دخول المنـاطق الحمدانية فى الموصل وديار بكر دون حرب أو مقاومة • وكان ناصر الدولة — بعد هزيمة ناطف السابق الاشارة اليهـا سـنة ٣٢٨/٣٢٦هـ — قـد كلف ابن عمـه حسين ابن سـعيد الحمدانى ان يتولى حكم هذا الاقليم[٢] •

ومن ناحية أخرى • انتهز ناصر الدولة الحمدانى رغبة لشكرستان ابن لشكرى بن لشكرستان الديلمى فى الانتقام ، فأوفد معـه حسين ابن سعيد الحمدانى بقوات لشكرستان مع قوات من الديالمة والجبليين ، الى القسم التابع له من اذربيجـان حيث كان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قد اقترب من هذا القسم بغرض الاستيلاء عليه • وفى ذلك يذكر أبو فراس الحمدانى — أخو حسين بن سعيد الحمدانى وشاعر الأسرة الحمدانية — فى احدى قصـائده أن حسين هزم ديسم ، وطرد اعداء أردبيل ، واخضع اذربيجـان[٣] • بينما يذكر ابن الأثير مؤكدا ، انه بعد معارك مع ديسم ، رأى حسين بن سعيد الحمدانى ، انه ليس لديه قوة كافية تمكنه من مواصلة القتال • ولذلك ترك حسين بن سعيد اذربيجـان فى يد ديسم بن ابراهيم الذى دخلها ، فى الفترة ما بين غرة المحرم وآخر ذى الحجة من عام ٣٢٦هـ (٨ نوفمبر ٩٣٧م و ٢٨ اكتوبر ٩٣٨م) • وان ناصر الدولة الحمدانى عاد الى ولايته بعد ان اخلاها بحكم أواخر عـام ٣٢٧هـ (آخر عـام ٩٣٨)[٤] •

---

(١) Ostrogorowsky : Hist, of Byz, State, P. 245.

(٢) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٢٥٠

(٣) ابو فراس : ديوانه ص ١٦ أ (مخطوطه برلين ٥/١٥٩ أ) •

(٤) ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ٣٢٨/٣٢٧هـ •

والجدير بالذكر ان حسين بن سـعيد الحمدانى كان ابان الحملة التى قادها ناصر الدولة الحمدانى ضد بجكم فى اذربيجـان ، مشتركا فى المعـارك التى دارت رحاها آنذاك فى ديار ربيعة ، كما انشغل ناصر الدولة بعد ذلك بوقت قليل بمراقبة تطورات الاحداث فى بغداد عاصمة الخـلافة العباسية ليرصد حركات الطامحين والطامعين فى السـلطة والمنـاصب الكبرى ، وبخاصـة منصب امرة الامراء ، وهو المنصب الذى كان ناصر الدولة نفسـه ، يرنو اليـه بنـاظرة ويهفوا اليـه بفؤاده ، لكن عندما تم تعيينه « أميرا للأمراء » لم يعـد لديه القدرة الكافية ، لتوجيـه بعض قواته فى عمليات خارجية ، وكان ذلك بسبب انشغاله بالصراع ضـد البريديين من جهـة ، وبعض أتباعه المتمردين من جهة أخرى ، الا انه مع ذلك كله لم يهمل أمر الولايات الشمالية[١] .

ويخبرنا الصولى — فى كتـابه اخبار الراضى بالله والمتقى لله — ان ناصر الدولة الحمدانى ، قلد ابن عمـه حسين بن سعيد الحمدانى عمل ولاية أرمينيـة واذربيجـان معـا سنة ٣٣١هـ وان ناصر الدولة بعد هزيمته امام توزون التركى ، تخلى مؤقتـا عن فكرة العودة الى بغداد ، واتجه باهتمامه صوب الولايات الغربيـة للدولة العباسية ، فوقع اختيـاره على منطقة شمال سورية ، كمـا انه عاود التفكير مرة أخرى فى اذربيجـان التى كان قد وليها واستقر فيهـا حاكم أو وال آخـر[٢] .

وكان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية ، قد تخلى عن وزيره الذى فر والتجأ الى محمد بن مسافر سلار[٣] ، وفى هذه الأثناء (٣٢٩/٣٣٠هـ) وقعت مأساة عائليـة فى أسرة محمد بن مسافر هذا ، اذ سجنه ولداه وهسوذان ومرزبان ، ثم استولى الأول على السـلطة ، امـا الثانى (مرزبان) — وكان مغامرا كبقية زعماء الديلم — فانه استمع لمقترحات

---

(١) Canard. Ibid., 458.

(٢) الصولى : اخبار الراضى والمتقى لله .

(٣) هو امير ديلمى صغير من أسرة الكنجاريين السـلاريين اصحاب شامران بمقاطعة طاروم .

Canard. Ibid., P. 459.

وزير ديســـم بن ابراهيم ، الذى شجعه على غزو اذربيجـــان وطرد ديسم منها . ولذلك عندما زحف مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، انفض جنود ديسم الديالمة عنه — أى عن ديسم — كما تخلى عنه بعض جنوده الاكراد ، فلم يعد امام دبسم سوى الالتجـــاء الى صـــاحب (أو حاكم) اقليـــم الفاسبوراكان الأرمنى جاجيك بن ديرنيك ، الذى كان على علاقة طيبة معه . وظل ديسم مقيما فى اقليم الفاسبوراكان تحت حماية جاجيك الأرمنى ، منتظرا اللحظة المناسبة للانتقام . لكنه لم يلبث الا قليلا ، حتى وقع فى يد غريمه ، الذى اكرمه واســـكنه فى احدى قلاعه الحصينة ، متظـــاهرا باكرامه ، بينما هو فى واقع الامر اعتقال وتحديد اقامة . وبذلك اصبح مرزبان بن محمد بن مسافر سلار سيدا لا منازع له على اقليم أذربيجـــان كله ، والبانيا ، وأرمينية[١].

لكن ناصر الدولة الحمـــدانى لم يستســـلم لوقوع اذربيجـــان خالصـــة « لمرزبان الســـلارى » وانما ســـعى جاهدا لاسترجاعها . فأرسل حملة بقيـــادة حسين بن سعيد[٢]. لطرد مرزبان منها . ويبدو ان هـــذه الحملة لم تقم قبـــل عام ٣٣٣هـ (٢٤/٨/٩٤٤م)[٣]. وذلك لان حسين بن سعيد كان حتى عـــام ٣٣٢هـ مشغولا فى سورية ، التى طرده منهـــا محمد بن طغج الأخشـــيد حاكم مصر آنذاك[٤]. فلما لم ينجح حسين بن سعيد فى مواجهـــة الاخشيد حاكم مصر وانتزاع جنوب بلاد الشام منه ، عاد الى الموصل ، بعد ان تخلى عن مطالبة فى سوريا (شمال بلاد الشام) لابن عمه بسيف الدولة الحمدانى[٥].

اختار حسين بن سعيد الحمدانى اللحظـــة المناسبة للتدخـــل فى اذربيجـــان منتهزا فرصـــة انشغال مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، بالحرب ضـــد بعض الغزاة القـــادمين من الشمال ، وهم الرسيون — القاطنين بمنطقـــة وادى نهر الرس Rus — وكانوا محاربين اشداء .

---

(١) Canard : Ibid., P. 462.

(٢) كان حسين بن سعيد الحمدانى قد تقلد قبل ذلك عمل اذربيجان

(٣) الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٦٧ .

(٤) Canard : Ibid., P. 459.

(٥) Canard : Ibid., P. 459 - 60.

وقــد قدموا عن طريق بحـر قزوين ، ثم صـعدوا عبر نهـر كـر Kur — قرة أو قورة — ، حيث نهبوا مدينـة برذعـه وخربوها ، وجمعوا غنائمهم وأسراهم فى موضع حصين يسمى شاهرستان الذى استولى عليـه مرزبان بعد انتهاء حروبه ضد الروس[١] .

فى هذا الوقت الحاسم (حول ٣٣٣هـ) وصـل حسين بن سعيد الحمدانى الى مدينة سلماس Salmas — الواقعة غربى بحيرة أورمية — بعد أن انضم اليه الاكراد ، القاطنين منطقة نهرى الزاب جنوب غربى بحيرة أورمية[٢] . وقـد كان من الممكن ان يواجه مرزبان محمـد بن مسافر سلار موقفا عصبيا ، حيث كان عليـه ان يحـارب فى جبهتين فى آن واحـد ، فيمضى بنفسه لمواجهـة حسين بن سعيد الحمدانى ، بينما يستمر أحد قواد جيشه فى حصار الروس . لكن بعض عوامـل اسهمت فى تعديل موقف مرزبان ، مما سـاعده على التغلب على هذه المواجهة الوشيكة الوقوع ، والا لكان مرزبان قد تعرض لهزيمة محتملة أو ربما محققة من حسين بن سعيد الحمدانى وجيوشه[٣] .

ويذكر ابن مسكويه[٤] انه منـذ الاشتباك الأول بين مرزبان وبين حسين بن سعيد الحمدانى فى منطقـة اران Auran — لعله يقصد أزان الحـالى بالقرب من سلماس — كان الجليد قد هطـل بكميـات كبيرة ، بينما شاعت الفوضى فى قوات الحمدانى ، التى كانت تتشكل فى معظمها من عرب البادية . فتركوا ميدان القتال ، مما اضطر الحمدانى للتقهقر منسحبا الى موضع حصين ، بينما عاد مرزبان لقتـال الروس الذي مالبثوا أن اخلوا البلد .

أما أبو فراس الحمـدانى فيورد — فى ديوانه — ان حسين بن سعيد الحمدانى اجتاز أراضى اذربيجـان مع جنده حملة الرماح ، وان

---

(١) ابن مسوية : تجارب الامم ٦٢/٢ ،
Minorowsky. B. S. O. A. S., Vol. XI 2, P. 264.

(٢) ابن حوقل النصيبى : صورة الأرض ص ١٥٦ ، ٢٣٩ ؛

(٣) Canard : Ibid., P. 460.

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٦٣/٢ — ٦٧ .

مرزبان بن محمد بن مسـافر سـلار أقر لحسين بن سعيد الحمدانى بالجزية[١].

ويبدو أن حسين بن سعيد الحمدانى مكث بعض الوقت فى اقليم اذربيجـان . فيذكر ابن مسكوية ان ناصر الدولة استدعاه اوائل عـام ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، بعد وفاة اوزون التركى أمير الأمراء فى المحرم ٣٣٤[٢] (٨/١٣ — ٩٤٥/٩/١١م) ، بينمـا فكر وزيره أو كاتم سره « ابن شيرذاد » فى أن يخلفـه — يخلف توزون — ناصر الدولة الحمدانى . حيث بدأ أن ناصر الدولة ، هو الشخصية الوحيـدة ، القـادرة وقتذاك على التصـدى للتهديد الذى يضغط به أحمـد بن بويه الديلمى (معز الدولة) على عاصمة الخـلافة العباسية . لكن الجيش العباسى فضـل ارتقـاء ابن شيرزاد نفسه المنصب ، الذى كان يشغله توزون التركى قبل وفاته ، أى منصب « امير الامراء » وبذلك صار ابن شيرزاد اميرا للأمراء[٣].

ومن ناحية أخرى كان ناصر الدولة الحمدانى يتوقع نشوب معارك فى العراق . ولذلك أراد ان يحشد قواته . فاستدعى ابن عمه حسين بن سعيد الحمدانى الذى ترك أذربيجان ، ليبقى المرزبان سيدا لا منازع له على أذربيجان وألبانيا ، وسيدا على منطقة أرمينية[٤].

وهكذا يجانب التوفيق الحمدانيين فى محـاولات بسط سيطرتهم ونفوذهم على اقليم اذربيجـان . وذلك على عكس ما رواه أبو فراس الحمدانى شعرا فى ديوانه من ان مرزبان بن محمد بن مسافر سلار ، اضطر فى وقت ما أن يقبل بدفع الجزية لحسين بن سعيد الحمدانى . كما يبدو أن ناصر الدولة تخلى — بعد ذلك عن كل رغبة له فى التدخـل

---

(١) ابو فراس : ديوانه . و Canard : Ibid., P. 460.

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ص ٢٥٠ و ابن مسورية : تجارب الأمم ٢/٨١ — ٨٢ .

(٣) ابن حوقل : المصدر السابق ص ٢٥٠ .

(٤) Canard : Ibid., P. 462.

فى اقليم اذربيجان من جديد • وسنرى فيما بعد ان ديسم بن ابراهيم بن شاذلوية قدم الى الموصل عام ٣٤٢هـ (٩٥٣/٩٥٤م) يلتمس المساعدة من الحمدانيين ، تلك المساعدة التى قدمت له بعد ذلك بسنتين تقريبا سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م) بواسطة سيف الدولة[١] •

والحق ان هناك من الاسباب الكثيرة ما اسهم فى فشل محاولات الحمدانيين بسط نفوذهم على اذربيجان عام ٣٣٣هـ : ذلك ان ناصر الدولة الحمدانى انشغل بمطامح أخرى ، حيث كان مطلبه الرئيسى هو فتح بغداد والسيطرة عليها ، فى وقت كان المطلوب منه الوفاء بالتزامات عسكرية أخرى • ولذلك لم يتمكن من تجهيز حملة قوية مدعمة لجبهة اذربيجان • كما يبدو ان النقص الكبير فى القوات غير العربية القادرة على الحرب فى اقليم جبلى ، ذو شتاء طويل وقاس ، كان أيضا من اسباب فشل حملة الحسين بن سعيد الحمدانى •

أما الموقف بالنسبة لمرزبان فكان بالتأكيد عكس ذلك • اذ كان لديه جيش قوى ، كما أن صعوبة المواصلات بين منطقة اقليم الجزيرة واذربيجان تعد عاملا هاما من عوامل فشل الحمدانيين فى هذه الجبهة • ذلك ان الطريق الموصل من الموصل الى شنو وأرمية عبر طريق اربيل Arbil وروااندروز ومضيق أشين ، كان طريقا صعبا وعرا ، فضلا عن عدم تيسر استخدامه معظم ايام السنة ، وكذلك الحال بالنسبة لطريق الزاب الكبير[٢] •

أما على الجبهة الأرمينية ، فيمكن القول ان ناصر الدولة الحمدانى أحرز نجاحا أكبر قليلا • اذ وسع نفوذه بالسيطرة على اقليم شبه مستقل اذعن له بدفع الجزية المطلوبة[٣] •

وكانت أرمينية — المقسمة الى عدد كبير من الامارات الاقطاعية — قد استطاعت ان تحتفظ — منذ المعاهدة التى سبق ابرامها مع حبيب

---

(١) Canard : Ibid., P. 462.

(٢) Canard : Ibid., P. 462.

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٢٠٠ و ياقوت : معجم البلدان .
Laurent : L'Armenie. P. 33 - 34.

ابن مسلمة منذ سنة ٣٣هـ (٦٥٣م) — حين كان معاوية واليا على بلاد الشام — باستقلالها وحكمها الذاتى ، مقابل بعض التزامات : كان من أهمها دفع جزية سنوية أداها امراء الأرمن سنويا للوالى المسلم — ممثل امير المؤمنين والدولة الاسلامية — فى أرمينية[١] . وكان مقر الامير أو الوالى المسلم هناك يقع فى جنوب البلاد الأرمينية . وان كان الوالى على أرمينية لم يكن ، فى الغالب يقيم فى مقره هناك ، بسبب مسئوليته عن ادارة اقليم آخر مجاور لها مثل أذربيجان أو غيرها . ولذلك ظلت أرمينية — لمدة طويلة — تابعة لمنطقة ديار بكر ، حين كانت هذه تحكم بواسطة « عيسى بن الشيخ » وخلفاؤه بنى شيبان ، ثم صارت تابعة لاذربيجان ابان حكم بنى الساج حتى نهاية حكمهم[٢] .

ومن ناحية أخرى ، نجد ان الروم ، فى أواخر حكم رومانوس الأول (ليكابينوس) البيزنطى (٩١٩ — ٩٤٤م) وخلال أنفراد قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) بالحكم (٩١٣ — ٩١٨ و ٩٤٥ — ٩٥٩م)[٣] ، ركزوا اهتمامهم وجهدهم على الجبهة الشرقية البيزنطية ، وبخاصة جبهة الثغور الشامية . ولعل ذلك كان بسبب تخوفهم الشديد من المسلمين ، الذين أحرزوا انتصارات باهرة على قوات بيزنطة — عقب عزل يوحنا كوركواس — وذلك بفضل بسالة وجلاد سيف الدولة الحمدانى ، الذى استطاع ان يمد نطاق نفوذه ليشمل المنطقة من طرسوس بالشام الى البلاد الأرمينية ، وهو وضع خلق قلقا كبيرا لبيزنطة ليس من الممكن أن تتجاهله لخطورته[٤] .

ولذلك فمنذ اللحظة التى صارت فيها حلب الشهباء — فى سوريا — هى حاضرة سيف الدولة الحمدانى ، أنتقل ميدان الصراع البيزنطى

---

(١) Laurent : Ibid., P. 34.

(٢) Canard : Ibid., P. 462 - 463.

(٣) قسطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٣٥ (تعريب محمود سعيد عمران) .

(٤) أسد رستم : الروم جـ ٢ ص ٩٢ . و Canard : Ibid., P. 761.

ضد المسلمين عامة والحمدانيين بخاصة ، الى منطقة امتدت رقعتها من قليقية (كيليكيا) الى ديار بكر ، متحولاً بذلك عن جبهـــة اذربيجـــان وأرمينية[١] .

والحق ان الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) استطاع خـــلال سنى حكمه الأولى — ان ينتصر على القوات الاسلامية فى كل من اقليم الجزيرة ، والبلاد الأرمينية ، وكانت تلك الانتصـــارات مما شجعه على العمـــل للثأر لمـــا أصـــاب الروم من هزائم وكوارث على ايدى القوات الاسلامية (الحمدانية) . ولذلك يعتبر قسطنطين السابع أول من استهل عصر الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ، سواء عند الفرنج أو الروم على حد سواء[٢] .

ففى خـــلال سنة ٩٣٩م (٣٢٨هـ) قام الروم بمحـــاولة لفتـــح قاليقـــلا (ثيود وسيوبوليس) ومنطقتهـــا ، التى يبدو أن المـــؤلفين البيزنطيين قـــد تجاهلوها ، ولم يتحدثوا عنها الى بعبارات غامضة . اذ أوردوا ذكر الحملة التى قام بها تيوفيل Theofilus أخو يوحنا كوركواس فى هذه المنطقـــة . وكان وضـــع قاليقـــلا — ذات المركـــز الاستراتيجى الهام والبارز على الحدود الاســـلامية البيزنطية — ذا طبيعة خاصة متميزة . وذلك لأن جيرانها الجيورجيين (الايبيرين) — رغم ارتباطهم بالقسطنطبنية ، وانهم كانوا اقرب الى الروم من الأرمن ، بحكـــم عقيدتهم الارثوذكســـية — لم يكونوا راغبين فى وجود نفوذ بيزنطى فى منطقتهم ، وكانت الامدادات والمؤن تأتيهم عن طريق كتزيون Ketzèon — ومكانها ليس معروف حاليا — كما كانوا يعارضون تماما أى اعتداء على المناطق التى كان بها نفوذ عربى اسلامى[٣].

وقد استعرض الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس)

---

(١) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٥٣ ، ٣٦٣ .

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٣٦٨ ، ٣٧٠ . و
Rambaud : Hist., de l'Empire Grec., P. 436.

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 744.

هذا الوضع بتفصيل مسهب ، متهما الجورجيين بسوء النية ، وتحدث عن الحصـــار التى استمر لسبعة اشهر وانتهى بالاستيلاء على قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) ، وذلك دون دكر تاريخ ذلك الاســـتيلاء[١]. ولكن يبدو أن ذلك وقع بين سنتى ٣٢٩ ، ٣٣٢هـ (٩٤٠/٩٤٣م)[٢].

يذكر ابن ظافر[٣] ان الروم شيدوا وقتئذ ــ للاستيلاء على القلعة، وفى مواجهتها ــ مدينة تسمى (هافجيج Hafjiyg)[٤]ــ تقع شمال بنجول داغ عند منابع نهر الرس Arax . وكان الغـــرض من بنـــاء هـــذه المدينة ــ بلا شك ــ هو منـــع وصول أى نجدة الى قاليقلا . وقـــد استغاثت الحاميـــة الاسلامية هناك بسيف الدولة فلم يتأخر عن نجدة قاليقـــلا .

وفى مستهل عام ٣٢٨هـ (٩٣٩م) رحل سيف الدولة من ميافارقين ، حيث مر بمدينة منزيكرت ، دون ان يعترض امراء الأرمن طريقـــه . فلمـــا سمع الروم بمقدمة سارعوا الى رفع الحصـــار بعد ان دمروا المدينـــة التى بنوها (هفجيج) . وبذلك يكون النصر قد حسب مقدما فى جـــانب سيف الدولة وقواته . وقد أمضى سيف الدولة شتاء ذلك العـــام فى مدينة أرزن على مشارف أرمينية[٥] .

وفى الربيع من عـــام ٣٢٨هـ (٩٤٠م) مضى ســـيف الدولة الى أرمينية ، حيث عقد هناك مؤتمرا فى مدينة نزفان ، دعا اليـــه مختلف الامراء الأرمن ، وامراء العرب فى أرمينية ، ليستوثق من حسن نواياهم، فى نفس الوقت الذى كانت عملياته ضد الروم مستمرة . وقد اخضع

---

(١) راجع قسطنطين بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ١٦٧ — ١٧٢ .

(٢) راجع بوفيروجنتس : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٣) ابن ظافر : اخبار الدول المنقطعة ورقة ٣/أ .

(٤) هفجيج : مدينة جديدة بناها الروم شمال بنجول داع : راجع : Canard : Ibid., P. 480 - 481

(٥) ابن ظافر : المرجع السابق ورقة ٣/ب .

لسلطته بلاد السناسنة[١] (السنسونيين) والطارون ثم مضى بعد ذلك الى اقليم المرزبان — بلد يقع بين الطارون ولواء خالديا (كالديا Chaldia) لان حملته كانت تستهدف حكومة تيوفيل (الشريف كما يورده بورفيروجنتس) ، أخى يوحنا كوركواس . واستطاع سيف الدولة فعلا ان يقتحم لواء كالديا وان يستولى على كثير من مدنه وقلاعه[٢] .

وفى اثناء ذلك وردت رسالة من الامبراطور البيزنطى أو من الدومستيق ، لم يعرف فحواها ، وان كان من المحتمل أن يكون قد طلب الروم فيها وقف المعارك . ويبدو ان عبارات الرسالة اثارت غضب سيف الدولة ، فأرسل ردا قاسيا عليها للروم ، مما دفع امبراطور الروم الى القول أنه (أى سيف الدولة) يتكلم كما لو كان قد حاصر بالفعل مدينة كولونيا . « فلما علم سيف الدولة بمقولة الامبراطور هذه ، عزم على القيام بنفسه بحملة لمحاصرة مدينة كولونيا ، ولم يسمع لنصح المحيطين به ، اذ حذروه من خطورة هذا العمل الخطير ضد هذه المدينة الحصينة ، وقال لست أقلع عن قصد هذه المدينة فاما الظفر واما الشهادة[٣] .

وأمام كولونيا — التى ضرب عليها سيف الدولة الحصار — كتب مرة أخرى خطابا للامبراطور البيزنطى ، معناه اننا قد جئنا فعلا وحاصرنا كولونيا فما أنت فاعل ؟ . وقد جعلت هذه الحملة سيف الدولة فى نظر الروم من اخطر الاعداء ، فحاولوا مطاردته عند عودته ، لكنه أوقع بهم — كما يذكر ابن ظافر — هزائم متلاحقة فى عدة مواقع[٤] .

---

(١) بلاد السنسونيين او السناسنة : وفى التعبير العامى فى حلب يطلق على الأرمن الذين يتولون مهنة خبز الخبز فى الافران اسم (الصواصنة). وكانت هذه الحرفة قديما خاصة بهم (الأرمن) . وبلاد السناسنة منطقة جبلية تقع فى جبال طوروس جنوبى طارون يقطنها عشيرة ارمينية من الصواصنة . راجع سامى الكيالى سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) Canard : Hist. de la Dynastie des Hamdanides, P. 745.

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة ١/٣ — أ .

(٤) ابن ظافر : الدول المنقطعة و ج ١ ورقة ٣ ب .

Canard : Ibid., P. 746.

وقد ذكر أبو فراس الحمدانى هذه الواقعة (واقعة حصار كولونيا) ، فى قصيدة من قصائدة ، أشاد فيها بعناد وصلابة الامير سيف الدولة الحمدانى وهو يقود قواته الى كولونيا Coloreai ، على الرغم من اعتراض من حذر الامير ، والمتخوفين من عواقب هذا العمل من حاشية سيف الدولة ومستشاريه[1]. وقد ذكر أبو فراس فى قصيدته عن حصار كولونيا — فى حوالى خمسة ابيات منها — كيف ان سيف الدولة جعل فرسانه على جانبى كولونيا ، وانهم امطروا هنزيط بوابل من قذائف المنجنيق ، وان الأمير ذاد فرسانه الى مرج قليز بهدى الاسلام وذكائهم . فهزم كوركواس ، والبطارقة الذين كانوا يحفون به ، وأصاب الروم ، بضربات عنيفة أضعفت جيشهم اضعافا شديدا ، على الرغم من كثافته وما حشدت له الامبراطورية من عتاد وذخيرة ومؤن ، وأن سيف الدولة أقام فى كولونيا مدة ثم غادرها الى ميافارقين[2].

وقد احدثت غارة سيف الدولة وانتصاراته فى كولونيا ، قلقا بالغا بين الروم ، الذين صاروا يستحثون يوحنا كوركواس على سرعة التصرف ، والتدخل بكل قواته لمحاربة القوات الحمدانية وأميرها ، فى الوقت الذى ادرك فيه سيف الدولة بضرورة حسم الموقف بنصر نهائى وهو ما حققه فعلا[3].

ونستطيع أن نتبين — من ورود ذكر حصن زياد أو يزيد وحنزيط (أو هنزيت) أن الأمير الحمدانى عاد بقواته من طريق أنزيتين — ما يتفق مع اشعار أبى فراس الذى ذكر فى قصيدته ان قليز كانت فى طريق عودة الحملة من وزتانيس (ورتنيس) Wartanis ، وان ذلك

---

(١) ابو فراس : ديوان ابى فراس (مخطوط برلين) ص ١/٣١ ، ١/٣٩ ، نشر الدهان ص ١١٦ ، ١٤١ .

(٢) أبو فراس : ديوانه ص ١٤١ ونسخة برلين ورقة ١/٣٩ . و Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P 747.

(٣) راجع ديوان ابى فراس (نسخة الرباط) ص ١٣٦ ، ١٣٧ والدهان ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ وينسب ياقوت (فى معجمه) ج ٤ ص ١٦٨ هذه الواقعة خطأ الى عام ٣٣٥هـ/٩٤٦/٩٤٧م .

يتعـــارض مع التحـــديد الذى أورده ابن حوقل لموقع قليز[١] .

وقد أورد ابن ظافر ذكر حملة سيف الدولة على قلونية (كولونيا) بشىء من التفصيل فقـــال[٢] : « ســـار سيف الدولة حتى نزل على (كولونيا) ، واحرق رساتيقها ، وسلب ضياعها ، وكتب الى الدمستق وهو الى الملك — (يعنى ان الكلام موجـــه للامبراطور عبر قـــائدة « الدمستق ») — كتابا من قلونية . فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفا عظيما ، لأنه (أى كولونيا) بلد لم يطأه أحد من المسلمين ، ثم رجع سيف الدولة منها فاعترضه الدمستق ، فأوقع به سيف الدولة ، وقتل من الروم مقتلة عظيمة لا يحصيها الا الله » .

كما يورد ابن الأزرق رواية أخرى عن حملة سيف الدولة هـــذه التى وقعت سنة ٣٢٨هـ (٩٣٩ — ٩٤٠م) ، فيذكر انه « . . . قيل وفى سنة ٣٢٨هـ سار ســـيف الدولة من ميافارقين الى أرمينيـــة ، ونزل بطيطوانة (طاوان)[٣] Tadvan على بحيرة «فان» أو «وان» Van , Wan واستدعى (ســـيف الدرلة) ابن جاجيـــك (جـــاجيق) بن الديرانى (ابن ديرنيك) ملك واسبوركا (أو الفاسبوراكان) الذى توفى بعد ذلك عـــام ٩٤٣م Gagik B. Al Dayrani (جاجيك بن الديرانى) وأحمد ابن الرحمن أبى المعـــز صـــاحب خـــلاط وذات الجـــوز (القـــوز) وأرجيش وبركرى (بركرى) ، وعبـــد الحميـــد — (يورده كنـــارد أبو لشفيت عند الأرمن) — صـــاحب ملازكرد ودشته الورك والهرك ، وأشوط Achot بن جريجور بطريق[٤] البطارقة بأرمينيـــة ، وحضروا

---

(١) راجع ابن حوقل : صورة الارض (مادة مرج قليز) .

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣/ب .

(٣) ابن الأزرق : جـ ١ ص ١١١ — ١١٢ وســـــامى الكيـــالى : سيف الدولة ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(٤) هو اشوط الثالث البجراتى (البغرى عند ابن الأزرق) وهو ابن طرنيق عند ابن ظافر . وكان لقب بطريق البطارقة يطلق على ملك الملوك فى ارمينية . وقد تمتعت ارمينية فى عهد اشوط الثالث البجراطى بالســـلم والعدل والامان . راجع فيصل السامر : الدولة الحمدانيـــة ٢ ص ١٥٧ حاشية ١٨ .

لديه واخذ من ابن الديرانى (جاجيك ديرنيك) حصن شهران والحامد وبلدانهـا وماجاورها • واخـد من أحمـد بن عبـد الرحمن بدليس وما جاورها واخـذ من أشوط بلد السناسنة (ســاسون) ، Qulb وفتحـه وملك قلعـة قلب ـ منطقة أو حصن سـليمان وأعمالها ـ ، ورد ملوك أرمينية فوصلوا تحت حكمة وفى خدمته • وسار الى بلد ابن المرزبان ، وبلد الخالدية فنهبه وسبى منه خلقا عظيما ، وفتح حصونهم أجمع وذلك فى مدة خمسين يوما وعاد »[١] •

كما يذكر ابن ظافر ان سيف الدولة الحمـدانى تلقى فى خـلاط (اخيـلات) ولاء ملك أرمينية وجورجيا ، الذى لم يسبق له أن قدم ولاء لأى انسان ، ولكنه الآن اضطر لتسليم الحمدانى القلاع التى كانت تضـايق المسلمين ، وتعهد له بالمحافظـة على تـأمين الطرق ، وعدم قطعها على المسـلمين • ثم ذهب سيف الدولة الى بلدان ابن طرنيق (ابن ديرنيك أو ابن الديرانى) ، وحاصر موش Much وغنم منها ، وتهدمت أثناء الهجوم والحصار كنيسة مشهورة بها[٢] •

أما أبو فراس الحمدانى فيشير ـ فى ديوانه ـ الى خضـوع الامراء (الملوك) الجحافيون (السلاميون) بالقوة ـ بعد مقـاومة غـير مجدية ـ رغم انهم مقاتلين عظـام • وهؤلاء الجحـافيون من العرب ، وأهمهم أبو اليقظان العـلاء بن مسلمة السـلامى ، الذى حـاصر سيف الدولة بلدته ، واستولى عليها • هذا بينما فر أبو اليقظان الى القسطنطينية ولم يصمد ، رغم الامدادات التى جاءت لنجـدته وقدر عددها بنحو عشرين ألف رجـل ، هزمهم سيف الدولة جميعاً • ولمـا لم يجد أبو اليقظـان جدوى من المقـاومة والخروج ، عاد ، ومعه اعوانه ، لتقديم الولاء والطاعة والاذعان لسيف الدولة • فقبل

---

(١) ابن الأزرق : جـ ١ ص ١١٠ ـ ١١١ • و

(٢) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٣ ب و ٤/١ ـ ب كنيسـة طارون المشهورة باسم صرب كاريت ؟

Canard : Ibid., P. 486.

تأمينه ، وأذن له بالعودة الى بلدته • وبعد ذلك سار سيف الدولة الى عبد المعز (سيد خــلاط) وأبو سالم ، فاستولى على مدنها ، لكنــه لم يلبث أن ردها اليهما وثبتهما عليها ، وبذلك صار عبد المعز أبو سالم من اتباع سيف الدولة[١] •

على انه ليس من الواضح ما اذا كانت كلمة « الملوك الجحافيون » تنصرف الى الشخصيات الثلاث التى ذكرها ابن ظــافر — وهــم أبو اليقظــان ، وأبو ســالم (أو سليم) وأبو المعز (عبد المعز) أو الى أولها فقط ؟ ، وما اذا كان هناك جحافيون خلاف من يسميهم الأرمن « قيسية ؟ » ، أو أن التسمية العربيــة تشمل — هــؤلاء وهؤلاء ؟ • والكل — على أية حــال — أقرباء ومن قبيلة واحدة • وان كان يبدو أن « أبو اليقظــان العــلاء بن مسلمة » هو نفسه ابن مسلمة الذى ذكر اسمه وورد فى الحروب العربيــة البيزنطية ، ولم يقــل مصــدر من المصادر اين يقيم[٢] • على أنه من العسير التوفيق بين هذه الرواية وبين ما أورده المؤرخ البيزنطى قسطنطين بورفيروجنتس[٣] •

ففى نص ورواية ابن الأزرق تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) ، صحح ماركفرت عبارة « استدعى أحمد بن عبد الرحمن وأبى المعز » فحذف حرف الواو ، وجعــل من أحمــد بن عبد الرحمن وأبى المعــز شخصا واحدا هو سيد خيلات (خــلاط) ، وذات الجوز (التزيكية) ، وأرجيش ، وبيركرى ، وهو خلاف « أبى المعز » الذى ورد ذكره عند قسطنطين بورفيروجنتس ، والابن الاصغر لابو الأسود ، الذى تجرد من السلطة فى عهد أخيه عبد الرحيم ، وعمه أبو سواده (أبو لشفت)

على ان المماثلة أو المطابقة بين أحمد بن عبد الرحمن — الذى هو « أخمت » عنــد بوفيروجنتس — وهو بن أبو سوادة بالتبنى ، وبين وبين « أبو المعز » ، يؤيدها من جهة أن الاماكن التى ذكرت فى رواية

(١) Canard : Ibid., P. 481.

(٢) Canard : Les Hamdanides et L'armenie, AIEO, VII, P. 88.

(٣) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطيــة

ابن الأزرق عقب اسم أبو المعز (عبد المعز) هى بعينها الاماكن التى ذكر بورفيروجنتس ، انها خصصت لاخمت (أحمد بن عبد الرحمن) ، بواسطة والده بالتبنى (أبو سوادة) . وأنه — أى أحمد — احتفظ بها فى عهد أبو سالم بمنزيكرت ، كما يؤيدها أيضـا ان ابن الأزرق لم يذكر اسم أحمد بعد ذلك بل ذكر اسم أبو المعز فقط . والراجح ان أحمـد ابن عبد الرحمن هذا المذكور سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ، والذى اغتـاله أبو الورد الثانى ابن ابو سالم — كما ذكر بورفيروجنتس — لا يمكن ان يكون قد اغتيل الا بعد سنة ٣٢٨هـ(١) .

وعلى هـذا فهنـاك اذن فى عـام ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م أمـيرين لمنزيكرت واماكن أخـرى ، سماه بوفيروجنتس « أبو سالم » — ولكن ابن الأزرق سـماه عبد الحميـد . وامير فى خيـلاط وغيرها ، سماه بورفيروجنتس ، اخمت « فقط ، بينما سماها ابن الأزرق « أحمـد بن عبد الرحمن أبو المعز » . هذا ، كما ورد اسـم أبو المعز أيضـا على لسان أبى فراس الحمدانى ، الذى كان يعرف — خلاف أبو اليقظـان العلاء بن مسلمة — أميرين آخرين هما : « أبو سالم وأبو المعز »(٢) .

والشىء المحير حقـا فى تاريـخ هـؤلاء الامـراء الأرمن العـرب — كما صرح بذلك بورفيروجنتس — أن هـؤلاء الامـراء كانوا يدعون أيضـا باسمائهم ، واحيانا أخرى بكنيتهم (أبو . . .) ، وأن « عبد الـ ... » من الممكن ان تختلط بيسر مع « أبو الـ ... » . ولم يدرك — فضـلا عن ذلك — توافق شخصين يحمل كل منهما اسم أبو المعز (أو عبد المعـز) . وعلى أية حـال ، ففى الوقت الذى كان يدون بورفيروجنتس تاريخه هـذا ، بين سنتيى ٩٤٩ ، ٩٥٢م ، كان أبو سالم (سلمس) قد توفى ، وحل محله أبو الورد الثانى . وكذلك كان أحمد (أبو المعز أحمد) قد أغتيل بيد أبو الورد الثانى ، الذى ضم الى اقطاعيته منزيكرت ، سائر مدن بحيرة « فان »(٣) .

---

(١) Canard : Hist. de la Dynastie Hamd., P. 482/3.

(٢) Canard : Ibid., P. 483.

(٣) Canard : Ibid., P. 483.

على أن ماورد فى كلام أبو فراس الحمدانى ، أتـــاح الفرصـــة لضبط نص ابن الأزرق فيما يتعلق بالحاكم على مانزيكرت . ولمـــا كان كل من ابن الأزرق وأبو فراس الحمدانى ، يتحدثان عن فترة واحـــدة وشخص واحد ، فلابد أن يكون « أبو ســـالم » الذى ذكره أبو فراس و « عبد الحميد » الذى ذكره ابن الأزرق احدهما كنية والاخر اسما لشخص واحد . لان « أبو سالم » يطـــابق بوضوح فى تاريخه اســـم أبو سلمس (ســـالم) الذى أورده بورفيروجنتس وأبو (ســـلمس) هذا اذن هو ذاته عبد الحميد صـــاحب متزيكرت . والراجح فى هـــذه القضية ـــ ان نقول بأن اسم سيد منزيكرت هو « ابن عبد الحميد » ، وان كلمة « ابن » قد سقطت اما بيد ابن الأزرق أو بيد ناسخه . اما عن أبى فراس وبورفيروجنتس فيحتمل انهما لم يكونا يعرفان ســـوى كنيـــة الشخص ، وأهمل كل منهما واحدا أو أكثر من مكونات الاســـم الكامل[1] .

وايا كان الامر فانه يبدو ان ماركفارت قد اخطـــأ حين اعتبر أن « عبد الحميد » الذى ذكره ابن الأزرق هو ابن أبو سالم (سلمس) الذى سماه قسطنطين خطـــأ « ابلبرت الثانى » (أبو الورد الثانى) والاسم الاخير صحيح تمـــاما فهـــو « أبو الورد » سيد منزكريت ونواحى أخرى[2] .

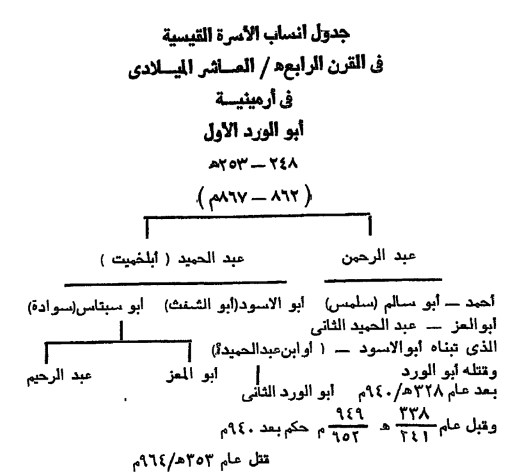
وليس من شك فى ان اغتيال أبو المعز (عبد المعـــز) أحمـــد بن عبد الرحمن والابن المتبنى لابى سوادة ، كان سببه طموح أبو الورد ، وربما أيضـــا الى اسباب عائلية تتصل بانســـلاله الملكيـــة . لان ابن عبد الرحمن من فرع أصغر بالنسبة الى ســـائر الأمراء ، ولذلك ربما اعتبر دخيلا على الأسرة المـــالكة . أما أبو المعز الآخر ، الذى جرد من ســـلطته لصغر سنه ، فنحن لا نعرف ماذا جرى له بعـــد ذلك ، وربما يكون قد أقصى من مناصبه بواسطة أبو الورد[3] .

---

(١) Canard : Ibid., P. 483/484.

(٢) Canard : Ibid., P. 483.

(٣) Canard : Ibid., P. 483/484.



وفيما يختص بباقى الامراء الأرمن الوارد ذكرهم فى نص ابن الأزرق ، فان ابن جاجيق بن ديرانى هو حقا ملك الفاسبوراكان جاجيك بن ديرنيك ، اذا سلمنا بأن جاجيك لم يمت الا فى عام ٩٤٣م/٣٣٢هـ (ينبغى فى هذه الحالة حذف كلمة ابن من النص) • وهو ابن ديرنيك اذا سلمنا بأن جاجيك توفى عام ٩٣٧م •

أما أشوط بن جرجير فهو آشو بن جريجوريك أمير طارون الباجراتى ويسميه ابن ظافر ابن طرنيق ، اذا بن طرنيق — وهم اسم سلالى لهذه الأسرة فى نظر ابن ظافر • لانه يطلقه أيضا على الأمير الذى تولى الحكم فى طارون سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م • ولا يمكن الاستدلال من نص ابن الأزرق على وجه اليقين على ان أشوط قد خلف اخاه بنجارات ، وان كان هذا محتملا ، نظرا الى صفته كابن طبيعى بالنسبة الى اخيه باجارات •

أمـــا أمير الأمـــراء فهو قطعـــا الملك البجراطى ، أقوى امراء أرمينية (الأول بين اقرانه Primus Inter Pares) • وهو نفس الشخص الذى يدعوه ابن ظافر « ملك أرمينيـــة وجورجيا » • ويبدو أمرا غريبا ، أن هـــذا الأمير الذى كانت ولاياته فى معظمهـــا بعيدة عن متنـــاول الحمدانى ، قد أتى من عاصمته النائية الواقعـــة شمالى نهر الرس ، لتقدم الولاء لسيف الدولة الحمدانى • غير ان هذه الزيارة تتمشى تماما مع روح سياسة التأرجح الأرمينية (سياسة لعبة التوازن) التى تراعى جـــانب العرب أحيـــانا ، والروم أحيـــانا أخرى[١] •

وقد طلب سيف الدولة من كل من هؤلاء الامراء بعض الضمانات ، أى بعض المواقع والنقـــاط الاستراتيجية • وكان أهم تنـــازل — دون جدال — هو التنـــازل عن موقـــع مدينـــة بتليس ، الذى يشرف على الطريق الوحيد الصـــالح للانتقـــال من اقليم الجزيرة الى داخـــل أرمينية ، وكان تابعا لاحد الامراء القيسية[٢] •

ولم يكن سيف الدولة الحمدانى ليهتم فى أوقات أخرى بمدينـــة بتليس لانها كانت بيد أمير مسلم • ومع هذا يخبرنا النص الذى أورده بورفيروجنتس ان الأمراء العرب فى أرمينية لم يكونوا ليترددوا ، اذا تعرضت مصالحهم للخطر ، ان يضعوا أنفسهم تحت حماية الامبراطورية البيزنطيـــة • لذلك اقام سيف الدولة بالمدينـــة حامية لكى يمنع وقوعها فى يد البيزنطيين • ولا ندرى ماهى النواحى التى طلب من ملك أرمينية ان يتنـــازل له عنها ، وان كان الظن انها قـــلاع على جـــانبى الطريق المؤدى الى قاليقـــلا • وفيما عـــدا ذلك فانه طلب البـــه ان يضمن أن قواته وموظفيـــه ورســـائله ، تستطيع التنقـــل بحرية على الطـــرق الأرمينية[٣] •

ويبدو أن حصن أميوك (حصن الحـــامد) كان من الاماكن التى طلب من ملك فاسبوراكان التنـــازل عنهـــا ، لكن ذلك غير مؤكد • وقد

---

(١) Canard : Ibid., P. 484/485

(٢) Canard : Ibid., P. 485.

(٣) Canard : Ibid., P. 485.

تمسك سيف الدولة بنوع خـاص بالسيطرة على منطقـة سـاسون « التابعة للطارون » ، وعلى موقع السناسنه (قلب Qulb) ، المشرف على الطريق المؤدى من منطقة أرزن الى الطارون•وكل ذلك — بلا شك — كان درءا لاحتمال سيطرة بيزنطـة على الطارون(١)•

لكن يبدو ان هذه المنـاطق كانت مستقلة عن الطـارون لدرجـة ان سيف الدولة لم يقنع بالحصول على تنـازل عنهـا له ، وانما أراد انتزاعها من ايدى الجبليين العتاة الذين كانوا مسيطرين عليهـا ، وكان عليـه ان يغزوها • ولعله تمكن — خـلال غارة شنها على السناسنة — من غزو موش ، كمـا يقول ابن ظافر ، ودمر كنيسة طارون المشهورة (صرب كاربت ؟)(٢)•

ويذكر ابن الأزرق ان سيف الدولة — بعد أن تلقى طاعة امراء الأرمن — ذهب الى بلد « ابن المرزبان » ، ثم الى منطقة خالدية (كلديا Chaldia) كلديـا • وكان لقب مرزبان يحمله آنذاك فى أرمينيـة جورجين اخو جاجيك اردزرونى ، الذى اقتسـم معـه اخيـه هذا حكومة فاسبوراكان • لكن من المستبعد — ان لم يكن مستحيلا — ان يكون الأمر متعلقا به ، لأن اتجـاه مسيرة سيف الدولة يشير الى قطر واقع بين أرمينية وبين لواء كلديا ، دون ان يمكن القول ان هذا القطر أرمنى أو بيزنطى • ثم ان كلمة مرزبان فى مخطوط ابن الأزرق ليست مؤكدة تماما(٣)•

على ان من الصعب معرفة مـدى سيطرة سيف الدولة الحمدانى على أرمينية وما اذا كان قد احتفظ بالاماكن المتنازل له عنهـا ، ودعم سلطانه عليها بصفة دائمة •

وسوف نرى — فى أواخر حكم سيف الدولة — غلامه نجا كما سنرى ان خلفاء ناصر الدولة الحمدانى يسيطرون على بتليس على الأقـل •

---

(١) Canard : Ibid., P. 486, No. 246.

(٢) Canard : Ibid., P. 486.

(٣) ابن الأزرق : تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) •

وعلى أى حال ، يمكن القول انه فى أعقاب الاستيلاء الكامل على منطقة الجزيرة ، استطاع الحمدانيون ممارسة بعض النفوذ — وبصفة مؤقتة — على أرمينيية ، وأن يوسعوا قليلا املاكهم من هذه الناحية . وقد أدى ذلك الى زيادة قوة الامارة الحمدانية فى نظر المسلمين عموما .

ومع ذلك فان الشىء الذى له مغزاه أن سيف الدولة اكتفى بتسليم بعض النواحى ، وببعض التزامات الطاعة ، وبحقوق المرور . بينما لا تتحدث النصوص التى بين ايدينا عن أى اسهام مالى من جانب الأرمن . والحق ، ان سيف الدولة — كما يذكر كنارد — لم يكن يستهدف اخضاع أرمينية بالفعل ، بقدر ماكان يقصد الى منع ارتمائها كليا فى أحضان الدولة البيزنطية[١] .

كذلك لم يكن النشاط الاقليمى للحمدانيين ناحية أرمينية يمثل فى الواقع شيئا هاما . انما كان النمو الاقليمى للامارة الحمدانية يتحقق فى الاتجاه الغربى فى شمال سوريا . حيث راحت تشكل امارة تعتبر — فى البداية — أساسا لامارة ما بين النهرين ، وتعتبر صورة منها ، وان اكتسبت — بعد قليل — أهمية — أكبر من أهمية الامارة الأولى وروعة لم تشهد امارة الموصل أبدا لها مثيلا[٢] .

وقد أنفذت الحكومة البيزنطية فى عام ٣٢٩هـ (أو ٣٢٨هـ) حملة عسكرية لتأديب الأمراء الأرمن فأعلنو' ولاءهم للمسلمين ، وامتنعوا عن الهجوم على الأراضى الاسلامية[٣] . وكان على سيف الدولة أن يهب لمساعدتهم ، بعد أن ارسلوا اليه يستنجدونه ، وقد توغل سيف الدولة فعلا حتى دخل ثغر (أو ثيم Theme) خالديا Chaldian ، وأخذ عددا من الحصون والمدن فيها ، ثم تقدم الى مدينة كولونيا Colones فحاصرها . ونتيجة هذه الانتصارات التى أحرزها سيف الدولة على الروم ، أصبح يعتبر بحق زعيم أو بطل الجهاد الاكبر فى

---

(١) Canard : Ibid., P. 487.

(٢) Canard : Ibid., P. 487.

(٣) Runciman : The Emperor Romanus Le Capenus, P. 143.

وبورفيروجنتس : الادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

العالم الاسلامى — وقتذاك — ضد البيزنطيين[١] .

غير أن انشغال سيف الدولة آنذاك ، بمشاكل الخلافة فى عصر أمرة الأمراء ، والصراع مع الأخشيديين فى سورية بين سنتى ٣٣٠ ، ٣٣٣هـ ، جعل هذه الفترة لا تشهد نشاطا ذا بال على جبهة الثغور الاسلامية البيزنطية ضد الروم . وكان ذلك مما اتاح للروم أن يحرزوا عدة انتصارات على المسلمين ، الذين بددوا قواهم فى النزاع الداخلى من أجل الاستحواذ على السلطة[٢] . مع استمرار بقاء النفوذ الحمدانى على منطقة بحيرة فان بدرجة أو بأخرى[٣] .

ساد الجبهة الحمدانية — البيزنطية فى أعالى الشام هدوء مشوب بالحذر والتوتر ، مفعم بالتحفز ، حافل بتجييش القوات ، وتعبئة الجيوش من كل من الجانبين ، وذلك استعدادا لجولة جديدة قادمة .

ومنذ ذلك الحين ، أصبح الخصم الوحيد للدومستيق كوركواس هو نصر الثملى أمير طرسوس ، التابع تبعية اسمية للاخشيد حاكم مصر . وقد تسنى للجيوش البيزنطية ان تتوغل داخل اقليم الجزيرة نفسه . وفى صفر ٣٢٩هـ/نوفمبر ٩٤٠م وصلت هذه القوات الى منطقة كفر توثا Kafatutha . كما أصبحت هذه الجيوش البيزنطية أيضا ، على استعداد للعمل فى ساحات قتال أخرى ، فى أوربا ضد الروس ، وفى بروفانس مع هيوج البروغنسى ضد قلعة فراكسينتوم العربية ، حتى اذا زال الخطر الروسى ، عاد كوركواس الى الجبهة الشرقية ضد المسلمين هناك مرة أخرى[٤] .

ولذلك فما ان يهل شهر جمادى الأولى عام ٣٣٠هـ (ديسمبر/ينساير ٩٤١م) ، حتى كان الروم قد زحفوا صوب حمص[٥] ، فأحدثوا

---

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٧ .
Runciman : Ibid., P. 143.

(٢) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٢٧ (ط ١ . الأزهرية ، مصر ، ١٣٠١هـ) .

(٣) Canard : Hist. des la Dynaslie de Hamd., P. 487.

(٤) Canard : Ibid., P. 748.

(٥) تقع حمص على مشارف سوريا ، عند الطرف الشرقى لسهل قاليقلا .

بهــا تخريبــا رهيبا ، وسبوا نحو خمسة عشر ألف انسان من سكانها العزل الآمنين[١]. كما استطاع ثمال (الثملى) غــلام سيف الدولة ، من ناحيــة أخرى ، دخول بــلاد الروم من ناحيــة طرسوس ، حيث أنكى فيهم ، وسبى منهم ، وغنم ، وعاد ســالما ، وقد أسر عددا كبيرا من بطارقتهم المشهورين[٢].

وفى عــام ٣٣١هـ [المــوافق ١٥ سبتمبر ٩٤٢ حتى ٣ ســبتمبر ٩٤٣م] — وصلت القوات البيزنطيــة بقيــادة يوحنا كوركواس الى ديار بكر ، حيث اعملوا فى أهلهــا قتــلا وسبيا . كما تمكنوا من فتــح مدينة أرزن وخربوا عامة بلدها ، واستولوا على ميافارقين ، ثم تقدموا الى ما بعد منطقــة طور عابدين ، واستمروا فى زحفهم حتى وصلوا الى مشــارف نصيبين أو قريبــا منها[٣].

كذلك تمكنت القوات البيزنطيــة من الزحف الى مدينــة الرها (اديســا Edessa) ، حيث طلبوا من أهلها ان يدفعوا اليهم الايقونة (المنديل) التى فى كنيسة الرها . ويدعى النصارى أن السيد المسيح (عيسى بن مريم) عليــه الســلام ، مسح به وجهــه ، وقت الصلب المزعوم . فصارت صورة وجهــه فيــه . وقد وعد البيزنطيون أهــل الرها — ان هم استجابوا لطلبهم هذا — أن يطلقوا من وقع فى ايديهم من أسارى المسلمين[٤].

ومن المعلوم ان الروم كانوا يهدفون من كل هــذه الحملات الى جمع الأسرى والغنائم ، كما أنهم فكروا جديا فى الاستيلاء على اقليم الجزيرة أو ضم الأرض أو احتلالها[٥].

---

(١) Canard : Ibid., P. 487.

(٢) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٧ .

(٣) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٥٧ و

الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد البطريق (صلة أوتيخا) ص ٣٢ .

(٤) الانطاكى : نفس المصــدر ص ٣٢ ، (٧٣٠) وابن الوردى : تتمة المختصر : ١/٤١٠ .

(٥) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 748 - 749.

والغريب فى الأمر ، أنه لم ترد أية اشارة فى المفاوضات التى دارت بشـــأن الايقونة (المنديل) الى ناصر الدولة الذى كان وقتئذ واليـــا على ديار مضر التى كانت مدينة الرها (اديســـا) تبعـــا لها ، أو حتى الى ممثلة • وقد يكون مفهوما ورود اشارة اليـــه ، فيما دار بهـــذا الشـــأن من مفاوضـــات فى دار الخـــلافة فى بغداد (أيام المتقى لله) — لأنه لم يعد أميرا للأمراء « آنذاك » خاصـــة بعد أن فر أمام قـــوات القـــائد توزون Tuzun التـــركى فى ٤ رمضـــان ٣٣١هـ/١٣ مـــايو ٩٤٣م[1]• ولعل هذا يجعل من الممكن الاعتقاد بتلاشى سلطات ناصر الدولة الحمدانى • حتى ان أهـــالى الرها — وقد شعروا بضعف شأنه وقلتـــه — راحوا يتفاوضون مباشرة ، ويشكلون من أنفسهم وفـــدا (فيمـــا يشبه المجلس البلدى حاليا) مارســـوا من خـــلاله مبـــاشرة عمليـــة التفاوض مع البيزنطيين من ناحيـــة ، ومع الخليفـــة العباسى فى بغـــداد من ناحيـــة أخرى ، دون الرجـــوع فى ذلك الى أى من الحمدانيين[2]•

وقد اورد كنارد عرضـــا نقديا موجزا لدراسة قام بهـــا مؤرخ يدعى دوبشوتز Dobschütz عن أيقونة اديســـا — واستشهد به فازيليف — عرض هذه الأمور بكيفية غير صحيحة الى حد ما • اذ قـــال « دوبشوتز » انه اذا كان أمير ادسا قد خاطب الخليفة على هذا النحو • رغم ان الاخير كان قد فقد سلطانه السياسى الحقيقى فعـــلا ، فانمـــا كان ذلك لان المســـألة ذات طبيعـــة دينيـــة ، لا يمكن لممثل الســـلطة الدنيوية أن يتصرف فيها • غـــير أن هـــذا الأمر لا يتضمن — فى رأى كنارد — اية مسألة دينيـــة اسلامية بالمعنى الصحيح • اذ من الطبيعى

---

(١) المسعودى : مروج ٣٣١/٢ — ٣٣٢ وابن الاثير : الكامل ٨/ ١٣١ — ١٣٢ ، الذهبى : تاريخ الاسلام ١٥٧ ، ومن كنارد راجع ثيوفانيس ص ٢٤٢ وكدرينوس ٣١٣/١ — ٣١٥ ، ٣١٩/٢ وليـــو النحـــوى ٣٢٦ وسيميون الماجستروس ص ٧٤٨ • Canard : Ibid., P. 749.

(٢) كان ذلك فى ربيع أول ٣٣٢هـ الموافق نوفمبر ٩٤٣م خلال ولاية ناصر الملقب « ابن مقاتل » حاكم ذلك الاقليم (الرها) وكذلك طريق الفرات وجند قنسرين • راجع : ابن الاثير : ١٣١/٨ •

ان يقدم الطلب البيزنطى أولا للسلطات المحلية ، ومن الطبيعى أيضا — وبخاصــة اذا فكرنا فى ضعف سلطة الحــاكم فى ديــار مضر — أن يحول الطلب أو يرفعــه الى الخليفة (أمير المؤمنين) . لأن أميرا من اتباعه لا يمكنه — وليست لديه السلطة اللازمة التى تمكنه من — التصرف فى مسألة هامة كافتداء الاسرى أو مبادلتهم ، وهى مسألة تهم جمهور المسلمين وعامتهم ، والبت فيها من اختصاص الخليفــة (أمير المؤمنين) أو من يندبه لذلك[١] .

ومن المحتمل ان يكون هناك بصفة خاصة مسألة شرعية لا يمكن حلها فى مدينة الرها نفسها ، بل يجب طرحهــا على السلطة العليــا . وربمــا أيضــا بسبب ماكان موجودا — وقتذاك — من خــلافات بين أهــالى الرها (اديســا) المسلمين والمسيحيين . وكانت المسألة تتعلق بعرض غير عادى لمبادلة الأسرى ، لا فى مقــابل أسرى آخرين مثلهم ، وانما فى مقــابل شىء آخر لا يملكه المسلمون ، وانما يملكه مسيحيون يتمتعون بالحماية ، وبحرية التصرف فى امــلاكهم وكنائسهم بموجب معــاهدة تسليم ادســا التى ابرمت عند فتحها[٢] .

وعندما تسلم الخليفة (المتقى لله ٣٢٩ — ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ — ٩٤٤م). تقرير وزيره ابن مقلة ، جمع الفقهــاء لاستشارتهم ، واصدار رأيهم فى هذا الأمر . ويقــال ان رأى الوزير السابق على بن عيسى هو الذى فاز ، اذ صرح بأنه طالما ان الخليفــة لا يملك وسيلة فعليــة لتخليص الأسرى المسلمين من أيدى الروم . فانه يجب مبادلتهم مقابل المنديل الذى ينبغى اعتبــاره ملكاً مشتركا بين الجالية المسيحية فى ادسا وبين الأهالى المسلمين بها . وقد أوضح أحــد الفقهاء أن الأيقونة (المنديل) كان منذ زمن بعيــد فى كنيسة ادســا ، ولم يطــالب به ايا من ملوك الروم وليس فى دفعــه لهم غضــاضة وانتهى الأمر والنقاش فى هــذا الموضوع باعتبــار واعتماد وجهــة النظر المصلحية . أى النظر بمــا يعود بالنفع لصــالح المسلمين[٣] .

---

(١) Canard : Ibid., P. 749 - 750.

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ص ١٧٢ .

(٣) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamd. P. 750.

استمرت المفاوضات بعض الوقت بين الجانبين — الاسلامى والبيزنطى — طوال عام ٣٣١ وبعضا من ٣٣٢هـ/٩٤٠م . ووافق الخليفة فى النهاية على الطلب البيزنطى ، استنقاذا لمن فى أيديهم من الاسرى المسلمين ، وأرسل لأهالى الرها بما استقر عليه الرأى طالبا منهم تسليم المنديل للروم[١] . وقد ورد فى فتوى العلماء أن « خلاص المسلمين من الأسر ، واخراجهم من دار الكفر ، مما يقاسونه من الضر والضنك أوجب وأحق »[٢]. وكان عدد الأسرى المسلمين مائتى أسير ، وقد نصت المعاهدة المبرمة بين الروم وأهالى الرها على : « الا يعبر الروم حدود الرها فيما بعد ، وتقوم بين الطرفين هدنة مؤبدة » . وفعلا وصل المنديل الى عاصمة الروم (القسطنطينية) فى يوم ١٥ أغسطس ٩٤٤م (صفر ٣٣١هـ)[٣] . حيث حمل الى كنيسة أجيا صوفيا (أيا صوفيا) ، وكان ذلك أبان حكم الأمبراطور رومانوس ليكابينوس[٤].

وفى العاشر من رمضان ٣٣١هـ (الموافق ١٨ مايو ٩٤٣م) هاجم الروم دارا وفتحوها ، ثم دخلوا رأس عين ، فى يوم الثلاثاء لاثنى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام ٣٣٢هـ (١٣/١١/٩٤٣) ، حيث اقاموا فيها يومين سبوا خلالها من أهلها نحو ألف نفس ، ثم قفلوا عائدين[٥]. وكانت عدة جيشهم نحو ثمانين ألف رجل على ما يذكر ابن الأثير فى حوادث تلك السنة[٦].

---

(١) ابن الأثير : الكامل ١٣٦/٨ .
(٢) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٣٣ — ٣٤ ابن الوردى : تتمه ٤١٠/١ والهامى : التوفيقات ص ١٦٦ .
(٣) الانطاكى : المصدر السابق ص ٣٤ .
(٤) بوفيروجنتس : أدارة الامبراطورية ص ٢٨ والانطاكى : تاريخه ٣٢ — ٣٣ (٧٢٩ — ٧٣٠) وقد استمرت الهدنة قائمة حتى أنهاها سيف الدولة سنة ٣٣٨هـ لاعتداء الروم على ديار المسلمين .
(٥) الانطاكى : المصدر السابق ٣٤ — ٣٥ (٧٣٢ — ٧٣٣) .
(٦) راجع ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٣٦ . و
Grousset : Hist. de l'Armente P. 467.

ويبدو أنه كان يوجد بنود أخرى ضمن الاتفاق غير تسليم الايقونة مقابل الاسرى المسلمين (مائتى أسير) . اذ تخبرنا الروايات البيزنطية والدراسة التى قام بها دوبشوتز Doschutz عن « قصة ايقونة ادسا «Narratio de Imagine Edessena» ، بأن الأمر تم بمساومات مع أهالى الرها (ادسا) . اذ حصل الأهالى على مبلغ ١٢٠٠٠ قطعة من الفضة من الروم ويبدو أن هذا المبلغ — كما يفترض دوبشوتز — قد خصص للصرف على كنيسة الرها[١]. كما حصل الأهالى على تعهد كتابى رسمى (معاهدة ابدية) بسلام دائم بين ادسا والامبراطورية البيزنطية والمدن الثلاث المجاورة لها وهى ، حران ، وسروج ، وسمسطه . وان كان هذا السلام نقض بعد قليل بسبب اعتداءات الروم على ديار المسلمين . مما دفع سيف الدولة — كما ذكرنا — الى انهاء المعاهدة سنة ٣٣٨هـ .

وتمثل الحملة التى أدت الى تسليم منديل ادبسا ختاما لاحدى مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطية فى فترة ما قبل سيف الدولة الحمدانى ، كما تعتبر ختاما عمليا لحياة يوحنا كوركواس — الذى لقب بـ « شبيه تراجان »[٢]، بعد ان ارتفع شأنه جدا فى أعين النصارى ، لما احرزه من انتصارات كان اهمها انتصار الرها ، واستعادة المنديل (الايقونة) من كنيسة ادسا (الرها) الى كنيسة اجيا صوفيا ، الذى وصفه رنسيمان بأنه « رمز لروح الغزو الجديدة فى الشرق »[٣].

فكان مما فتحه يوحنا كوركواس مدن أرزن ، وملطية ، ومرعش ، وآمد Amida وسميساط[٤] . فلما أفل نجمه ، وسقط الامبراطور رومانس ليكابنتوس ، وارتقى قسطنطين بورفيروجنتس عرش الأمبراطورية البيزنطية عام ٩٤٤م (٣٣٢هـ) خفت حدة العمليات

---

(١) Canard : Ibid., P. 751, No. 79.

(٢) Grousset : Hist. de la Armenie, P. 414 - 475.

(٣) Finlay : Hist. of Byz. Emp. P. 287

(٤) Diel : Hist. of Byz. Emp. P. 78 - 79.

العسكرية بعض الوقت من الجانب البيزنطى[١] .

والحق ان انتصارات الدمستق يوحنا كوركواس ماكانت لتحدث لولا انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها الداخلية ، وتحول اهتمامات سيف الدولة — مرحليا — عن مواجهة العمليات العسكرية البيزنطية ، لانشغاله بالمشاكل الداخلية للخلافة العباسية[٢] . هذا فضلا عن انشغال سيف الدولة بالصراع على مدينة حلب ، مما دفع الروم وشجعهم على مهاجمة مرعش ، ومنطقة بغراس ، والزحف حتى أبواب مدينة أنطاكية . ثم ارتدت قواتهم بعد ان رد عليهم سيف الدولة بالهجوم على منطقة عريسوس[٣] . اذ قام سيف الدولة الحمدانى — كما سنرى — بحملة ثأرية انتصر فيها على الروم قرب مرقية (ماراش/مرعش Marach أو جيرمانيكوس) سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م[٤]

أما بالنسبة للنشاط البحرى الاسلامى ضد الروم فى حوض البحر المتوسط ، فقد تناقص حجمه أو تقلص لدرجة كبيرة . وكان أمراء طرسوس — قبل ذلك — يقومون باغارات على القواعد البيزنطية فى منطقة بحرايجة ، فى حملات ثأرية سريعة ، ردا على الحملات البيزنطية على مناطق الثغور الاسلامية سواء فى الشام أو فى اقليم الجزيرة . أما الآن فقد اقتصر النشاط العسكرى الاسلامى على القوات البرية فقط[٥] .

وربما كانت ظاهرة تناقص الحملات البحرية الاسلامية أو توقفها ضد الوجود البيزنطى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، راجعة بالدرجة الأولى الى خلو الميدان من شخصيات قيادية بحرية عظيمة أمثال : أبو الحارث غلام ظرافة (ليو الطرابلسى) ، ويازمان ،

---

(١) Grousset : Hist. de L'Armenie P. 476.

(٢) Vasiliev : Hist. of Byz., Emp. P. 307.

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب ١١٣/١ وبورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٨ .

(٤) Groust : Ibid., P. 476.

(٥) Canard : Hist. de la Dyn. des Hamdanides, P. 753.

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول) .

ودميـــان ، وثمال الطرسوسى ، الذين لم يخلفوا وراءهم جيلا آخر ، يقوم بعـــدهم بتولى مسئوليـــة استمرار المواجهـــة مـــع الروم فى البحر المتوسط . مما أثر على نشاط القوات البحرية الاسلامية فى شرق المتوسط ، وأضعفها . هذا بينما الاســاطيل البيزنطية تحرز نجاحات كثيرة وتقدما كبيرا فى مجـــالات عدة ضد المسلمين ، وتقوم بنشـــاط واسـع ســوف يكون له ما بعـــده فى عمليـــة المواجهـــة الاســـلامية البيزنطيـــة[١].

هذا فضـــلا عن أن الخـــلافة كانت تعـــانى أزمة مالية خانقة ، كما اسهم الاهمال والغفلة التى اتسم بها امراء المســـلمين وقتذاك ، فى التأثير على فاعليـــة النشاط العســـكرى البحرى الاســـلامى ، بل وانزل بالبحرية الاسلامية فى طرسوس ضربة قاصمة لم تنهض منهـــا لمـــدة طويلة بعد ذلك[٢].

---

(١) راجع صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية (الفصل الثانى من الباب الأول)

(٢) Canard : Hist. de la Dyn. P. 753.

وصابر دياب : نفس المرجع .

الفصل الثالث

جهاد سيف الدولة ضد الروم

فى الثغور الاسلامية

(٣٣٣ — ٣٥٦هـ/٩٤٤ — ٩٦٧م)

١ — **المرحلة الأولى** : حمـــاية الثغور فى بداية عهـد سـيف الدولة
(٣٣٣ — ٣٤٣هـ/٩٤٤ — ٩٥٤م)

٢ — **المرحلة الثانية** : الانقضــاض البيزنطى • وبداية أفول نجـم سيف الدولة •
(٣٤٣ — ٣٤٩هـ/٩٥٤ — ٩٦٠م)

٣ — **المرحلة الثالثة** : محاولات نقفور فوكاس انهاء الوجود الاسلامى من الثغور الشامية •
(٣٤٩ — ٣٥٦هـ/٩٦٠ — ٩٦٧م)

جهاد سيف الدولة

ضد الروم فى الثغور الاسلامية

(أ) المرحلة الأولى : حماية الثغور ٣٣٣ ــ ٣٤٣هـ/٩٤٤ ــ ٩٥٤م :

سار سيف الدولة سنة ٣٣٣هـ الى مدينة حلب ، فلقى فيهـا يأنس المؤنس ، ففارقهـا يأنس ، واستأمن اليـه فى قطعـة من الجيش ، فاستولى عليهـا سيف الدولة ، وسار الى دمشق[1] . واقام الدعوة للخليفـة العباسى المستكفى (٣٣٣ ــ ٣٣٤هـ/٩٤٤ ــ ٩٤٦م) ، ولأخيه (ناصر الدولة الحمدانى) ، ولنفسه . فخلع المستكفى على سيف الدولة ، وعلى محمد بن طغـج الاخشيد ، لأن هذا اقام الخطبـة له بمصر ، وما تحت حكمـه من الأصقاع . ولـما بويع للمطيع بالخلافة (٣٣٤ ــ ٣٦٣هـ/٩٤٦ ــ ٩٧٤م) ، سار مع الأخشيد وابن حمدان بسيرة سلفه المسـتكفى بالله ، على قـدم التوازن السياسى . فكتب الى الاخشيد بالتقليد . فتكافأ الأخشيد وسـيف الدولة وهدأت الفتن واستقامت الطرق[2] .

وكان الأخشيد فى بادىء الأمر قـد حاول مناوءة سيف الدولة ، فجرد جيشا سار الى الرستن ــ من أرض حمص ــ لكن سيف الدولة هزمهم ، فعـادوا الى دمشق ، ثم خرجوا عنهـا يريدون الرملة ، ثم قصدوا الى مصر ، وسار سيف الدولة فى أثرهم يريد دمشق ، وكتب الى جمـاعة الاشراف والعلمـاء والاعيـان والمستورين كتابا قرىء على منبر جامعهـا جاء فيه :

« .. وقد علمتم اسعدكم الله ، تشاغلى بجهاد اعدائى واعداء الله الكفرة ، وسبيهم وقتلى فيهم ، وأخذى أموالهم ، وتخريبى ديارهم ، وقد بلغكم خبر القوانين ( ) فى هذه السنة ، وما أولانا الله وخولناه ، واظفرنا به ، واستعملت فيهم السنة فى قتال أهل الله فما اتبعت مدبرا ،

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤١٦/١ .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام ١٨٧/١ .

ولا ذففت على جريح ، حتى سلم من قد رأبتم ، وقد تقدمنا الى وشاح بن تمام بصيانتكم وحفظكم ، وحوط أموالكم ، وفتح الدكاكين ، واقامة الاسواق ، والتصرف فى المعاش الى حين موافاتنا ان شاء الله[١] .

هكذا انتهى الأمر برجحـان كفة قوات سيف الدولة على جيش الاخشيدية . حيث أقام سيف الدولة بدمشق يجبى خراجهـا . وظن ابن حمدان ان الامر تم له فجمـع الى ملكه فى الجزيرة ملك الشـام ، بل ربما وصـل تطلعـه الى مصر . ومادرى أن الأقـدار تخبىء له انحسار ملكه الى حلب وما حولها . وهـو ما اقتنع به عمليـا ، بعـد هزيمة قواته امام القوات الاخشيدية فى دمشق ، التى اخافها احتمـال قيـام سيف الدولة بالمصادرات فى أهلها لو تمكن من المدينة[٢] .

استقر الأمر لسيف الدولة فى حلب ، التى كانت اقرب الى مهـد عصبيته ، وهى الثغور الشاميـة والجزرية وديار مضر وديار بكر . وتصـالح مع الاخشـيد وصـاهره ، وتقرر لسـيف الدولة حلب وأنطاكيـة وحمص[٣] .

وكانت عـلاقة الاخشيديين — كعـلاقة الحمدانيين — اسمية مع الخـلافة فى بغداد . وقد اشتهر الحمدانيون بكرمهم وميلهم للشيعة ، بينما اشتهر الاخشيديون بالشح وأخذهم برأى أهل السنة[٤] .

تم لسيف الدولة السيطرة على حلب وحمص وأنطاكية ، فضـلا ميافارقين ، وأعالى بلاد الشام ، أى المنـاطق الثغرية المتاخمـة لأرض الروم . مما يعنى أن مهمته ، فى حمـاية النطـاق الذى يحكمه ضـد هجمـات الروم ، سوف تحتـل المرتبـة الأولى من فكـره وجهده وامكانياته المـادية والعقلية والبشرية ، وهو أمر جد خطر .

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام : ١/١٨٧ — ١٨٨ وابن الوردى نفسه : ١/٤١٦ .

(٢) محمد كرد على : المصدر السابق ١/١٨٨ — ١٨٩ .

(٣) محمد كرد على : المصدر السابق ١/١٨٩ .

(٤) محمد كرد على : المصدر السابق ١/١٨٩ .

ومن ناحية أخرى استمر الاهتمام البيزنطى مركزا ومنصبا تجاه تحقيق هدف واحد ، كان بالنسبة لهم استراتيجيى وحيوى • ونعنى به كسر شوكة الدولة الحمدانية ، ان لم يكن ممكنا القضاء عليها نهائيا • وسنرى كيف صمدت الدولة الحمدانية حتى هذه اللحظة لعدوان الروم واستمرت كذلك • فكانت بمثابة سد فولاذى تحطمت عليه الكثير من غزوات الروم الشرسة وهجومهم اللاانسانى • وبذلك حفظت الكيان العربى الاسلامى ، وحمت الثغور الاسلامية ، وهى مهمة خطيرة لا يقدر على عبئها وحمل تبعاتها ، سوى أمثال البطل الصنديد سيف الدولة الحمدانى •

لقد أولى سيف الدولة الحمدانى مهمة حماية الثغور الاسلامية ، وصد الهجمات البيزنطية عناية خاصة ، مع يقظة فائقة وحذر كبير • حتى اصبح قمينا بذلك اللقب الذى نعته به المؤرخون المسلمون وهو « حامى الثغور الإسلامية »[1] • ومن ذلك مثلا ماذكره ياقوت الحموى حيث قال[2] بالحرف الواحد : « • • ثم لم يزل هذا الثغر طرسوس وأذنه والمصيصة »[3] ، وما ينضاف اليها بأيدى المسلمين ، والخلفاء مهتمون بأمرها ، والأمور على هذه الحال مستقرة ، حتى ولى العواصم والثغور الامير « أبو الحسن على سيف الدولة » ابن أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان — الذى كان والده حاكما على الموصل والجزيرة — فصمد للغزو ، وأمعن فى بلادهم ، واتفق أن قابله ملوك أجلاد ، ورجال أولو البأس • • ، وبصيرة بالحرب والدين شداد » • وكان سيف الدولة جديرا — بحق — بهذه الثقة ، وأهلا لتلك المهمة التى نيطت به • فأعلنها حربا شعواء فى سبيل المحافظة على كيان العالم الأسلامى وطنا وشعبا وتراثا •

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٩ •

(٢) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٣ ص ٧ (مادة طرسوس) •

(٣) اذنه : هى اطنه • وهى بلد من الثغور قرب المصيصة المشهورة وهى (المصيصة) مدينة على نهر جيحان قريبة من طرسوس الذى كان ثغرا اسلاميا شهيرا — راجع ياقوت : المصدر السابق مادة : **اذنه والمصيصة وطرسوس** •

ففى سنة ٣٣٣ (٩٤٤م) غزا سيف الدولة الحمدانى بلاد الروم ، « وعاد سالما بعد أن أبدع فى أرض العدو » ، وكان سبب هذه الغزاة — كما تذكر المراجع[١] « انه بلغ الدمستق مافيه سيف الدولة من الشغل بحرب أضداده . فسار فى جيش عظيم وأوقع بأهل بغراس ومرعش وقتل وأسر ، فأسرع سيف الدولة الى مضيق وشعاب ، فأوقع بجيش الدمستق ، وبينهم ، واستنقذ الاسارى والغنيمة ، وانهزم الروم اقبح هزيمة . ثم بلغ سيف الدولة أن مدينة للروم تهدم بعض سورها وذلك فى الشتاء ، فاغتنم سيف الدولة الفرصة ، وبادر فأناخ عليها وقتل وسبى ، ولكن اصيب بعض جيشه » .

بعد هذه الغزوة تميزت الفترة من ٣٣٤هـ حتى ٣٣٦هـ (٩٤٥ — ٩٤٧م) بهدوء نسبى ، حتى أننا لا نجد دكرا لحروب قام بها سيف الدولة آنذاك . وكل ما قام به خلالها لم يتعد عملية تبادل أسرى تمت مع الروم ، فى شهر ربيع الأول ٣٣٥هـ (٩٤٦م) ، وهى العملية المعروفة باسم « فداء ابن حمدان » ، وكان الذى توسط فى هذه العملية هو « نصر الثملى » أمير طرسوس . وقد بلغ عدد من فودى بهم من المسلمين حول ألفين وأربعمائة واثنين وثمانين من ذكر وانثى — وقد فرض للروم على المسلمين قرضا مائتان وثلاثون ، لكثرة من كان فى أيديهم ، فوفاهم أبو الحسن على (سيف الدولة) ذلك وحمله اليهم[٢] . وهذا دليل على تفوق الروم على المسلمين فيما بين سنتى ٣٢٤هـ و ٣٣٥هـ .

كما نجد — من ناحية أخرى — بعض التطورات تشهدها الدولة البيزنطية منذ سنة ٩٤٤م (٣٣٥هـ) وهى تطورات جوهرية . اذ أزيح يوحنا كوركواس عن منصب القيادة للجيوش البيزنطية ، وتم خلع رومانوس ليكابينوس ، ليصبح قسطنطين السابع

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ٩٩/١ والذهبى : دول الاسلام ١/ ورقة ١/١٦٠ وابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

(٢) المسعودى : التنبيه والاشراف ص ١٦٥ وابو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ٢٩٥ وقسطنطين بورفيروجنتس . الادارة البيزنطية ص ٢٨ .

(بورفيروجنتس) هو الحاكم المطلق بعد أن بلغ سن الرشد فى سنة ٩٤٥م[1] .

ثم تحرك سيف الدولة فى الفترة من ٣٣٦هـ حتى ٣٣٨هـ (٩٤٧ — ٩٤٩م) . فنزل على حصن برزويه سنة ٣٣٦هـ[2] — قرب السواحل الشامية — ، وكان يوجد فى هذا الحصن يومئذ أبو تغلب الكردى . هذا بينما نزل الروم بقيادة ليو بن برداس فوقاس على حصن الحدث وحاصروه . فاستنجد أهل الحدث بسيف الدولة الذى لم يتمكن من اجابة طلبهم ونجدتهم . لانشغاله بتصفية تمرد أبو تغلب الكردى فى برزوية . وكان ذلك مما مكن ليوبن برداس فوكاس من حصن الحدث ، حيث فتحه بالامان ، وأخرب سوره .

أما سيف الدولة فتمكن من أخذ حصن برزويه سنة ٣٣٧[3]، من الاكراد ، ثم سار الى ميافارقين بعد أن استخلف على حلب محمد بن ناصر الدولة[4]. بينما سار ليوبن برداس فوكاس ، فنزل على بوقا — شمال أنطاكية — فخرج له محمد بن ناصر الدولة لصده ، فهزمه ليو ، وقتل من رجاله نحو أربعمائة غير من أسرهم وكان عددهم كبيرا ، فكان ذلك أوائل عام ٣٣٨ هـ[5] . وفى شهر ربيع الأول من نفس العام (٣٣٨هـ) (الموافق ٩٤٩م) فتح الروم مدينة قاليقلا (ثيود وسيوبوليس) وملكوها ، وهدموا سورها ، وأعطوا أهلها الأمان ، وانصرفوا عنها[6] .

لم يكن وقع هذه الأحداث التى أصابت المسلمين بالثغور

---

(١) Vasiliev A. A. ; Hist. of Byz. Emp., P. 307.

(٢) يسمى اليوم (زمن ياقوت) Berze برزية أو Merze يقع على مرتفع صخرى الى الشمال قليلا من (فامية Apamea) . راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٦٥ .

Dussaud : Topographie de la Syrie, PP. 151 - 153.

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة ورقة ٦/أ وابن العديم — زبدة حلب ١/١٢٠ وابن الوردى ١/٤٢٢ .

(٤) الانطاكى : تاريخ سعيد بن البطريق ص ١١٢ .

(٥) ابن العديم : زبدة حلب ١/١٢٢ والانطاكى : نفس المصدر ص١٢٢

(٦) الانطاكى : نفس المصدر ص ١٢٢ .

الشاميـــة ــ على أيدى القـــوات البيزنطية ــ هينا على نفس وقلب سيف الدولة • بل أنها استفزته ، فهب وجهز جيشـــا من ثلاثين ألف مقـــاتل ، انضـــم اليـــه جيش من طرســـوس قوامه أربعـــة آلاف بقيـــادة القـــاضى أبى حصين • وسار ســـيف الدولة بهذه القوات مجتمعـــة فى يوم الاحـــد منتصف ربيـــع الأول ٣٣٩هـ (أغسطس / سبتمبر ٩٥٠م) الى مدينة قيسارية[١]، ثم الى القبدق (الفندق)[٢]•

لقد أوغل سيف الدولة كثيرا فى أرض الروم ســـنة ٣٣٩هـ وفتح عدة حصون ، وأسر كثيرا منهم ؛ فضـــلا عمن قتلهم وقواته فى الحرب من الروم • ثم ســـار الى سمندو[٣] ثم الى خرشنة[٤]، واســـتمر فى زحفه حتى صارخة[٥] • حيث التقى الجمعان (الحمدانى والبيزنطى) فى معركة كان النصر فيهـــا للحمدانيين بقيـــادة سيف الدولة وأسر فيها جمـــاعة من بطـــارقة (قواد) الروم • وقد اســـتمر سيف الدولة فى غزاته هذه بضعة اشهر • أسر خلالها كثيرا من الروم ، وغنم منهم الكثير من الغنـــائم[٦] وقد أنشـــد أبو الطيب المتنبى فى معركة سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠م) شعرا جاء فيـــــه[٧]:

---

(١) قيسارية : من مدن كبادكيا . وهى مدينة قديمة تقع جنوب نهر هاليس Halys وشمال جبل آرجى Aragee . راجع فيصل الســـامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ .

(٢) تنطق وترد أحيانا « الفندق » وهى من كبادوكيا . راجع السامر : نفس المرجع ١٦١/٢ .

(٣) سمندو : هى المدينـــة البيزنطيـــة المســـماة (تزاماندوس Tzamandos أو أتزاماندوس) ، وتقع على مرتفع الكرمالاس . حيث يقع زامانتى رافد نهر ساروس او سيحان . وكانت تقع الى الشمال قليلا من طريق مرعش ــ قيسارية عبر عربسوس . وهو الطـــريق الذى ســـلكه سيف الدولة . راجع فيصل السامر : المرجع السابق ١٦١/٢ .

(٤) خرشنة : او خرسيون وهى نفس المدينة البيزنطية (المسماة Castrum Charsianum) الى الشمال الشرقى من نهر هاليس . راجع ياقوت، معجم البلدان مادة خرشنة .

(٥) صارخة : من مدن الروم . وتبعد سبعة أيام من القسطنطينية . راجع ياقوت : المعجم .

(٦) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٦١/٢ ــ ١٦٢ .

(٧) المتنبى : ديوانه .

لهذا اليوم بعد غد أريج ونار فى العدو لها أجيج
عرفتك والصفوف معبآت وأنت بغير سفك لا تعيج
رضينا والدمستق غير راض بما حكم القواضب والوشيج
فان يقدم فقد زرنا سمندو وان يحجم فموعدنا الخليج

غير أن القوات الطرسوسية ، اعتقدت ان الأمر انتهى ، وأن الحرب وضعت أوزارها ، فعادت وعاد معها الاعراب . فلما أراد سيف الدولة العودة ، سد عليه الروم درب التيكرون[1] ، فانحصر سيف الدولة فى هذا المضيق الصعب وعزل عن مقدمة جيشه ، كما قطع الروم الشجر وسدوا به الطرق ، وألقوا بالصخور الضخمة من قمم الجبال ، على جنود المسلمين (الحمدانيين) . هذا بينما كان الدمستق يضرب ساقة الجيش الحمدانى بعنف ويقتل ويأسر بوجشية[2] .

وقد وصف المؤرخ الحافظ الذهبى هذه المعركة الرهيبة بقوله :[3] « وفى هذه السنة (٣٣٩هـ/٩٥٠م) غزا سيف الدولة فسار فى ربيع الأول ، ووافاه عسكر طرسوس فى أربعة آلاف عليهم القاضى أبو حصين . فسار الى الفندق وأوغل فى بلاد الروم ، وفتح عدة حصون ، ثم سار الى سمندو ، ثم الى خرشنة (خرسيون) ثم الى بلد صارخة وبينها وبين قسطنطينية سبعة أيام . فلما نزل عليها واقع الدمستق مقدمته ، وظهرت (أى مقدمة سيف الدولة) عليه . فلجأ الى الحصن ، وخاف على نفسه . ثم جمع جيوشه والتقى مع سيف الدولة ، فهزمه أقبح هزيمة وأسر بطارقته ، وكانت غزوة مشهورة ، وغنم المسلمون ما لا يوصف ، وبقوا فى الغزو أشهرا . ثم

---

(١) فى ناحية الحدث ويعرف باسم درب مقطع الانفار . راجع : الانطاكى ، تاريخ يحيى بن سعيد ص ١١٢ والذهبى : تاريخ الاسلام ورقة ١٦٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٢٢/١ والذهبى : نفس المصدر ورقة ١٦٣ .

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٦٣/١ وبورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٩ — ٣٠ .

ان الطرطوسيين قفلوا ، ورجع العربان ، ورجع سيف الدولة فى مضيق صعب ، فأخذت الروم عليه الدروب ، وحالوا بينه وبين المقدمة ، فقطعوا الشجر ، ودهدهوا (القوا) الصخور فى المضايق على الناس (القوات الحمدانية) ، والروم وراء الناس يقتلون ويأسرون ، ولا منفذ لسيف الدولة • وكان معه أربعمائة أسير من وجوه الروم ، فضرب أعناقهم ، وعقر جماله وكثيرا من دوابه ، وقاتل قتال الموت ونجا فى نفر يسير » •

والحق ان سيف الدولة غامر كثيرا ، حين أوغل فى تعقبه للقوات البيزنطية التى فرت من امامه أول الأمر ، مستدرجة لسيف الدولة وقواته الى النقطة التى حصروه فيها ، والتى يذكر بروفيروجننس انها تسمى منطقة « درب الجوازات » الواقعة بين الحدث والبستين[1] • وهناك امكن للروم عزل سيف الدولة عن مقدمة قواته ، مما مكنهم من القضاء بسهولة على كثير من القوات الحمدانية ، حتى اضطر للتراجع بصعوبة بالغة ، ناجيا بنفسه وقلة ممن كانوا معه ، وكان ذلك فى جمادى الآخر ٣٣٩هـ[2] •

لقد كانت نتيجة غزوة درب الجوازات ، التى وقعت فى اليوم الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ٣٣٩هـ (الموافق العشرين من شهر نوفمبر ٩٥٠م) شديدة الوقع والايلام على نفس سيف الدولة الحمدانى ، وهو الأمير والقائد الذى طالما مشى النصر فى ركابه • وهذه الهزيمة فى ذاتها من الفداحة بحيث كانت كافية لتوهين العزم ، وتيئيس النفوس ، وتثبيط الهمم عن مواصلة المواجهة مع الروم • لكن نفس سيف الدولة لم تكن من ذلك اللون أو النوع الذى ينكسر ، ولم يكن لليأس والوهن اليها سبيلا ، لما فطر عليه من نفس أبيه وهمة فولاذية قوية • بل أن سيف الدولة جعل من هذه الهزيمة المؤلمة ، نقطة انطلاق ، لمرحلة جديدة من المواجهة مع الروم

---

(١) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٣٠ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ٨٤ •

حفظـا لكيان العـالم الاسـلامى • ولا غرو ، فلم يكن سيف الدولة يحـارب عن نفسه أو أسرته ، بقدر ما كان يقوم بدور المجـاهد دفاعا عن عرين الاسـلام وحمـايته من هجمـات الروم وقتلهم • فبدأ فى التجهيز فورا لجولة جديدة ، يمسح بهـا آثار هزيمة دزب الجوازات فى جمـادى الآخرة سنة ٣٣٩هـ • هذا بينما نزل امبراطور الروم فى نفس العـام على حصن أفاميـة وجميـع عظـام قتـلاه ، وصلى عليهم ودفنهم ، ثم فتح شيزر بالأمان لخلوها من مدافع[1] •

فى هذه الأثناء وبينما سيف الدولة يستعد لجولة جديدة ، جاء الروم فى قوة كبيرة وهاجموا مدينـة سروج[2] ، « وخربوا مبانيهـا ومسجدها ، ونهبوا مالهـا »[3] فلما علم بذلك سيف الدولة ، أسرع بقوة ليشتبك مع القوات الغازية من الروم سنة ٣٤٠هـ فى معركة حالفه فيهـا النصر ، وجعـل يتعقبهم حتى اجلاهم عن سروج ، ثم اتجه الى مرعش[4] ، فأعاد سنة ٣٤٠هـ بنـاء ماكان الروم قـد هدموه فى غزوتهم عـام ٣٣٧هـ ، وهو ما نوه به المتنبى فى احدى قصائده حين قال[5] •

فيوما بخيـل تطرد الروم عنهـم	ويوما يجود تطرد الفقر والجدبا
سر اياك تترى والدمستق هـارب	وأصحـابه قتلى وأمواله نهبـا
أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا	وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربـا
كفى عجبـا أن يعجب النـاس أنه	بنى مرعشـا تبا لآرائهم تبـا
وما الفرق ما بين الأنـام وبينـه	أذ حذر المحذور واستصعب الصعبا

بعد أن عاد سيف الدولة الى حلب سـنة ٣٤١هـ — عقب تخليصه

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر (تاريخ ابن الوردى) ٤٢٣/١ .

(٢) سروج : مدينة من ديار مضر ، قرب كل من حلب وحران . راجع ياقوت : معجم البلدان مادة سروج وابن الوردى : تتمة المختصر ٤٢٥/١

(٣) ابن الوردى : المصدر نفسه ٤٢٥/١ .

(٤) مرعش : أول الثغور الشامية مما يلى جبـل اللكام . خربتها الروم سـنة ٣٣٧هـ فأعاد سيف الدولة بنـاءها سنة ٣٤٠هـ . راجع ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٥) ابن الوردى : المصدر نفسه ٤٢٦/١ والمتنبى : ديوانه .

مدينـــة سروج من الروم — علم بمعاودتهم الاستعداد لغزو حلب . فاجتاز نهر الفرات الى دلوك (دلوص) ثم الى قنطرة صنجة ، حيث تعقب الروم ، حتى ادركهم فى ملطية آخر ٣٤١هـ ومستهل عـام ٣٤٢هـ واحتدم القتـال بين الفريقين اياما ، لينتهى بنصر مـؤزر للقـوات الحمدانية ، وهزيمة الروم ، الذين قتـل كثير منهـم ، وأسر منهـم اعداد غفيرة . كما جرح القـائد برداس فوكاس Baradas Phocas فى وجهــه وكان قسطنطين بن برداس فوكاس من بين الاسرى . وقد أذهله وقوعه فى أسر المسلمين قرب مرعش ٣٤٢هـ (٩٥٣م) ، فمازال فى هم وكمد حتى قضى نحبه وهلك فى الاسر . فحزن لموته سيف الدولة كثيرا ، حتى ليقـال انه أرسـل فيه عزاءا لوالده(١) .

والحق ، لقد كانت هذه الجولة الأخيرة بين الحمدانيين والروم — معركتى ملطية ٣٤١هـ ومرعش ٣٤٢هـ — من اشد ما مر بالروم من كوارث ونكبات . اذ انتاب الحزن بعدها برداس فوكاس ، لأسر ابنه قسطنطين ثم موته أسيرا . بل لم يلبث برداس نفســه أن ترهبن . وتســابق شعراء سيف الدولة الحمدانى فى وصف هذه المواجهة ببراعة فائقـــة . من ذلك ما قاله أبو الطيب المتنبى موجها كلامه لامبراطور الروم(٢) :

نجوت باحدى مهجتيك جريحـــة ... وخلفت احدى مهجتيك تســيل
أتســلم للخطيــة ابنك هاربـــا ... ويسكن فى الدنيــا اليك خليــل
بوجهك ما أنســـاكه من مرشـــة ... نصــيرك منهــا رنة وعويــل

ومنها قوله فى قصيدة أخرى :

فلو كــان ينجى من على ترهب ... ترهبت الأملاك مثنى وموحدا(٣)

---

(١) ابن شداد : الاعــلاق الخطيرة ١/٢٥٩ وابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٢٧ .

(٢) المتنبى : ديوانه وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٢٤ وابن الوردى المصدر السابق : ١/٢٨٦ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١١٠ .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر : ١/٤٢٧ .

وهكذا تنتهى هذه المواجهة الحمدانيــة البيزنطية فى تلك الفترة (٣٣٣ — ٣٤٣هـ/ ٩٤٤ — ٩٥٤م) بنصر مؤزر المسلمين أحرزه لهــم سيف الدولة الحمدانى البطل وجنوده البواسل ، ضد الروم .

المرحلة الثانية : مرحلة الانقضاض البيزنطى وأفول نجم سيف الدولة (٣٤٣ — ٣٤٨/٣٤٩هـ)

عاود الروم اعتداءاتهم سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م على تخوم (ثغور) الدولة الاســلامية فى بــلاد الشام ، مما دفع سيف الدولة للقيــام لصــدهم . ولذلك نشبت المعــارك بين الطرفين قرب حصن الحــدث Adatha [1] . وكان عدد جيش الروم هذه المرة — كعادتهم — كثيفا أيضــا — يقال أنه بلغ خمسين ألفا من الفرسان والرجالة — تجمع من جموع الروم والأرمن والبلغار والروس والصقالبة والخزرية . وظلت المعركة من الصباح حتى العصر ، حيث تمكن سيف الدولة فيها من قتــل الكثير من قوات الروم وعلوجهم ، حتى بلغ ما قتــل منهم نحو ثلاثة آلاف ، عــدا من أسر وكان عــددهم كبيرا ، كان منهــم الامبراطور قسطنطين نفسه وبعض بطــارقته (أى قواده)[2] .

ويصف الثعالبى معركة الحــدث ومــا وقــع فيهــا بقوله[3] : « . . . وسار سيف الدولة لبنــاء الحــدث — وهى قلعــة عظيمــة الشأن — فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظمــاء مملكته ، وجهزهم بالصليب الاعظم (ما يسمونه صليب الصــلبوت) وعليهــم فردوس (برداس) الدمستق ثائرا بابنــه قسطنطين ، فى عدد لا يحصى ، حتى احاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب وساءت ظنون المســلمين . ثم أنزل الله نصره ، فحمــل ســيف الدولة يخرق الصفوف طلبــا للدمستق ، فولى هاربا وابن بنتــه وقتــل خلق كثير من الروم » . وقد سجل المتنبى هذا النصر الحمدانى الاسلامى المؤزر

---

(١) الحدث مدينة صغيرة بالشام . راجع ابو الفدا : تقويم البلدان ٢٦٣

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١/١٢٤ — ١٢٦ .

(٣) الثعالبى : يتيمة الدهر (ط . مصر ١٩٣٤م) .

للامير سيف الدولة فى قصيدته « على قدر أهل العزم تأتى العزائم »[1] التى جـاء فيهـا .

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائـم
تمر بك الابطـال كلمى هزيمة ووجهك وضـاح وثغرك باسـم

والحق أن سيف الدولة كان يرمى دائمـا من وراء معاركه ، الى تحقيق هدف واحد لم يغب عنـه لحظـة واحـدة ، ألا وهو حمـاية الدولة الاسلامية ممن يبغى بهـا سوءا أو شرا . أمـا الروم فكانوا يشعلونها حربا دينية لاخذ بـلاد دخلها الاسـلام ، وسكن بنوره فى قلوبوأفئدة أهلها . وليس لاعادتهـم للضـلال سبيل . فالتـاريخ لا يعود للوراء أبدا ، والحق لابد وان ينتصر مهما طـال الأمـد . مما يجعلنـا نقرر بشىء من الثقة أن عصر الحروب الصليبية ، انمـا يرجـع الى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميـلادى) ، وليس الى تلك الصيحـة الرعناء التى نهق بهـا البابا أوربان الثـانى فى مجمع كليرمونت سنة ١٠٩١م (اواخر القرن الخـامس الهجرى) .

لقد كانت معركة الحدث ٣٤٣هـ حقا من المعـارك التى منى فيها الروم بخسـائر فادحة فى الرجـال والاموال ، وكان اندحارهم فيها مزريا . لكن سيف الدولة لم يستخفه هذا النصر البـاهر على عدوه وعدو دينـه وأمتـه ، بل ظـل حذرا متيقظـا دائمـا لمـا يمكن ان يقوم به الروم من هجوم مباغت . ولولا هذه اليقظـة التى تمتـع بها سيف الدولة ، لمـا كانت الدولة الحمدانية ، ولمـا كان لسيف الدولة هذا الصيت الداوى على مر الاجيـال .

سار سيف الدولة فى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ، على رأس جيشـه قاصدا أرض الروم . وقد صحبه فى حملته هذه شـاعره أبو الطيب المتنبى ، ليشهد بنفسه المعـارك التى طالما سمع عنها من الرواة . وعبر

---

(١) المتنبى : ديوانه .

سيف الدولة بقواته نهر أرسناس[1] ، ثم اجتاز حصن الران[2] ، ومنه الى تل بطريق ، الذى كان ضمن المناطق البيزنطية . ولم تجد القوات الحمدانية فى هذه النواحى مقاومة تذكر[3] .

وقد سجل المتنبى هذه المناسبة فى قصيدة له جاء فيها[4] :

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهى المحل الثانى

ومنها قوله :

لولا سمى سيوفه ومضاؤه   لما سللن لكن كالأجفان

مازلت تضربهم دراكا فى الذرى   ضربا كأن السيف فيه اثنان

فرموا بما يرمون عنه وأدبروا   يطأون كل حنية مرنان

يغشاهم مطر السحاب مفصلا   بمهند ومثقف وسنان

يامن يقتل من اراد بسيفه   اصبحت من قتلاك بالاحسان

فاذا رأيتك حار دونك ناظرى   واذا مدحتك حار فيك لسانى

كان لخبر وصول القوات الحمدانية الى منطقة تل بطريق ، وقع الصاعقة فى نفوس الروم وقادتهم . فلحقوا بسيف الدولة ، والتحم الفريقان فى قتال ، جادت أثناءه السماء بمطر غزير عطل القسى عن الرماية ، مما أذهل الروم وأفزعهم ، فطفقوا يتفرقون فى انحاء المملكة البيزنطية ، وانسحبوا كالجرذان المذعورة الى جحورها ، مما اشعل الحمية والحماس فى نفس جيش الحمدانيين وقائدهم سيف الدولة . « فركبوا أقفية الروم المندحرة » ، حتى أوغلوا فى

---

(١) نهر ارسناس : نهر فى بلاد الروم يوصف ببرودة مائه . راجع ياقوت معجم والبلاذرى : فتوح .

(٢) يقع حصن الران على منطقة الحدود الاسلامية البيزنطية قرب ملطية .

(٣) ابن ظافر : الدول المنقطعة جـ ١ ص ٨ ومحمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ١٩٠ .

(٤) المتنبى : ديوانه وابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٢٨ .

أرضهم ، يسبون كل ما أحلته لهم قواعد الحرب . وكانت نتيجة هذه الغزاة مؤلمة وشديدة الوقع فى نفوس الروم[١] .

وقد أورد الأنطاكى انبـاء هذه الموقعـة فى تاريخه حيث قال : « غزا سيف الدولة الى بطن هنزيط (خنزيت . . . . Khanzit) فى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، ونزل شاطىء نهر أرسناس ، وعبر الى الجـانب الآخر فى الزواريق ، وكان يأنس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكس) فى تل بطريق فكبسه سيف الدولة ، فانهزم ابن الشمشقيق ، وفتح سيف الدولة تل بطريق ، وانثنى سيف الدولة قافلا الى الدرب يقـال له درب الخياطين ، وألفى الدمستق (قائد الجيش البيزنطى) وابن الشمشقيق قد أخذا الدرب وأشحناه (عباه) بالرجـال ، فانتشب القتـال بينهـم ، واستظهر سيف الدولة عليهما ، وكان سيف الدولة قد خلف بدلوك (دلوص) أبا العشـائر الحسين بن على بن الحسن بن حمدان[٢] ، ورسم له النزول على حصن عرمدا وبنـاه . وخرج لاون البطريق بن الدمستق ، ولقيـه أبو العشـائر فأسره — أى أسر أبا العشـائر — وحمله الى القسطنطينية ومات فى الأسر »[٣] .

وفى نفس السنة (٣٤٥هـ) غزا سيف الدولة — باحدى سراياه — منطقـة سمندو ، فوجدوا فيهـا : استراتيجيوس (حاكمهـا) ابن البلنطس ، وأسروه . . « وقتل سيف الدولة ، وأحرق وأسر ثم عاد » . كمـا قصد بعد ذلك حصن زياد وحاصره واتصـل به(أى علم) أن الدمستق متوجه الى الشـام فتسرع (فاسرع) سـيف الدولة الى لقـائه ودفعـه[٤] .

وقد أورد ابن الأثير فى سرده لأحـداث عـام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) « أن سيف الدولة سار فى رجب من هذه السنة فى جيوش الى بـلاد

---

(١) الانطاكى : تاريـخ يحيى بن سعيد البطـريق ص ٧٤ — ٧٦ (٧٧٢ — ٧٧٤) .

(٢) هو احد قواد سيف الدولة ، ووالية على انطاكية آنذاك .

(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٤ — ٧٦ .

(٤) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

الروم ، وغزاها ، حتى بلغ خرشنة (خرسيون) وصارخه ، وفتح عدة حصون ، وسبى ، وأحرق ، وخرب ، وأكثر القتل فيهم ، ورجع الى أذنه (أطنه) ، فاقام بها حتى جاءه رئيس طرسوس ، فخلع عليه سيف الدولة واعطاه شيئا كثيرا وعاد الى حلب ، فلما سمع الروم بما فعل ، جمعوا حشودهم وساروا الى ميافارقين ، واحرقوا سوادها ، نهبوه وخربوا ، وسلبوا أهله ، ونهبوا أموالهم وعادوا »[1].

عزم الدمستق نقفور فوكاس على الانتقام من المسلمين ، نتيجة ما ألحقته بهم هجمات قوات الحمدانيين فى الشام من هزائم وخسائر . فجهز حملة كبيرة جعل قيادتها الى انقائد حنا ريمسكيس (ابن الشمشقيق عند العرب) الذى بدأ اغارته على اطراف منطقة ديار بكر . وكان زيمسكيس قد أقسم لنقفور فوكاس انه « لن يرجع حتى يخذل سيف الدلة خذلانا مبينا »[2]. وقد نوه المتنبى بهذا القسم فى قصيدة له جاء فيها[3] :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
ماذا بزيديك فى اقدامك القسم
وفى اليمين على ما أنت واعده
مادل انك فى الميعاد متهم
آلى الفتى ابن شمشقيق فأحنثه
فتى من الضرب تنسى عنده الكلم

لما علم سيف الدولة بنبأ حملة زيمسكيس ، زحف بقواته نحو سميساط . وهناك انضم اليه بنو نمير[4] . مما عزز قواته ، ثم لحق بالروم ، وقد ظنوا أن باستطاعتهم استدراجه ، لكنهم كانوا واهمين . وقد التقى الفريقان — الحمدانى والبيزنطى — فى عام ٣٤٥هـ (٩٥٦م) فى مكان ضيق يسمى « درب باقسايا » ، حيث أنزل

---

(١) ابن الاثير : نفس المصدر حوادث ٣٤٥هـ .
(٢) الانطاكى : تاريخ الانطاكى (صلة اوتيخا) ص ٧٤ — ٧٦ .
(٣) المتنبى : ديوانه .
(٤) راجع ابن حزم : جمهرة انساب العرب « بنو نمير » .

بالروم هناك هزيمة فادحة ، وقتــل من قواتهم نحو أربعــة آلاف ، بينهم عدد من كبار قادتهم وبطارقتهــم ، وكانت مغــانم الحمدانيين فى هذه الوقعــة وفيرة من العتــاد والذخائر ، عدا النفائس الثمينة كالحلى والديبــاج[1].

واستمر الحمــدانيون فى تعقبهم للروم ، حتى فلوا حــدهم ، ومزقوهم شرق ممزق . وكانت موقعــة درب باقسايا هــذه مما أثار شجن ووجد المتنبى ، حتى انه نوه بهــا فى قصيدته « الرأى قبــل شجاعة الشجعان » ، اذ ورد فى بعض أبياتها وصفا للمعركة والاماكن التى دارت فيهــا ، نورد منها هــذه الأبيات[2]:

فى جحفل ستر العيون غبــاره ... فكأنمــا يبصرن بالآذان
يرمى بهــا البلد البعيد مظــفر ... كل البعيــد له قــريب دان
فكأن أرجلها بتربة منبــج ... يطرحن أيديها بحصن الــران
حتى عبرن بأرســناس سوابحا ... ينشرن فيــه عمــائم الفرسان

كما أشار المتنبى الى صعوبة الطريق والدروب التى سلكها سيف الدولة بقواته فى قوله[3]:

وعلى الدروب فى الرجوع غضــاضة
والسير ممتنــع من الامكــان
والطرق ضيقة المسالك بالقنــا
والكفر مجتمع على الأيمــان
نظروا الى زبر الحــديد كأنمــا
يصعدن بين منــاكب العقبــان
وفوارس يحيى الحمــام نفوسهــا
فكأنمــا ليست من الحيــوان

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

(٢) المتنبى : ديوانه .

(٣) المتنبى : ديوانه .

مازلت تضربهم دراكا فى الـــــذرى
ضربا كأن السيف غيــه اثنــــــان

رفعت بك العرب العمــــــاد وصيرت
قمم الملوك مواقد النيـــــــــران

لمــا سمع الروم بما فعلته القوات الاسلامية بقيادة سيف الدولة الحمدانى ، ساروا الى ميافارقين (مارتيروبوليس) « فأحرقوا سوادها، ونهبوه ، وخربوا ، وسبوا أهله ، ونهبــوا أموالهم ، كما سيروا حملة بحرية الى طرسوس ، حيث اعملت القتــل فى أهلها العزل ، حتى بلغ من قتلوه منهم نحــو ألف وثمانمائة (١٨٠٠) رجــل ، كمــا حرقوا ما حولها »[1] . وبذلك يبدأ العد التنــازلى لقوة الحمدانيين ومجدهم .

ذلك أن الفترة التى أعقبت ذلك ، وبخاصـــة ابتــداء من عـــام ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ، اتسمت بظهور عــلامات ودلائــل الضعف ، التى بدأت تنخر فى كيــان القـــوة والدولة الحمدانيــة . وهى التى كانت تتحمــل منذ قيامهــا عبء المواجهــة الحربية مع الروم ، فى مناطق الثغور سواء الجزرية أو الشاميــة . وسيكون لذلك التطور أثره فى المواجهــة فى الثغــور الشــامية والجــزرية وميــاه شرقى البحــر المتوســط آنذاك .

واذا كان السيف هو فيصــل العـــلاقات بين القوى الاسلامية من ناحيــة والدولة البيزنطية من ناحيــة أخــرى فى بــلاد الشرق الاســـلامى — (الشــام والجزيرة وأرمينيــة) — فان الأمــر اختلف فى النطــاق الغربى للعــالم الاســلامى . اذ . . . . استقبل الحــاكم الأموى فى بــلاطه بقرطبــة (فى الاندلس) سفارة بيزنطية منذ عــام ٣٣٦هـ (٩٤٧م) ، للعمــل على موادعتــه على حــد قول المقرى[2] . وذلك لأن الامبراطور البيزنطى — وقتذاك — قسطنطين

---

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ حوادث ٣٤٥هـ .

(٢) المقرى : نفخ الطيب ١/٢٦٤ ومابعدها .

السابع بورفيروجنتس (٩١٣ — ٩٥٩م)[1] ، كان يخشى من نوايا الفاطميين ببلاد المغرب ، الذين سبق لهم التحالف مع البلغار ضد الأمبراطورية البيزنطية فى عهد رومانوس ليكابينوس[2].

على أى حال ، لقد شهدت الفترة فيما بين سنتى ٣٤٥هـ و ٣٤٨هـ (٩٥٧ — ٩٦٠م) نشاط بيزنطيا مركزا ، على جهة المواجهة ضد المسلمين ببلاد الشام واقليم الجزيرة . اذ سار الروم فى شهر ربيع الأول ٣٤٥هـ فى حملة قصدت « حصن الحدث » ، حيث فتحوه صلحا . ثم انصرفوا من توهم الى مدينة حلب لفتحها . وفى سنة ٣٤٧هـ سارت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيق) الى مدن آمد Amida ، وأرزن Arzen وميافارقين (مارتيروبوليس) ، ونصيبين ، ونزلوا على حصن يسمى « الحصن اليمانى » من أعمال آمد[3].

ولما علم سيف الدولة بهجوم الروم على هذه المناطق ، سير غلامه « نجا الكاسكى » على رأس جيش قوامه نحو عشرة آلاف مقاتل . والتقى الجمعان فى معركة ضارية ، انتهت بهزيمة القوات الحمدانية ، ومقتل نحو خمسة آلاف منهم ، وأسر ثلاثة آلاف تقريبا ، كما استولى الروم على جميع سواد نجا الكاسكى غلام سيف الدولة[4] . وقد واصل الروم زحفهم بقيادة يوحنا زيمسكيس ، الذى رافقه باسيل الباركومنس Basil Le Perakmaumène حيث نزلا بقواتهما على سميساط Samosata وفتحاها ، ثم سارا عنها الى رحبان (أورعبان Râbân) فحاصراها فى شعبان / رمضان ٣٤٧هـ (اكتوبر / نوفمبر ٩٥٨م)[5].

---

(١) اشترك هذا الامبراطور فى الحكم مع رومانوس ليكابينوس فيما بين سنتى ٩١٩ — ٩٤٩م . ثم انفرد بالحكم بعد ذلك حتى ٩٥٩م راجع : بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٥ (ثبت الاباطرة البيزنطيين) .

(٢) بورفيروجنتس : المرجع السابق ص ٣١ .

(٣) Grousset; R. :Hist. de la Armenie, P. 476 - 477.

(٤) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

(٥) Grousst : Hist. de la L'Armenie, P. 477.

هكذا نرى الجـانب البيزنطى يحرز جولات ينتصر فيهـا على القوات الحمدانية فى فترة ضعف القوى الاسـلامية ، وذلك بفضـل ثلاثة من أبرع قادة الروم وهم : ليوفوقاس ، وباسيل باراكمومنس ، ويوحنا زيمسكيس (الأرمنى الأصـل) • فيتقدم الزحف البيزنطى نحو آمد ، وأرزن ، ونصيبين ، وميافارقين • غير أن هذه الحمـلات البيزنطية لم تتعد كونها اغارات سريعة مضـادة ، قام بهـا الروم كرد فعـل للنشـاط الاسـلامى ، الذى كان قـد سـجل الكثير من الانتصـارات على الروم فى جولات سابقة واماكن مختلفة •

والدليل على ان هذه الحمـلات البيزنطية كانت بمثابة غارات خاطفة ان المدن الأربعة المذكورة — آمد ، أرزن ، نصيبين ، وميافارقين — استمرت — بعد انسحاب الروم منها — تحت سيادة الامارة الحمدانية وسلطة الامير الحمـدانى ، المتمركز فى حلب • أما عن النصر الذى أحرزه زيمسكيس على سيف الدولة وقواته فى رعبان (رحبان) ، فكان من نتائجه الاساسية ضمان الروم السيطرة التامة على سميساط[١] •

والحق ان الروم أوقعوا بقوات سيف الدولة فى معركة رحبـان (شعبان / رمضـان ٣٤٧هـ) هزيمـة كبرى • اذ قتـل من القوات الحمدانية الكثير ، كان منهـم عدد ليس بالقليل ، من اصحاب وغلمان سـيف الدولة ، ممـا يند عن الحصر ، هذا فضـلا عمن سيق أسيرا (وعددهم نحو ألف وسبعمائة) الى شـوارع القسـطنطينية ، حيث طيف بهم فى شوارعها وهم يركبون خيولهم ومعهم اسلحتهم[٢] •

تشجع الروم بما احرزوه من انتصارات على القوات الحمدانية ، فاندفعوا يزحفون فى نفس سنة ٣٤٧هـ على مدينـة قورس[٣] ، حيث أسروا عددا من أهلها ، استخلصهم سيف الدولة فيما بعد • وفى السنة التاليـة يموت امبراطور الروم قسـطنطين بن ليو (بورفيروجنتس) (فى اكتوبر ٩٥٩م / شعبان ٣٤٨هـ) ، بعد حكم دام زهاء ٤٨ عاما ،

---

(١) Grousset : Ibid. P. 477 - 478.

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ٧٧٥ — ٧٧٦ •

(٣) مدينة قورس : تقع بين تل عفرين وكلس • راجع الانطاكى : تاريخه ص ٧٧٥ — ٧٧٦ •

بزغ خـــلالها نجم كل من ليوين برداس فوكاس ، ونقفور فوكاس ، بحيث صار للأول حكم شرق الدولة البيزنطية . والثـــانى غربها[١] .

والحق ان قسطنطين بورفيروجنس — الامبراطور ومؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية — مات فى وقت أصبحت فيـــه منطقة الفرات من جديد قاعدة للعمليات البزنطيـــة ، وصـــارت منطقـــة دجلة هدفا للغارات والجحافل البيزنطية فيما بعد[٢] .

وفى مستهل شوال عـــام ٣٤٨هـ ، ســـار الروم الى طرسوس ، حيث فتحوا حصن الهارونية . كمـــا سارت فرقة منهم الى ناحيـــة ديـــار بكر فى نفس العـــام . فلمـــا علم بذلك سيف الدولة سار من حلب الى هنـــاك ، فرحـــل الروم الى ناحيـــة الشام ، بعد أن قتلوا عددا من أهله ، وخربوا حصونا كثيرة ، كما أسر محمد بن ناصر الدولة الحمـــدانى[٣] . كما حشد الروم قواتهم بقيـــادة ليوفوقاس ، حيث استولوا على مدينـــة الحـــدث ، ودخوا حصونها .

وفى نفس العـــام ٣٤٨هـ (٩٥٩م) نجح الروم فى السيطرة على مدينـــة مرعش[٤] .

ومن ناحيـــة أخرى شجعت هذه الانتصـــارات البرية حكـــام الامبراطورية البيزنطية على نقـــل ميدان صراعهم ضد المسلمين ، الى الحوض الشرقى للبحر المتوسط فى جـــزيرة كريت (اقريطش) حيث انقض الأسطول البيزنطى فى عـــام ٣٤٩ هـ على الجزيرة[٥] ، محاولا أخذها من المسلمين ، وهو ما لم ينجح فيـــه الا مستهل عـــام ٣٥٠هـ بسبب انشغال القوى الاســـلامية المعـــاصرة — كالفاطمية فى المغرب والاخشيدية فى مصر — فى مشاكلها الاقليمية الخاصـــة ، فضـــلا عن تردى أوضـــاع الخـــلافة العباسية آنذاك[٦] .

---

(١) الانطاكى : نفس المصدر ص ٧٧٦ .
(٢) Grousset : Hist. de L'aramenie., P. 477.
(٣) الانطاكى : نفس المصدر ص ٧٧٥ — ٧٧٦ ، والهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٧٤ .
(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ١٢٠ ، وبورفيروجنتس ص ٢٩ .
(٥) بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩
(٦) ابن العديم : زبدة الحلب ١/ ١٤٧ وصابر دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ص ١٣٤ — ١٤٠ .

هكذا اصبحت منـاطق الثغور الاسلامية ـ البيزنطية فى مستهل عام ٣٤٩هـ (٩٦٠م) تحوى مدنا حدودية (ثغرية) ، تمتد من الشمال الى الجنوب ، صـارت خاضعة للسيطرة والسـلطة البيزنطية مثل : سميساط ، بهسـنى ، وكوكوسوز (جوكوسن Goksun) وجمانة ، وبودانوس (بوزانتى Podandos) وورومانوبوليس Romonopolis وكركارون (جرجر)(١) .

وبهـذه الانتصـارات التى أحرزها الروم (البيزنطيون) على المسـلمين ـ منتصف القرن الرابـع الهجـرى (منتصف العـاشر الميـلادى) ـ فى المنـاطق الثغرية باقليم الجزيرة (ما بين النهرين أو منطقـة الميزوبوتوميا) وبـلاد الشـام ، تكون الحدود البيزنطية قد اقتربت أو قل تاخمت الولايات الأرمينية المستقلة . وهذا الوضع الجديد ستترتب عليـه مشـكلة كبرى سماها جروسية Grousset « مشـكلة الايام القادمة » وهى : هـل تساعد الممالك الأرمينيـة الدولة البيزنطية فى حربهـا ضد المسلمين ؟ أم تعرقل تقدم قواتهـا ونشـاطها بعـد أن زاحمت السـيادة البيزنطيـة تلك الممـالك فى عقر دارهـا ؟(٢) .

٣ ـ المرحلة الثالثـة : محـاولات نقفور فوقاس انهـاء الوجـود الاسلامى من مناطق الثغور الاسلامية (٣٤٩ ـ ٣٥٦هـ/ ٩٦٠ ـ ٩٦٧م) :

علم سيف الدولة ، فى مستهل عـام ٣٤٩هـ ، أن الروم يخططون لايقـلاع الثغور الاسـلامية ، وانهم حوموا حولهـا متعدين حدود طرسوس والرها (ادسـا Edessa) وقتلوا وسـبوا دون أن يلقوا مقاومة تذكر . فأعد سيف الدولة عدته ، وجيش قواته ، وأعلن الجهاد لدحر اعداء الاسـلام ، ولينتقم لمـا انتهكو من حرمات المسلمين .

وسـار سيف الدولة فى نفس العـام (٣٤٩هـ) الى خرسيون

---

(١) Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 477.

(٢) Grousset : Ibid., P. 478.

(خرشنة)[١] ، عازما على ضرب الروم فى عقر دارهم وقلب حدودهم ، وليحول بينهم وبين التوغل فى البلاد الاسلامية . خاصة وان مطامعهم كانت تهدف الى احتلال حلب ، واخذ بلاد الشام من المسلمين ، وهو ما اتضح من تحركاتهم .

وقد أخذ سيف الدولة — وهو فى طريقه الى خرشنة سنة ٣٤٩هـ عددا من الحصون البيزنطية ، مما أجبر الروم على الانسحاب أمامه ، محاولين استدراجه الى هوة سحيقة . وقد ابتلع سيف الدولة وجنوده الطعم ، فى المنطقة بين البستين والحدث ، « حيث قطعوا الاشجار وسدوا بها الطرق ، ودهدهوا الصخور فى المضايق (أى القوها) على جيشه ، والروم مع الدمستق وراء الناس يقتلون ويأسرون[٢] .

اندلع القتال بين الجانبين — الحمدانى والبيزنطى — ودارت المعركة ، فاستبسل سيف الدولة وجنوده . لكن النصر جانب القوات الحمدانية ، حيث انتصر الروم عليهم وراح من جند سيف الدولة (وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا) عدد كبير جدا ، بحيث لم يبق سوى عدد لا يزيد على الثلثمائة ، زادوا عن سيف الدولة واستبسلوا زودا عنه ، حتى انقذوه بعد جهد جهيد . وقد عرفت هذه الغزوة باسم « غزوة المصيبة » ، نسبة للنتيجة المؤلمة التى انتهت بها على الحمدانيين وقواتهم . مثلما حدث وفى نفس المكان منذ عشر سنوات (٣٣٩هـ فى جمادى الآخرة) وهى منطقة درب الجوازات[٣] .

---

(١) ورد اسم خرسيون (خرسنة او خرشنة) مرارا فى اشعار كل من المتنبى وابى فراس الحمدانى ، الذى بقى اسيرا حيث خاطب خرسنة بقوله :
ان زرت خرسنة اسيرا فلكم حللت بها أميرا (وفى رواية مغيرا)
وهى — كما اوضحنا قبل — بلدة ثغرية قريبة من ملطية ، وهى ثغر رومى راجع ياقوت : معجم البلدان **مادة خرسنة** .

(٢) محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ١٩٠ .

(٣) راجع بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية البيزنطية ص ٢٩ — ٣٠ وابن العديم : زبدة الحلب ١٢١/١ وابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٨٥ — ٤٨٦ (حوادث ٣٤٩هـ) وسامى الكيالى : سيف الدولة ص ٩٣ وابن الوردى : تتمة ٤٣٠/١ ، ومحمد كرد على : المصدر السابق ١٩٠/١ .

وقد أورد ابن مسكويه تصويرا دقيقا لما جرى فى « وقعة المصيبة » هذه حيث قال[١] :

« وفيها (٣٤٩هـ) غزا سيف الدولة فى جمع كثير ، فأثر فى بلدان الروم آثارا عظيمة ، وأحرق وفتح حصونا ، وحصل فى يده سبى كبير وأسارى ، وانتهى فى غزوه الى خرشنة ، فلما أراد الخروج اخذ الروم عليه المضايق (أى حاصروه) فما تهيأ له ان يتخلص الا بجهد عظيم ، هو ونحو ثلثمائة غلام ، وهلك باقى أصحابه أسرا وقتلا ، وارتجع منه السبى كله والأسارى والغنيمة ، واخذ جميع خزائنه وسلاحه وكراعه ، وقتل من الوجوه ، الذين كانوا معه حامد ابن النمس ، وموسى بن سبا ، والقاضى أبو حصين ، وكان معه (أى مع سيف الدولة) ثلاثين الفا ، وخرج أهل طرسوس من طريق آخر فسلموا » .

ويقال ان سبب انكسار سيف الدولة وقواته وانهزامهم فى خرشنة ٣٤٩هـ انما يرجع الى اهماله مشورة من حوله ، لأنه كان صلب الرأى — أو كما يذكر ابن مسكوية — « كان هذا الرجل معجبا برأيه ، يحب أن يستبد به ، وألا تتحدث نفسان أنه عمل برأى غيره » . وكان اشار عليه أهل طرسوس بأن يخرج معهم ، لانهم علموا ان الروم قد ملكوا عليه الدرب الذى يريد الخروج منه . وشحنوه بالرجال فلم يقبل (سيف الدولة) منهم ولج (أصر على رأيه) فأصيب المسلمون بأرواحهم ، وأصيب هو بماله وسواده وغلمانه[٢] .

لكن ألا يمكن أن نستنتج من عدم اذعان سيف الدولة لرأى ومشورة الطرسوسيين ، سببا آخر غير الاستبداد بالرأى . كأن يكون عز على سيف الدولة أن يسجل التاريخ عليه أنه لم يستطع مواجهة الروم ، حين أخذوا عليه الدروب ، وأنه سلك طريقا آخر هربا منهم .

---

(١) ابن مسكويه : المصدر نفسه ١٨١/٢ وراجع ايضا محمد كرد على : الخطط ١٩٠/١ .

(٢) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٨١/٢ (٢٣٩/٢٤٠ الأصل) حوادث ٣٤٩ هـ .

وان كان ذلك فى الحرب لا يعـد هربا أو تجابنا ، بقدر ما كان سينظر اليه على أنه تحـرف وخداع ، وهو ما حض الاسلام عليـه فيما ورد من قول الله عز وجـل « ومن يولهم يومئذ دبره ، الا متحرفا لقتـال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله « . . الآية » .

واذا كانت كبرياء وأنفة سيف الدولة قد أوردته فى بعض المواقف موارد المهلكة ، فقد كانت من ناحية أخرى وفى مواقف كثيرة ، من أهم عوامل ثباته وصموده امام هجمـات القوات البيزنطية المتـلاحقة فى مواقع عدة كان النصر حليف سيف الدولة فى الكثير منها .

وقد أشـار المؤرخ الفرنسى بول بورين فى كتابه تاريـخ حلب « ماضيها وحاضرها » الى هذه المعركة فقـال[1] : « وفى سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) انهزم سيف الدولة شر هزيمة أمام العدو ، وعاد الى حلب برفقة ثلثمائة فارس فقط وقد أسر البيزنطيون عددا من رجاله ، منهم أبو العشائر أحد أقرباء الأمير ، الذى مات فى القسطنطينية والشـاعر المشهور أبو فراس[2] ، ومن جملة القتلى كان أبو حصين الرقى قاضى حلب ، وقد كان الأسرى الحلبيون عديدين » .

على أن المؤرخ الفرنسى بول بورين اختلف فى روايتـه عن أبى فراس ، عما اوردته المصـادر العربية ، التى تذكر أن أبا فراس أسر سنة ٣٥١هـ . بينما يذكر هو والروايات الاجنبيـة انه أسر سنة ٣٤٨ . والراجح أن أبا فراس أسر مرتين احداهما ٣٤٨هـ ، والأخرى ٣٥١هـ حيث أسر من منبج كما يذكر ابن مسكويه[3] ، ومما يرجح هـذا القول

---

(١) Paul, Bourain : Alep, Autrefois et aujourd hui

(٢) أسر الروم ابا فراس بن ابى العلاء بن حمدان — ابن عم سيف الدولة — بعد اصابته بجرح فى معركة خرشنة ٣٤٩ هـ . وبقى النصل الذى اصابه فى فخذه . ثم نقل الروم الأسرى ومنهم ابا فراس — الى عاصمتهم ، حيث مكث بها اسيرا مدة ، لتعذر الافتداء وقتذاك . وقد حاول الفرار سنة ٣٥١هـ . واستمر اسيرا حتى اطلق مفتديا من سيف الدولة سنة ٣٥٥هـ . وكان ابو فراس يصدر اشعاره فى الأسر ، والمرض ، واكرام سيف الدولة له ، وفرط الحنين للأهل والأحبة ، والتبرم من حياته وحاله . مما يصدر من صدر مكلوم ، وقلب مصدوع . فينساب شعره رقيقا يبكى من يسمعه لرقته وسلاسته . راجع : الثعالبى : يتيمة الدهر والكيالى : ص ١٤١ — ١٤٥

(٣) ابن مسكويه : تجارب الأمم ١٩٢/٢ (الأصل ٢٥٤) .

أن أبا فراس كان قد أرسل — وهو فى الأسر — قصـائد الى حصين الرقى قاضى حلب ، الذى كانت فى موقعـة خرشنة ٣٤٩هـ كما أوردت الروايات . وهذا معناه أن أبا فراس أسر قبـل معركة خرشنة سنة سنة ٣٤٩هـ ، يعنى سنة ٣٤٨هـ غالبا . على ان المتفق عليـه أن النصر لم يؤات سيف الدولة فى هذه الغزاة ، وانه عاد لحلب ليفكر فى الثأر من عدوه .

لكن القـوات الحمـدانية ، التى تجرعت مرارة الهزيمـة فى ٣٤٩هـ فى موقعة خرسيون (خرشنة) ، أمكنها الفوز — فى نفس السنة — عقب موقعـة خرسيون سنة ٣٤٩هـ . اذ سـار « نجـا الكاسكى » — غـلام سيف الدولة — فى جيش كثيف ، ليثأر لهزيمـة المسـلمين فى خرشنة . فنزل على حصن ذى القرنين وحاصر أهله ، ووافاه ميخائيل بطريق هنزيط وطرنيق (ديرنيك) وغيرهم فى جمع عظيم ، قيل انهم كانوا عشرة امثال قوات المسلمين التى مع نجـا . والتحم الفريقـان فى معركة ، صرع فيها نجا بقواته كثيرا من الروم وبطارقتهم ، وهزم باقيهم ، ففروا مذعورين ، وأكثر فيهم نجـا قتلا وأسرا ، وكان بين من أسر طرنيق (ديرنيك) وغيره ، وتعقبهم نجا وقواته بسيوفهم حتى ضـاق بكثير منهم المقـام ، فألقوا بأنفسهم من فوق جبـل عـال ، بينما طلب آخرون الأمان فلم يؤمنهم نجا[1] . فكانت هـذه الموقعـة بمثابة رد فعـل اسـلامى قـوى وعنيف على الـروم ، لمـا فعلوه بالمسلمين فى خرشنة سنة ٣٤٩هـ وغيرها قبل ذلك .

ساد الهدوء النسبى جبهـة الثغور الاسلامية — البيزنطيـة فى الشام ، بعد معركة خرشنة الثانية ٣٤٩هـ (٩٦٠م) وهزيمة الروم على يد نجـا وقواته . واستمر هذا الهدوء مدة تزيد على العـام ، أمضاها الفريقـان (الاسـلامى) الحمدانى ، والبيزنطى (المسيحى) ، فى الاعداد لمعركة أخرى حاسمة . وقد كان سيف الدولة يدرك تماما أن الاعداء يتأهبون للقضاء عليـه وعلى دولته — كما يذكر بول بورين — دفعـة واحـدة[2] .

---

(١) ابن ظافر : أخبار الدولة المنقطعة جـ ١ ص ٨—٩ .

(٢) راجع — عن سامى الكيالى : سيف الدولة — كتاب

Paull, Bourain : Ibid.,

ذلك أن ماكان يهدف اليه نقفور من ذلك كله ، هو ازاحة الوجود الاسلامى الخطر — حسب تصوره — عن كيليكيا وسورية وفلسطين والعراق • وأن يمد حدود المملكة البيزنطية حتى الدجلة ورمال الجزيرة العربية • وكان أول ما فطن اليه نقفور هو ضرورة اخذ كيليكيا ، وجعلها مقرا لقيادته ، ليكون على مقربة من مسرح المعارك • ولتكون بمثابة المفتاح الذى بسيطر منه على منطقة آسيا الجنوبية من جهة الشمال ، وسورية من جهة الجنوب • وكانت منطقة مضايق الأمانوس وطوروس وكيليكيا آنذاك وحتى سنة ٣٥٠هـ (٩٦١م) فى حوزة سيف الدولة أمير حلب •

فهل استطاع نقفور بكل ما فعل أن يحقق ما كان يرنوا اليه ويهدف ، وان يثأر لدماء قتلاه على ايدى وسيوف الحمدانيين فى أراضى كيليكيا ومضايق الطوروس ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه •

محاولة نقفور الانتقام من سيف الدولة :

مرت سنة ٣٥٠هـ دون قتال ، فيما عدا بعض مناوشات بسيطة جرت بين البيزنطيين وجماعات العرب من ساكنى طرسوس ، وقد يكون للطبيعة أثرها القوى فى وقف القتال • ذلك أن المؤرخين يتحدثون عن اشتداد البرد اشتدادا عظيما كان من نتيجته هطول الثلوج كثيرا ، وتجمد نهر الفرات ، الأمر الذى تعذر معه القتال • لكن ما أن حل فصل ربيع عام ٣٥١هـ ، حتى زحف الروم على مدينة « عين زربة » (عين زربى) — وهى من مدن الثغور — فى وقت لم يكن سيف الدولة قد اتم استعداده بعد للقائهم وكان البيزنطيون يعلمون ذلك فقرروا أن يباغتوه بالهجوم[١] •

وقد جهز نقفور فوكاس Nicephore Phocas جيشا عظيما تراوح تعداده ما بين ١٦٠ ألف ، ٢٠٠ ألف مقاتل ، ممثلا لاكبر حشد بيزنطى فى تاريخ الحروب البيزنطية الاسلامية • ولعل هذا الجيش اللجب ، يدلنا دلالة قاطعة على مدى ما أحدثته معارك سيف الدولة

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٠٧ •

فى نفوس البيزنطيين من مخـاوف وقلق • إضف الى ذلك أن نقفور فوكاس زود جيشـه الكثيف بما يحتـاجه من عتاد وذخيرة ، وحاملات جنـود ، وراجمـات • فضـلا عن الصـناع والعمـال فى مختلف المهن ، لتذليل أية صعوبة فنية ، قد تعترض طريق الجيش فى زحفـه على الثغور الاسلامية • فكان هنـاك نحو « ثلاثين ألف صـانع للهدم وتطريق الثلوج — أى ازاحتها — وأربعـة آلاف بغـل عليها حسك الحديد ، يحيط بـه معسكر قواته ليـلا (وهو ما يشبه الاسـلاك الشائكة) ودبابات وناريونانية[١] ، كان فعلهـا فى الحروب وقتذاك عظيمـا ، كفعـل وتـأثير القنبلة الذريـة أو الهدروجينية فى عصرنا الحديث ، من حيث قوتها التدميرية فى هدم المدن وحصد الأنفس •

بهـذا الجيش الجـرار اللجب انقض نقفور فوكاس على عين زربة[٢] Anazarbe الواقعـة فى سفح الجبـل — فحاصرها من كل جـانب ، وقاتلت قواته اهلها الذين استبسلوا فى الدفاع عن مدينتهم ما وسعهم الجهد ، حتى آخر قطرة دم فى كل منهم • ولم يكن أمامهم فى النهـاية سوى الاستسلام ، بسبب عدم تكافؤ القوى ، وحفـاظا على ما بقى فى المدينـة من أثر للحيـاة ، وحمـاية لها من أن تحرق أو تدمر •

وقد وصف لنا ابن مسكويه[٣] هـذه الواقعـة (وقعة عين زربة) سنة ٣٥١هـ ، فيقول : « وفيها — أى فى سنة ٣٥١هـ — ورد الروم عين زربة فى مائة وستين الف ، وهى فى سـفح جبـل ، والجبـل مطـل عليهـا ، فلمـا جـاء الدمستق (نقفور فوكاس) فى هذا الجمـع

---

(١) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٩٣ •

(٢) كانت من مدن الثغور الشمالية الهامة ، وقد حصنها المسلمون كثيرا ، وانفق عليها سيف الدولة نحو ثلاثة ملايين درهم لتعميرها وتقويتها راجع :

Grousset, R. : Hist. de L'Armenie, P. 489.

(٣) أبو على أحمد بن محمد (المعروف بابن مسكويه) : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٩٠ — ١٩١ • وراجع أيضا : ابن الوردى : تتمة ٤٣٢/١ •

العظيم ، أنفذ قطعة من جيشه الى الجبل ، ونزل هو على بابها ، فملك جيشه الجبل . فلما رأى أهل عين زربة أن الجبل قد ملك عليهم ، وان جيشا آخر ورد الى باب المدينة ، وأن مع الدمستق دبابات كثيرة ، وأنه قد اخذ فى ثقب السور ، طلبوا منه الأمان ، فأمنهم ، وفتحوا له باب المدينة قد خلها ، فوجد الذين فى الجبل قد نزلوا الى المدينة ، فندم على اعطائهم الامان . فنادى فى البلد من أول الليل بأن يخرج جميع أهله الى المسجد الجامع ، وأن من تأخر فى منزله قتل ، فخرج من أمكنه الخروج ، فلما أصبح أنفذ رجاله فى المدينة وكانوا ستين ألفا ، من وجدوه فى منزله قتلوه . فقتلوا عالما من الرجال والنساء والصبيان والأطفال ، وأمر بجمع ما فى البلد من السلاح ، فجمع منه أمر عظيم وكان فى جملته أربعون ألف رمح ، وقطع ما فى البلد من النخل ، فقطع نحو خمسين ألف نخلة ، ونادى فيمن حصل فى المسجد الجامع من الناس بأن يخرجوا عن البلد الى حيث شاءوا ، وأن من أمسى ولم يخرج قتل ، فخرج الناس مبادرين وتزاحموا ، فمات بالضغط جماعة من الرجال والنساء والصبيان ، ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يدرون أين يتوجهوا . فماتوا فى الطرقات ، ومن وجد فى المدينة آخر النهار قتل ، وأخذ ما خلفه الناس من أمتعتهم وأموالهم ، وهدم السوران اللذان على المدينة ، وهدمت المنازل ، وبقى الدمستق مقيما فى بلدان الاسلام واحدا وعشرين يوما ، وفتح حول عين زربة أربعة وخمسين حصنا منها بالسيف ومنها بالأمان . وكان من هذه الحصون التى فتحت بالأمان حصن « أمر أهله بالخروج منه ، فخرجوا فتعرض بعض الأرمن للنساء اللواتى خرجن منه . فلحق رجالهن غيرة عليهن ، فجردوا سيوفهم ، فاغتاظ الدمستق منهم ، وأمر بقتل الجميع وكانوا أربعمائة رجل ، وقتل النساء والصبيان ، ولم يبق الا جارية حدثه ، أو من يصلح أن يسترق »[1] .

فاذا كانت الحصون التى فتحت بالأمان قد تعرضت لهذه الفظائع

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٣٢/١ .

والاهوال فما بال تلك التى فتحت بالسيف وتعرضت للهدم والتدمير .

لقــد استطاع الروم فى هــذه المعركة (معركة عين زربة) أن ينتقموا لمــا وقع بهم قبــل ذلك على سيد ســيف الدولة . لكنهم فى الواقع لم يتمكنوا من اشفاء عليلهم ورى ظمأ حقدهم وغضبهم من دم الأمير سيف الدولة ، بل فقط من تلك البلدة الآمنة ، القوية برجالها ، المغنيــة بخيراتها . فكانت النســاء والرجــال وأشــجار النخيــل طعمــة لشهوة الثأر والانتقــام ، التى تأججت نيرانهــا فى نفوس الروم بفعــل نكايات حروب سيف الدولة فيهم .

ولا شك أن أخبــار هــذه المعركة ، وما وقع لأهــل عين زربة والحصون الخمسين التى حولها ، وما حدث لهــا من تدمير ونكــال على يد نقفور اللعين وقواته الباغية ، قد بلغ مسامع الامير الحمدانى سيف الدولة وآلمه أشد الالم ، وحفزه للانتقــام لمــا راح من شهداء المســلمين وضحاياهم من النســاء والعجزة والأطفــال[1] . بدليل اننا نراه يجمع ما استطاع جمعــه من وحدات جيشه بجهد جهيد ، باذلا الكثير من المنح والعطــايا لتشجيع الرجــال على التطوع للبذل والفداء . ولكن ترى هل خمدت فى النفوس جذوة الاقبال على الجهاد فى اعداء الله صونا لديار الاسلام ودين الله على هذه الأرض ؟

ومما لا ريب فيــه أيضــا ، أن هزيمة سيف الدولة فى خرشنة سنة ٣٤٩هـ ، ونجاته بأعجوبة بعد ضياع جيشــه كله (٣٠,٠٠٠ ألف جندى) ، ثم دخول البيزنطيين عين زربة ســنة ٣٥١هـ ، واقتحامهم الثغور بجيشهم الكثيف ، كل هــذه الاحداث لابد ان تكون قد بثت بعض الوهن والخوف أو الذعر فى نفوس قوات الحمدانيين[2].

---

(١) ابن الوردى: نفس المصدر ٤٣٢/١ وقد أورد ابن الاثير تفاصيل غدر نقفور بأهالى البلد وقتل الكثير من الرجال والنساء والصبية والاطفال راجع ابن الأثير : الكامل حوادث ٣٥١هـ .

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٠٩ — ١١٠

الزحف البيزنطى صوب حلب :

من المعلوم ان الحرب سعير وبركان فوار مدمر ، لا نتيجة لها الا الدمار والخراب ، وهدم الأنفس • فهل يجازف سيف الدولة بقواته القليلة التى جمعها فى وقت اخذت فيه اراجيف المرجفين والمثبطين تعمل عملها • هذا وعرين الاسلام يتهدده الخطر الماحق الحالق ، والامر جد خطير ، لا مجال فيه لسفسطات ، أو فلسفات • وليس هناك مندوحه ولا مجال للانقاذ الا عن طريق الجهاد والاستبسال فى ساحة الوغى ، وهو أفضل كثيرا جدا من حياة غموسها الذل والهوان ، وشرابها مرير مرارة الذل والانكسار • اذ ما قيمة حياة سلبت منها الكرامة ، وديست فيها الاعراض ، وانتهكت الحرمات ؟ وما قيمة حياة سلب منها نور الحياة بسلب كرامتها ؟ وهل هناك طريق آخر غير بذل المهج والارواح قربانا وفداءا للدين والعرين ؟

فها هى عين زربة صارت فى قبضة نقفور اللعين ، ترزح تحت نيره واغلاله وتئن من وطأة بطشه الغاشم هو وبنى جلدته • وها هو نقفور يعلن — خداعا منه ومكرا — انه سيعود للقتال بعد الفطر ، وانه سيخلف فى قيسارية جيشه[1] • اذ ليس من المعقول — وهو يعلم تمام العلم ما فعله ببلاد الاسلام وأهله — أن يطمئن أو يركن الى هدنة أو مسالمة ، يسلم فيها خصمه (المسلمين) فرصة ذهبية • وهو أى نقفور — قد أعد حملة — كبيرة للقضاء على سيف الدولة نهائيا ، وأخذ الشام كله — لو تمكن — وضمه الى القبضة البيزنطية[2] •

ويورد الأستاذ سامى الكيالى — فى كتابه سيف الدولة وعصر الحمدانيين فقرة مما كتبه بول بورين Bauren, Paul — فى كتابه « حلب » ماضيها وحاضرها « — يصف فيها الفترة التى اعقبت موقعه

---

(١) راجع ابن مسكوية : تجارب الامم ١٩١/٢ •

(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٠ — ١١١ •

عين زربة سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) بأنها فترة استرخاء واستراحة » .
فيقول بورين « بعـد أن رسـم نقفور فوكاس منذ ٩٦٢م (٣٥١هـ) خططه الحربية بأكملها ، انقض على كيليكيا كالصاعقة وفى برهة ٢٢ يوما ، استولى على خمسة وأربعين حصنا وبلدا »[1] ، فوقع العـدو فى ارتبـاك عظيم . أما نقفـور فانه استغـل حيرة العـدو ، وذهب بستريح فى قيسـارية . وفى خريف السـنة نفسها (٩٦٢م/٣٥١هـ) اجتـاز جبـال طوروس ثانية ومعـه جيش من مائتى ألف محـارب، قاصدا حلب . وبعد أن استولى على كيليكيا ، اجتاز جبـال الأمانوس فى أواخر تشرين الثانى ، ولم يستطع سـيف الدولة أن يدافـع عن مضايق الأمانوس لأنه أخذ على حين غرة .

هكـذا أصبح الروم على مشـارف حلب ، فلمـا علـم بذلك سيف الدولة ، نادى بالجهاد بين جنده ورجاله ، لدفع الخطر الداهم . هذا فى الوقت الذى كان فيـه الروم قد وصلوا الى « اعزاز » ، ولم يعد مناص من الالتحام فى القتال وجها لوجهه . وأصبح سيف الدولة الآن امام نحو ثمانين ألف جندى رومى (بيزنطى) وليس معـه سوى أربعـة آلاف مقـاتل هم كل من كان معـه وقتذاك . فهـل تتحقق المعجزة البدرية مرة أخرى ، وينجز الله وعده بنصر هذه الفئة القليلة المعتدى على عرينها وحرماتها ، كمـا نصر إسلامهم فى بدر ، على تلك الفئة الباغية المتباهية بكثرتها وكثافتها وعدتها ، واكن هـل النفوس والقلوب فى القرن الرابع الهجـرى هى نفسها نفوس وقلوب أهـل معركة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة .

بهذا الايمان القوى الآمل فى نصر الله ، والمؤمن بعدالة القضية ، وسلامة القصد والهدف ، اندفع سيف الدولة بقواته فى مدافعـة الروم « وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » ، وقاتل سيف الدولة بقواته ببسالة نادرة ، حتى قتـل أكثر من كان معـه ، وارتد هو الى

---

(١) تذكر الروايات العربية : انها اربعة وخمسون حصنا وليست خمسا واربعون ولا نعلم ما اذا كان هذا من تحريف الاقلام وتصحيفها ، خاصة ان الرقمين متقاربان الى حد كبير .

حلب ، وخيم بظاهرها ، يفكر كيف الخروج من هذا الوضـــع الحرج فى مواجهة الروم[1] .

فى هذا الوقت ، كان الروم قد أوغلوا فى البلاد الاسلامية ، وقد جهز سيف الدولة فتــاه « نجــا الكاسكى » فى ثلاثة آلاف ، ثم لحقه . وعلم فى الطريق ان الروم فى تل جبرين ، وانهم أوشكوا على مداهمة حلب الشهباء . فعاد سيف الدولة الى لؤلؤته (حلب) ونادى فى الناس للجهــاد ، ووزع مافى الخزائن من ســلاح وعتاد . واندلع القتــال بين الجانبين (الاســلامى والبيزنطى) ودارت معركة غير متكافئة ، تطــايرت فيهــا الرؤوس ، وتناثرت الاشــلاء ، وصــارت الدماء تجرى فى الشوارع أنهــارا . ولم ينج ســيف الدولة الا بصعــوبة بالغة ، حيث اتجه الى بالس ــ الرقة[2] . فطــارده ابن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) فى عشرين الف فارس رومى ، لكنــه لم يتمكن من القبض على سيف الدولة مما حز فى نفسه كثيرا ، وأدخل الحسرة فى نفس نقفور اللعين[3] .

وقد ذكر شلومبرجر[4] كيف كان سيف الدولة عظيما فى انكساره كعظمته فى انتصــاره ، وأن « امبراطورية البيزنطيين العظيمة هذه ، التى ملكت العــالم القديم ، كانت تخــافه منتصرا وتجله (تحترمه) منكسرا » . « ففى ســنة ٩٦٢م (٣٥١هـ) قامت على أبــواب حلب معركة بين الجيش البيزنطى ، والجيش الذى يقوده ســيف الدولة الامير » . أما كيف كان القتــال فى هذه الملحمة ، فلا يستطيع وصفه غير الذى شهد المعركة ، وأطل على ساحتها وميدانها « ومع ذلك يصف لنا المــؤرخ المذكور كيف كان الامير (ســيف الدولة) يثير حماســة الامبراطور ، ويلهب شــعوره ، حتى اضــطر قيصر البيزنطيين الى مصــارحة قواده ، لا أريده قتيــلا ، بل أريده أسيرا . فأيكم كانت

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١١ ــ ١١٢ .
(٢) بين حلب والرقة على الضفة الغربية لنهر الفرات .
(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٢ .
(٤) شلومبرجر : حلب تنافس بيزنطة (نقلا عن سامى الكيالى : المرجع السابق ص ١١٣) .

له القدرة على أسر منتحت مقاطعة كاملة » . وهذا لعمرى فيـــه الكفاية لبيـــان ما أحدثته حمـــلات سيف الدولة من وقـــع مؤلـــم فى نفوس الروم أمبراطورا وقادة وجنودا .

نقفور يدخـــل حلب :

ترك سيف الدولة حلب ، ففقدت المدينـــة بخروجه منهـــا بعض آمالها الكبار ، مما جعلها تشعر بيأس قاتل ، وحيرة ملحـــة ، وذهول عميق . فماذا عساها تفعل ؟ لقد تناثر فرسانها ، وتفرق جيشها ، فلم يبق فيها غير الكهول والاطفال والنسوة وبعض الحرس . فهل تستسلم المدينة لهذه القوة الباطشة لتفعل فيها ما تشـــاء . ؟

لقد اصبح البيزنطيون قريبين من حلب ، فحوموا حولها . أما أهلها فاعتصموا فى الداخـــل ، وأغلقوا الابواب ، واستعدوا للقتـــال بهذه الروح القوية التى ايقظها فيهم الأمير الحمدانى الهمام ، لتنقلب فى هذه اللحظات العصيبة وهجا ولهيبا ودما . ولكن هذه القوة البسيطة العزلاء من السلاح ، لن تستطيع مقاومة جيش جرار ، من ثمانين الف مقـــاتل ، مدججين بالسلاح والعتاد عدا المشاة ، ومع ذلك قاتلوا زودا عن حمـــاهم[1] .

لقد أسفرت المواجهة عن استشهاد أكثر من ثلثمائة مسلم بينهم غير واحد من بنى حمدان منهم أبو طالب بن حمدان وابنه ، وداود بن على كاتب سيف الدولة ، وأبـــا نصر بن حسين بن حمـــدان . وظـــل البيزنطيون يحومون حـــول البلد (حلب) دون أن يدخلوها . ثـــم اتجهوا الى قصر الأمير سيف الدولة الحمدانى — ويسمى الدارين — خارج البلد ، وكان مما انبهر له نقفور فوكاس ، بسبب ما كان فيه من التحف والنفائس والزخارف والعتاد . غير ان اعجابه بالقصر وانبهاره به ، لم ينجياه من الدمير والتخريب . ومما يذكره المؤرخون ان مما نقل من القصر « أربعة ملايين درهم فضة ، آلاف من البغال ، وحصنا (جمع حصان) من نجد ، وأفراسا عربية ، وستة آلاف ذراع٣٧٠٤ حملا

---

(1) سامى الكيالى : سيف الدولة الحمدانى ص ١١٣ — ١١٤ .

ورسما فقط • وللحق فان الخليفـــة كان يشعر ويحس بشعور واحساس الشعب المسلم • لكنـــه كان مسلوب الارادة والسلطة ، لا يملك — ازاء ما سمعه من قول — الا أن يقـابل كـــلام الناس له بكثير من المرارة تسكن فى نفسه • وكانت أجابته للرعية ناطقة بما وصلت اليـــه حـــال الخـــلافة والخلفـــاء آنذاك من الضعف والهوان ، لتسلط آل بوية على الخليفـــة ، واستبدادهم دونه بالسلطة ، وتسلطهم على الناس • لكن التاريخ لن يغفر لهم ذلك أبدا •

وقد حـــاول سيف الدولة أن يلتقى بالجيش البيزنطى سنة ٣٥١هـ بعيدا عن حلب ، لكنـــه أدرك أن ميزان الموقف لن يكون فى صالحه فى حالة المواجهـــة ، لتفوق العدو عددا وعدة • ولذلك بعث بغلامة نجـــا الكاسكى « على رأس جيش من ثلاثة آلاف ، ثم لحقه ، ثم عاد فوزع ما فى الخزائن من السلاح • ودار القتـــال بين الفريقين — وكان قتالا غير كافىء عددا ، اذ كان ثلاثة آلاف جنـــدى للحمدانيين يقاتلون ثلاثين الف جندى رومى (بيزنطى) ، فضـــلا عن نجدة وافتهم قدرها أربعون ألفا آخرين كان فيهم يوحنا زميسكيس نفسه • فكانت النتيجة بطبيعة الحال ليست فى صـــالح المسلمين (الحمدانيين) ، الذين وقع منهم كثير من القتلى ، فضـــلا عمن أسر ، بينما لاذ فريق ثالث بالقلعة (قلعـــة حلب) فنجـــا بذلك • أما المدينة فقد أحكم الروم حصـــارها ، وحاولوا فتح ثغرة فى سورها وقد نجحوا فى ذلك ، لكن الأهالى — كما قلنا اعادوا ترميم الجزء المنثلم من السور[1] •

وكان أكثر من اعتصم بقلعـــة حـــلب من العلويين والهاشـــميين والوزراء ، والكتاب ، وجمهـــور من الأهـــالى ، فضـــلا عن فـــريق من المقاتلة • وقد امتنعت القلعة على الروم على الرغم مما بذله نقفور فى محاولة اقتحـــامها • وهكذا تبقى قلعـــة حلب بيد الحمدانيين ، لم تصل اليها يد الروم هذه المرة • وكان ذلك مما استاء له ابن أخت نقفور فوكاس ، الذى أصر على اقتحـــام القلعـــة • فكان فى ذلك كمن سعى الى حتفـــه بظلفه • اذ تنـــاوله واحد ممن فى القلعة بطعنة رمح أردته

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٤ — ١٣٥ ومحمد كرد على : خطط ١/١٩١ •

قتيـــلا لتوه . فحزن نقفور لمقتله ، وانتقم له بمقتل ألف ومائتى مسلم أسير أو أكثر على مرأى ومســمع من الحلبيين ، امعــانا فى ارهابهــم والانتقــام منهم[١].

وعلى الرغــم من كل ذلك ، استعصت قلعــة حلب على نقفــور وجيوشه سنة ٣٥١هـ (٩٦٢م) مما جعل الوساوس والمخــاوف تنتابه ، خشية أن يتعرض بقواته لانقضاضة مباغتة من هنا أو هناك . فانسحب بعد أن أمر ســكان حلب بالعودة الى زراعة الأرض وفلاحتها ، قائلا لهم أن هذه البلد صــارت لنا (للروم) ، وأنه سيعود فى العــام المقبل ليحصــد مازرعوه[٢] . وفى ذلك يذكر ابن مسكويه[٣] : ان « نقفــور ســار الى بلد الروم (القسطنطينية) بما معــه ، ولم يعرض لسواد حلب والقرى التى حولها ، وقــال لأهلهــا : هذا البلد قد صــار لنــا فلا تقصروا فى العمــارة ، فانا بعــد قليل نعود اليكم » .

وهكذا انتهت هذه الحملة البيزنطية الكبيرة على حلب بالانسحاب فى نفس العــام (٣٥١هـ) ، دون أن تتمكن من تحقيق ما كان يعتبر هدفا رئيسيا لها ، وهو وضع حــد لهجمــات المسلمين المتوالية بقيادة سيف الدولة الحمدانى ، وضم هذه البلاد (بلاد الشــام كلية) الى دائرة الســيطرة والنفوذ البيزنطى ، الذى اندحر عنها لثلاثة قرون كاملة [٤] . وقد شاع خبر انسحاب نقفور والقوات البيزنطية الغازية ، وعلم بذلك ســيف الدولة — وكان فى قنسرين وقتذاك — فأسرع الى عاصمة ملكة دامع العين ، حزين النفس ، مصدوع القلب ، لمــا آل اليه حــال حلب الشهباء . وكان قد إعتاد دخولها دخول الظافرين ، مستقبلا بالزغاريد والأهازيج ، مشنفا أذنيه بأبيــات من الشعر يقرضها لهــا المتنبى وغيره من شعراء العصر . لكنه هــذه المرة لا يسمع الا بكــاء أو عويلا ينطلق من صدور أمهــات وزوجات ثكلى . ولا يرى الا أصداء

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ١٩٣/٢ — ١٩٤ .

(٢) ســامى الكيــالى : سيف الدولة ص ١١٧ — ١١٨ ومصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١٣٦ .

(٣) ابن مسكوية : تجارب الأمم ١٩٤/٢ (حوادث ٣٥١ هـ) .

(٤) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٨ .

ومما يذكر أن الحرس نفسه — وهم بشر أيضا لهم احتياجات البشر العادية — اشتركوا فى أعمال النهب • فيورد ابن مسكويه أن رجال الشرطة بحلب ذهبوا « الى منازل الناس وخانات التجار ينهبونها وقيل للناس الحقوا بمنازلكم فانها قد نهبت • فنزلوا عن السور وأخلوه ومضوا الى منازلهم مبادرين ، ليدفعوا عنها »[١] •

لما رأى الروم أن الاضطرابات عمت حلب وأهلها ، اقتحم نقفور وجنوده أبواب المدينة ، ودخلوها ونفوسهم تغلى فى مراجل الحقد والانتقام • فأعملوا القتل والنهب والتدمير فى المدينة ستة أيام كاملة من يوم السبت الى يوم الاحد لثلاث بقين من ذى القعدة ٣٥١ هـ[٢] • وهكذا خضعت حلب للبطش البيزنطى • فروعت النساء والأطفال ، وعاث جند الروم فى أرضها فسادا ، منتهكين الحرمات ، ووضعوا السيف فى الناس ، فقتلوا كل من لقيهم ولم يرفعوا الا بعد أن كلوا وضجروا • وكان فى البلد من أسارى الروم ألف ومائتا رجل ، فتخلصوا (وهربوا من المسلمين) ، وحملوا السلاح على المسلمين • وكان سيف الدولة قد أعد من الروم سبعمائة رجل ليفادى بهم ، فأخذهم الدمستق (القائد البيزنطى) وسبى من البلد ومن المسلمين والمسلمات ، بضعة عشر ألف صبى وصبية ، وأخذ من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما لا يحد ولا يوصف كثرة[٣] •

وقد عمد الروم بقيادة نقفور فوكاس « الى الحباب التى يخزن فيها الزيت (أى يحفظ) فصب فيها الماء ، حتى فاض الزيت على وجه الأرض ، وأخرب المساجد ، وأقام فيها (فى حلب) تسعة أيام[٤] • « ثم قال نقفور » : هذا البلد قد صار لنا فلا تقصروا فى العمارة فانا بعد قليل نعود اليكم[٥] • والحق ، ان نقفور استخدم كثيرا من الوسائل

---

(١) ابن مسكوية : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٢ (حوادث ٣٥١هـ) •
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٣٣ وابن مسكوية المصدر نفسه ١٩٢/٢ — ١٩٣ •
(٣) ابن مسكوية : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٣ •
(٤) ابن مسكوية : المصدر السابق ١٩٣/٢ •
(٥) ابن مسكوية : نفس المصدر ١٩٣/٢ •

الخصيبية التى لا تتفق وقانون الحروب الذى كان يلتزم به سيف الدولة[١] .

اتصل الحمدانيون — أبان المعركة التى دارت رحاها على أبواب حلب عام (٩٦٢ م) — بالخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣هـ) طالبين منه أن يمدهم بنجدة ، لكيلا يتاح للروم الفرصة فى أن يمضوا فى غزوتهم الكبرى . فماذا كانت النتيجة ؟ وماذا حدث ؟

يقول الذهبى — فى كتابه تاريخ الاسلام — : « وذاع الخبر فى بغداد ، فأغلق الناس الأسواق ، وذهبوا الى باب الخلافة ، ومعهم كتاب يشرح مصيبة حلب وضجوا . . فخرج اليهم الحاجب ، وأوصل الكتاب الى الخليفة فقرأه ، ثم خرج اليهم (الحاجب) وأفهمهم أن الخليفة بكى ، ونقل اليهم نص ما قاله : لقد غمنى ما جرى ، وأنتم تعلمون أن سيفى معز الدولة ، وأنا أرسله فى هذا : لكن أهل العراق — الذين تربطهم ببلاد الشام أواصر القربى والدم واللغة — لم يرضهم هذا الجواب . فضج الناس وطلبوا الى الخليفة أن يخرج الى الجهاد بذاته . وقالوا : لا نقنع الا بخروجك ، وأن تكتب الى سائر الآفاق وتجمع الجيوش ، والا فانعزل لتولى غيرك »[٢] .

وكان هذا يعتبر دليلا واضحا على مدى فداحة المصيبة ، التى توشك أن تحل — ليس فقط بالحمدانيين فى حلب والثغور الشامية — بل بالمسلمين جميعا . فلقد كانت هذه الكلمات — على ايجازها — بمثابة صرخة تخرج من قلب أمة متألمة تدرى أية كارثة تحدق بالدولة الاسلامية وشعوبها ، اذا لم تتوحد الصفوف وتصدق النيات ، وتصمد متصدية لهذه الأخطار الداهمة . وتتكاتف لدحرها ودرئها . وما أشبه الليلة بالبارحة . . فهل نتعظ ؟ .

لكن الخليفة ما كان يستطيع أن يفعل شيئا : وقد أصبح شبحا

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٤ .
(٢) راجع ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠١ وقد روى ابن مسكوية ذلك بنص الذهبى . راجع أيضا : سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٣١ .

الخراب يرن فى جنبات حلب ، وأصوات البوم ينعق بين أطلالها ورسومها . بل أنه ليسمع بكاء المدينة الثكلى نفسها ، وقد سادها حزن عميق دفين ، وذهول مخيف(١) .

والواقع ان خسائر العرب فى معركة حلب كانت فادحة : سواء فى الرجال أو المال أو العتاد . فمن الرجال قتل الكثير من أعيان حلب وعلى رأسهم أبو طالب بن داود بن حمدان ، وابنه ، وداود بن على ، وأبو محمد الفياضى كاتب سيف الدولة ، وأبو طالب اللغوى ، وغيرهم آلاف من الرجال والنسوة والأطفال . وفى الخسائر المادية ، فقد نهبت المتاجر والحوانيت عن آخرها ، وكانت تحوى بضائع بالملايين من الدنانير(٢) . كما أخذت من خزائن سيف الدولة ، وأمتعة التجار ما يند عن الحصر . هذا فضلا عن افساد الجند البيزنطيين لمؤونة المدينة ، اذ كانوا يصبون الماء على الحباب التى يخزن فيها الزيت حتى فاض على وجه الأرض ، واحرقوا مسجد المدينة البهى الجميل الرائع ، وخربوا قصر الحلبة أجمل قصور حلب ، ونهبوا كل ما كان فى حلب من خيل وسلاح وعتاد وميرة وديباج وحرير وأوان ذهبية قيمه، بل انهم نقلوا سقوف الدار الحمدانية معهم حيثكانت مذهبة(٣) .

ويوضح ابن العديم ان سبب هزيمة المسلمين فى حلب راجع الى عدم سماع أهلها أمر سيف الدولة(٤) « بالتحصن خلف الأسوار لحين استرجاع جيشه الذى كان قد توغل به فى بلاد الروم » . اذ قال لهم :

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٩

(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٦ وابن الاثير : الكامل ٣٠٢/٧ وابن مسكوية : تجارب ١٩٢/٢ .

(٣) يقدر ابن مسكوية الأموال التى وجدها نقفور فى قصر الحلبة بنحو ثلثمائة وتسعين بدرة ، ويستطرد ابن الأثير بأن الروم استولوا على الف واربعمائة بغل وعلى كميات كبيرة من الأسلحة . ويضيف ابن ظافر ان الروم أخذوا ثلثمائة حمل من البز والديباج ، وخمسين حملا من أواتى الذهب والفضة . وثمانمائة رأس من الخيل ومائة حمل من السلاح والمناطق والتجانيف والسيوف ونقل معه سقوفا . راجع ابن مسكوية ١٩٢/٢ وابن الأثير : ٣٠٢/٧ وابن ظافر : ١/ورقة ١٠١ أ — ب .

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب ١٣٣/١ ومسكوية ١٩٢/٢ — ١٩٣ وابن الأثير : ١٠٤/٨ .

« اغلقوا الأبواب واحفظوها وأمضى أنا وانظم جنودى وأعود اليكم ، وأكون من ظاهر البلد وأنتم من باطنه ، فلا يكون دون الظفر بالروم شيء » . فلما أبى الحلبيون ذلك قال لهم : « اثبتوا فانى معكم »[١] .

لقد انتقم الروم فى هجوم (سنة ٣٥١هـ) من العاصمة العتيدة العنيدة بتدميرها واحراقها بعد استعمال وسائل الغدر والخسة . وكان من الممكن أن تظل البلد صامدة ، وتستعصى عليهم لولا حركة النهب والسلب التى قام بها بعض اللصوص داخل المدينة . الأمر الذى شغل — كما أوضحنا — المدافعين عن حماية السور ؛ لكى يحافظوا على أعراضهم وأموالهم[٢] . ونعتقد أنه لو كانت هناك قيادة من أى نوع داخل المدينة ، ولو أن الأهالى سمحوا لسيف الدولة بجمع الجيش ، وتحصنوا داخل أسوار المدينة لحين عودة سيف الدولة — بعد تجميع قواته واعادتها من أرض الروم كما أشار عليهم — لعاد نقفور خائبا مدحورا الى بلده ، ولما أمكنه أن يحصل على مثل هذا النصر الرخيص الخسيس الذى احرزه بالغدر والخسة[٣] .

آخر أيام سيف الدولة : (٣٥٤ — ٣٥٦هـ) :

لم تذهب الهزيمة أمام الروم فى حلب بثبات وعزم الأمير الحمدانى « سيف الدولة » ، بل انه عاد الى عاصمته فى نفس الشهر ، وقد وقف على اطلال المدينة (حلب) يساوره ويكتنفه حزن عميق وألم يعصر فؤاده ، مع اصرار فى النفس على الانتقام لرجاله ، وللكرامة العربية الاسلامية ؛ وللأبرياء العزل الذى قتلهم الروم فى حروبهم بخسة ودناءة[٤] .

خرجت جيوش المسلمين من طرسوس واقتحمت بلاد الروم ، وأوقعوا بجيوشهم وعادوا بغنائم وافرة . ولما علم سيف الدولة بما دب من خلاف بين الأسرة الامبراطورية والادارة البيزنطية على من

---

(١) ابن العديم : نفس المصدر ١/١٣٤ .
(٢) مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى ص ١٣٧ .
(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٤) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١٣٧ .

يلى العرش الامبراطورى البيزنطى . انتهز الفرصة ودخل بلادهم ، وأحرقها وسبى أكثر من ألفين ، كما غنم الكثير من المواشى (أكثر من مائة ألف رأس) . وظل يضرب بلادهم حتى وصـل الى ملطيـة وكان ما غنمه وسباه يضيق عنه الحصر(١) .

ومن ناحيـة أخرى انسحب نقفور فوكاس وجيشـه من حلب فى أوائل ذى الحجة سنة ٣٥١ هـ (الموافق ٣١ ديسمبر ٩٦٢ م) وقد عمل ـــ أثناء انسحابه ـــ على الانتقام من البلاد التى اتخذها المسلمون معاقل قوية ومراكز حصينـة لغزو بـلاد الروم . وكانت المصيصـة وطرسوس من أقوى هذه المعاقل . وقد عرف أهلها بالصبر والجلاد والجهاد . وقد اعتمدهم سيف الدولة فى الكثير من غزواته وحروبه ، فكانوا سنده المكين ودرعه الحصين(٢) ويروى أن الروم أسـرت فى شوال سنة ٣٥١ هـ أبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان من منبج التى كان متقلدا أمرها ، كما فتحت حصن دلوك عنوة(٣) .

أما سيف الدولة فقد سـار مع غلامه نجـا الى طرسوس سنة ٣٥٢ هـ ، على رأس بقايا قواته الحمدانيـة ، وانضموا لأهلها فى معركة ضـد الروم . لكن سيف الدولة رأى ـــ بخبرته الحربية ـــ أن يقسم الجيش الى فريقين . فرقة من الطرسوسيين تتجه الى طرسـوس ، وأخرى بقيـادة غلامه نجـا الكاسكى من القوات الحمدانية تتوجـه الى جهة أخرى ، ليشعب الجبهات على الروم فيشتت قواتهم . بينما تولى سيف الدولة مهمة حماية الحدود ، وظل جنوده يتعقبون جنـد الروم حتى أجلوهم عن البلاد الاسـلامية . ومما يذكره المؤرخون العرب أن القوات الطرسـوسية والحمدانية وصلت فى تعقبها للروم حتى مدينة قونية (أو قمونية)(٤) .

فيذكر ابن مسكويه(٥) أنه فى هـذه السنة (٣٥٢ هـ) ورد الخبر

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٧ ـــ ١٣٨ .
(٢) سامى الكيالى : مرجع سابق ص ١١٩ .
(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٣٣ .
(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢/١٩٨ .
(٥) ابن مسكوية : المصدر السابق ٢/١٩٨ ـــ ١٩٩

بأن الطرسوسيين غزوا ودخلوا من درب من دروب الروم الى بلد الروم ، ودخل نجا — غلام سيف الدولة — من درب آخر ، فغنم أهل طرسوس غنيمة يسيرة ، وأقام سيف الدولة على درب آخر ، ولم يدخل لانه عليلا من فالج لحقه قبل ذلك بسنتين (حول سنة ٣٥٠ هـ) . فلما خرج نجا والطرسوسيون عاد بسيف الدولة الى حلب وهو عليل ولحقته غشية ظن معها أنه تلف » .

وقد أشاع هبة الله بن ناصر الدولة الحمدانى ، خبر وفاة سيف الدولة خطأ . وكان يتعجل وفاته أملا فى أيلولة ملك الحمدانيين اليه بعد سيف الدولة ، اذ كان خصما ومنافسا له . وكان هبة الله هذا يحكم حران ، فاستبد بأهلها حتى شغبت عليه البلد وأهلها ، وضجوا من عسفه بهم ، فقاموا بثورة ضده ، ظنها بعض المؤرخين — خطأ — أنها كانت ثورة على سيف الدولة . وحقيقة الامر أنها كانت ضد استبداد العمال ، لما أنزلوه بالرعية من عنت وارهاق[1] .

أرسل سيف الدولة غلامه نجا الكاسكى سنة ٣٥٢ هـ الى منطقة حران ، لاخماد الثورة التى اندلعت هناك ضد حاكمها هبة الله بن ناصر الدولة ، وانهاء تمرد هذا الحاكم على عمه سيف الدولة[2] . لكن نجا لم يكن أمينا فى تنفيذ ما كلف به من مهام . اذ ترك مهمته وطفق يفرض الضرائب والأتاوات على أهل حران ، « حتى ظلمهم وأجحف بهم ، وصادرهم على ألف ألف (مليون) درهم ، ووكل بهم حتى أدوها فى خمسة أيام بعد الضرب الوجيع (المؤلم) بحضرة عيالاتهم وأهليهم . فأخرجوا أمتعتهم وباعوا كل ما يساوى دينارا بدرهم . لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون ، ليس فيهم من يشترى لانهم مصادرون . فاشترى ذلك أصحاب نجا بما أرادوا وافتقر أهل البلدة »[3] .

---

(١) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ١١٩ .

(٣) ابن الاثير : جـ ٨ ص ١٨٠ .

وقد أورد ابن مسكوية تفصيلا لما أوقعه نجا بأهل حران من عسف ، وما وقع هو فيه من انحراف عن القصد ، الذى جاء من أجله الى حران ، وخروجه على ولى نعمته . حيث قال[١] :

« ... ونسار نجا الى حران ، فلما قرب منها هرب هبة الله الى أبيه (ناصر الدولة) ، وأسلم (سنم) أهل حران ، فتحرك نجا خارج حران ، وخرج اليه وجوه أهلها وأشرافها وهم سبعون شيخا ليسلموا عليه . فوكل بهم وتهددهم .. ، وطالبهم عن البلد بألف ألف درهم أرش (مقابل) ما عمنوه من غلق الأبواب فى وجه أخيه « نما » ولم يسمع لهم عذرا . وجرت لهم معه خطوب ، الى أن قنع منهم بثلثمائة ألف درهم وعشرين ألف درهم ، ووجه معهم بالفرسان والرجالة ، والزمهم الاجعال (الالتزامات) الثقيلة ، ورسم (أمر) أن يستخرج له المال فى يوم واحد ، وبعد الجهد الى أن يكون المدة خمسة أيام . وقسط المال على أهل البلد ، وأدخل فيه الملى والذمى والسوقة والنساء الارامل وغيرهم ، ووضع عليهم العصى والضرب فى دورهم بحضرة حرمهم وعيالاتهم ، فأخرجوا أمتعتهم ، وباعوا ما يساوى دينارا بدرهم ، ولم يجدوا من يشترى ، لان أهل البلد كلهم كانوا يبيعون . فاشترى أصحاب نجا الامتعة والحلى بحكمهم وبما أرادوا ولزم (أصاب) أهل البلد من الأجعال ، أمر عظيم ، وضرب بذلك البلد ، وافتقر أهله ، وانصرف عنهم نجا الى ميافارقين بعد أن استوفى جميع المال ، وترك البلد شاغرا ، فتسلط عليه العيارون . وأظهر نجا الخلاف على مولاه سيف الدولة ، والخروج على طاعته ، ولم يزرع فى هذه السنة أحد بديار مضر كبير شىء للجور الذى كانوا فيه » .

وهكذا نجد أن من وثق فيه سيف الدولة ، وأوكل اليه مهمة اقرار الأمور وتهدئتها فى حران ، يقترف ما هو أبشع من الظلم . ذلك أنه « لما اجتمعت عنده (نجا) هذه الاموال قوى بها وبطر ، ولم يشكر ولى نعمته ، بل كفره ، وسار الى ميافارقين ، وقصد بلاد

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠٠ (فى الأصل ٢٦١) .

أرمينية • وكان قد استولى عليها ـ كثير منها ـ رجل من العرب ، يعرف بأبى الورد ، فقاتله (نجا) فقتل أبو الورد ، وأخذ نجا قلاعه وبلاده (خلاط ، وملازكرد ، وموش) وحصل له من أموال أبى الورد شىء كثير فأظهر العصيان على سيف الدولة[1] •

والحق أن وقع ثورة هبة الله بن ناصر الدولة الحمدانى ، على عمه سيف الدولة ، وتمرد نجا الكاسكى على طاعته ، كان شديدا على نفس سيف الدولة • ذلك أنه لم يكن يتصور أن يصل الامر الى هذه الدرجة من الجحود والنكران • وقد بلغ من تأثير سيف الدولة أنه كان كلما تذكر هذا الموقف طفر الدمع من عينيه • خاصة وأنه أصبح امام خصم عنيد يسعى الى قهره وقهر المسلمين فى عقر دارهم وهو العدو البيزنطى ، بينما بعض رجاله ومن كان يعتقد فى شدة اخلاصهم له ، ينقضون عليه بقيادة نجا ، فضلا عن طعنه نجلاء أغمدها هبة الله ابن ناصر الدولة فى صدر سيف الدولة بتمرده عليه • واذا أضفنا الى هذا الهم كله أن المرض بدأ يهاجم سيف الدولة ، وأصبح بذلك لا يقوى على المغالبة والصمود ، أدركنا الى أى مدى كان وضع سيف الدولة وموقفه حرجا • لكنه مع ذلك لم يستسلم لكل هذه المؤسسات وصمم على معاقبة غلامه نجا • كان هذا هو الوضع فى داخل الجبهة الاسلامية المتحملة مسئولية المواجهة مع الروم ، ونعنى بها جبهة الحمدانيين •

ومن ناحية أخرى فان الوضع داخل الجبهة البيزنطية لم يكن أحسن حالا عما كان عليه الامر بين عناصر الحمدانيين • ذلك أن الامبراطور رومانوس الثانى مات سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) تاركا زوجة شابة هى ثيوفانو Theophana وولدين ، أولهما باسيل (وكان عمره لا يزيد على سبعة أعوام ، وثانيهما قسطنطين وكان لا يزال فى الثانية من عمره) • فأعلن نقفور غوكاس نفسه وصيا على هذين الطفلين ، ثم لم يمض كثير وقت ، حتى تزوج من أمهما

(١) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ١٨٠ وابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠٠ ، ٢١٠ ، ٢١١ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ ـ ١٥١ •

تيوفانو الجميلة . وبذلك أصبحت السلطة الفعلية فى يده[١] . وقــد اهتم نقفور بالجيش ، حيث كرس كل موارد الدولة الامبراطــورية لتدعيمه . بل أنه اشتط فى هذا السبيل ، حيث أفرط فى فرض الضرائب الباهظة ، مما جلب عليــه غضب الشعب بعد أن كان موضع اعجــابه وتقديره[٢] . لكن كل ذلك لم يعره التفاتا ، لانه كان يركز على تحقيق الهدف الرسمى عنــده وتحطيم قوة الدولة الحمدانية ، ومد حــدود امبراطورية الروم الى سورية والجزيرة ، وفتح بيت المقدس . وهو ما اتضح جليــا حينما فتح طرســوس ، ووقف على منبرها وخطب قائلا « ان هذه البلدة هى التى كانت تعوقه عن الوصــول الى بيت المقــدس »[٣] .

لقــد كان ممكنا ان يأخــذ نقفور فوكاس بيت المقــدس ، لولا قوة سيف الدولة ويقظته التامة ، وقيادته القوية لجيوشــه ومصابرته فى القتــال . الا أن نقفور كان — مع ذلك — طاغيا جبــارا ، يصفه المؤرخون فيقولون أنه كان ضخم الجثة عمــلاقا لدرجــة أن البعض كانوا يشبهونه بهرقل . وكان يزاول الاعمــال العنيفة ويهوى الصيد والقنص ، ولا يصرف وقته الا فى خوض غمــار حرب أو الاستعداد لاخرى[٣] .

على أى حــال ، فقد ســار سيف الدولة ســنة ٣٥٣ هـ ، الى ميافارقين ، ففر منها غلامه الجدود المتمرد نجــا الكاســكى ، فملك سيف الدولة بلاده وقلاعه ، التى أخذها عن أبى الورد ، واستأمن اليه (الى سيف الدولة) جماعة من أصحاب نجا فقتلهم (سيف الدولة)[٥] وكأن سيف الدولة أراد أن يقمع هــذه الثورة بهــذه الشــدة لتكون

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١٤٤/١ والأنطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ص ١١٩ — ١٢٠ ، فيصل الســامر : الدولة الحمدانيــة ص ١٨٦ — ١٨٧ و Finlay : Hist. of Byz. Empire, P. 302.

(٢) Finlay : Ibid., p. 306.

(٣) ابن العــديم : زبــدة الحلب ١٤٣/١ وبيتــز : الامبراطورية البيزنطية ص ٦٢ .

(٤) ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١١ — ١١٢ . Schlumberger : Nicephore Phocas, P. 309 - 311.

(٥) ابن مسكوية : تجارب ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

وأصحابها عبرة وعظة لمن تحدثه نفســـه بمثل ذلك مستقبلا . ولعــل هذا مما دفع نما أخو نجا أن يستأمن سيف الدولة ، الذى أمنه وأكرمه وأحسن اليه[١] .

لكن سيف الدولة رأى — بعــد ذلك — أن ينجــه الى أسلوب الملاينة والكياســة ، فى معالجة الموضــوع مع نجا . فأخــذ يراسله ويرغبه ويرهبه ، حتى عاد نجــا تائبا نادما . فأكرمه سيف الدولة ، وأعاده الى سابق مكانته[٢] . وقد استمر نجا فى خدمة ســيده حتى قتل . فهل قتل نجــا بتدبير ســيف الدولة ؟ ان هذا الحدس نستبعده لأنه يتعارض مــع خلق ســيف الدولة وما جبــل عليــه من ســجايا وصفات حميدة .

على أنه ربما يكون لزوجة سيف الدولة — وقد عز عليها ما وقع لزوجها بسبب نجــا وهبــة الله بن أخى سيف الدولة — يد فى مقتل نجا . فلا يبعد أن تكون هى التى حرضت الغلمان على قتله . خاصة وأنها كانت دائما تتذكر اغارته على ميافارقين ، بعد أن عاش فى حران وديار مضر . وكانت زوجة الامير وقتذاك هنــاك فأمرت بصــده بكل الوسائل الممكنة. لكن يحيى بن سعيد الأنطاكى يورد رواية أخرى نصها[٣] « وســار سيف الدولة الى ميافارقين ، وأرسل الى نجا يأمره بالمسير اليه ، وآمنه على نفســه وماله . وســار نجا اليه فصفح عنه ، وأقام عنده ، وشرب بين يديه . فلما ســكر شتم الغلمــان وغلط عليهم فى القول فاغتاظوا عليه ، وكانت حرمه « زوجــة » سيف الدولة أشــد غيظا لحصــاره لها ، وشتمه اياها ، فصــاح سيف الدولة على نجــا وأمر أن يقام من بين يديه ، فوثب الغلمان عليه ، فقتلوه » .

ومما يروى أيضــا أن نجــا أغلظ فى القــول لســيف الدولة ، فأهاج هذا غلاما آخر لسيف الدولة اسمه نجــاح ، فضربه (ضرب نجا) بسيف على رأســه فقتله . وقد فزع لذلك سيف الدولة فزعا

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠٢ .
(٢) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٠ — ١٢١ .
(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ٧٩٢ .

شديدا ، حتى أغشى عليه فأمرت زوجة سيف الدولة أن يجر نجا من رجله ، الى أن أخرج من القصر ، وطرح فى مجرى ماء تصب فيه القاذورات والمياه ، وبقى كذلك ، حتى عصر اليوم التالى ، حيث أخرج نجا ودفن وكان ذلك فيما يروى سنة ٣٥٤ هـ(١) .

على أن اهتمام سيف الدولة بالمواجهة مع الروم لم يفتر ، بل ولم يصرفه عن ذلك ما واجهه من أحداث داخلية . هذا فى الوقت الذى كان نقفور يكرر محاولاته لاخذ المصيصة منذ سنة ٣٥٣ هـ جامعا لذلك جيشا لجبا . ومع ذلك عجز عن فتح هذه المدينة الثغرية الحصينة على الرغم من « نقبه نيفا وستين نقبا فى سورها » . اذ انصرف عنها عاجزا عن فتحها « لما ضاقت به الميروغلا السعر وبعد أن أقام فى بلاد الاسلام خمسة عشر يوما »(٢) . وقبل أن ينصرف نقفور — عاجزا — عن المصيصة ، خاطب أهلها ملوحا لهم بالقوة والتهديد ، ويأنى « منصرف عنكم ، لا لعجز عنكم وعن فتح مدينتكم ، ولكن لضيق العلوفة ، وأنا عائد اليكم بعد هذا الوقت فمن أراد منكم الانتقال الى بلد آخر قبل رجوعى ، فلينتقل ومن وجدته بعد عودتى قتلته»(٣). ولم ينس نقفور عند انسحابه أن يحرق ويخرب ضواحى المصيصة — كعادته الاجرامية دائما —. كما قتل كثيرا من سكانها العزل الابرياء(٤) . كما حمل معه — حسبما يروى فنلاى Finlay والمؤرخون المسلمون(٥) — صليبا كبيرا كان المسلمون قد أخذوه فى حروبهم السابقة ، حيث وضعه فى كنيسة أجيا صوفيا بالقسطنطينية وحمل أيضا أبواب طرسوس والمصيصة وأذنه ذات الصنعة الدقيقة حيث وضعها فى كاتدرائية شيدها(٦) .

---

(١) ابن مسكوية : تجارب ص ٢٠٩ ومصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٥٠ .

(٢) ابن مسكوية : المصدر السابق ص ٢٠٢ .

(٣) ابن مسكوية : نفس المصدر ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة (مخطوط) ١/ورقة ٩٤/أ .

(٥) الانطاكى : تاريخ الانطاكى ص ١٢٢ و
Finaly : Hist. Byz. Emp. P. 307.

(٦) الانطاكى : المصدر السابق ص ١٢٢ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٨٧ .

وكان سيف الدولة فى وقت نزول نقفور على المصيصة سنة ٣٥٣ هـ قد أرسل خمسة آلاف متطوع خراسانى لمعاونة أهل البلد على مقاومة الغزو البيزنطى ودحره ، وكان هؤلاء الخرسانيون قد جاءوا الى سيف الدولة خلال اشتعال المعارك على الحدود[١] . ولعل ذلك كان مما دعم قوة أهل المصيصة وساعدهم على الثبات والمقاومة ، فاستعصوا بمدينتهم على الغازى نقفور وقواته ، فانسحبوا بعد تدمير الرساتق والقرى الواقعة على الحدود . وهو عمل خسيس لا يقوم به الا مندحر جبان . عجز عن المواجهة الشجاعة ، وعن مقارعة السيف للسيف فانتقم من قرى آمنة عزلاء وأناس آمنون .

لما انسحب نقفور بقواته خائبا ، اعتقد الخراسانيون أن المواجهة قد انتهت مع الروم ، وبذلك تنتهى مهمتهم . فانسحبوا ، ولم يتعقبوا نقفور وقواته قتلا وتنكيلا واثخانا ، كما فعل هو بالمدنيين الآمنين . والحق أن ذلك كان تقديرا خاطئا ، وتصرفا غير سليم . ولا ندرى كيف تركهم سيف الدولة يفعلون ذلك ؟ . اللهم الا اذا كان ما أورده ابن مسكوية ، كان هو الدافع وراء انسحابهم : « وهو شدة الغلاء فى الثغور وحلب » مما دفعهم الى « رجوع أكثرهم لبغداد ، ثم خراسان »[٢] . ومما يؤيد هذه الرواية ، ما قاله نقفور لأهل المصيصة « من أن سبب عودته وتركهم هو نقص العلوفة ، وندرتها ، وبالتالى ارتفاع أسعارها »[٣] .

ويذكر ابن مسكويه فى حوادث سنة ٣٥٣ هـ[٤] . . « ان الغلاء اشتد بانطاكية وجميع الثغور ، حتى لم يقدر أحد على الخبز ، وأكل الناس الرطبة والحشيش ، وانتقل قوم من الثغور الى الرملة ودمشق وغيرها نحو خمسين ألف انسان هربا من الغلاء ، فان الدمستق (القائد البيزنطى) قد جمع الجموع للخروج الى بلاد الاسلام ، وأن السلطان (سيف الدولة) بحران مقيم بعد الذى جرى

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣هـ) .
(٢) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٢ (حوادث ٣٥٣هـ) .
(٣) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة : ١/ورقة ١٩٤/أ .
(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٢٠٣ .

على أهلهـا من نجـا على ظلمهم وطرح الأمتعـة عليهم ، والجـور فى معاملتهم وأن الغلاء بها وبالرقة شديد جدا » .

لكن نقفور رأى أن مصلحة دولته تقتضى القيـام بعملية تبريد الجبهـة الاسـلامية وتهدئة للموقف مع الحمدانيين ، ربما لمتـاعب داخلية كان يعـانى منها ، فضـلا عن انشغاله الى حـد ما بتثبيت النفوذ البيزنطى فى جزيرة كريت (اقريطش) التى استطاع الروم الاستيلاء عليها من المسلمين منذ سـنة ٣٤٩/٣٥٠ هـ . ولذلك عمـد الى سياسة الموادعة والملاينة مـع سيف الدولة الحمدانى حيث « هادىء سيف الدولة بهدايا ، فصـار (ذلك) سببا لمقام (الدمستق) نقفور فى بلاد الاسـلام ثلاثة أشهر لا ينازعه أحـد ، ولا يمكنـه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع فى أصحابه الوباء فاضـطر الى الانصراف[1] . وقد قبل سيف الدولة ما أهداه اليـه نقفور ورد عليه بهدايا أخرى[2] .

ويرجح أن سيف الدولة اتخذ من قبول الهدايا من نقفور والرد عليه باهدائه هدايا أخـرى ، سببا ووسيلة لاطلاق وفداء أسـرى المسلمين لدى الروم ، وهو أمر هام بالنسبة لسيف الدولة . اذ كان يحاول تجميع قواته المبعثرة ، والعمل على اعادة تنظيمهـا ، ليتمكن بالتـالى من التصـدى للبيزنطيين فيحفظ بذلك دولته من التـلاشى والانهيار بعد الجهاد الطويل الذى تحمله .

ويبدوا أن ما دار بفكر سيف الدولة لم يكن بعيدا عن تقـدير نقفور ولذلك انتقل من المصيصة الى قيسارية فأقام سنة يتلمس أنباء الثغور الاسلامية[3] . حتى اذا أيقن من ضعفها . وعدم قدرتها على

---

(١) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٢ ، ٢٠٨ .

(٢) ابن مسكوية : المصدر نفسه ص ٢٠٨ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٢٣ وابن خرداذبة : المسالك والممالك ص ٢١٠ .

الصمود والدفاع ، قام — نقفور — بحملته الكبيرة للقضاء على دولة الحمدانيين التى شغلت الروم نحو عشرين عاما كاملة[١] .

وفى ذلك يذكر صاحب كتاب تجارب الامم . « .. ورد الخبر أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة ، وهى تقرب من بلاد الاسلام ، فأقام بها ، ونقل اليها عياله ، ليقرب عليه ما يريد من بلاد الاسلام ، وأن أهل المصيصة وطرسوس أنفذوا اليه رسولا يسألونه أن يقبل منهم اتاوة يؤدونها اليه ، على أن ينغذ اليهم صاحبا له ليقيم فيهم ، فعمل على اجابتهم الى ذلك . فورد عليه الخبر بأن أهل هذه البلدان قد ضعفوا جدا ، وانه لا ناصر لهم . ولا دافع له عنها ، وأنه لم تبق قوات وانه آل الأمر بأهل طرسوس الى أكل الكلاب والميتة ، وانه يخرج منها فى كل يوم ثلثمائة جنازة . فانصرف رأيه عما كان عمل عليه ، وأحضر رسولهم وضرب له مثلا ، وقال : مثلكم مثل الحية فى الشتاء اذا لحقها البرد ذبلت وضعفت حتى يقدر من رآها أنها قد ماتت ، فان أخذها وأحسن اليها ، وأدفأها ، انتعشت ولدغته . وأنتم انما بخعتم (أى خضعتم) بالطاعة لما ضعفتم ، وان تركتم حتى تستقيم أحوالكم تأذيت بكم » وأخذ الكتاب الذى أورده فأحرقه على رأسه فاحترقت لحيته ، وقال : « امض اليهم وعرفهم أنه ليس عندى الا السيف » . فانصرف (الرسول) . وجمع الملك (نقفور) جيوشه وعمل على أن ينفذ جيشا الى الشام ، وجيشا الى الثغور وجيشا الى ميافارقين . وكان سيف الدولة بميافارقين قد تخلص البطارقة الذين فى يد نجا وكان بميافارقين نحو ألف كر حنطة فمزقها (سيف الدولة) وفرقها لئلا تأخذها الروم »[٢] .

انقض نقفور فوكاس بقواته البيزنطية على المصيصة ، ففتحها بالسيف عنوة يوم السبت الثالث عشر من رجب سنة ٣٥٤ هـ بعد أن

---

(١) سامى الكيالى : المرجع السابق ص ١٢٣ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم ص ٢١٠ — ٢١١ (حوادث ٣٥٤هـ) والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤١٥ — ٤١٦ .

قتل من أهلها عددا عظيما[١] ، ونقل كل من بها الى بلاد الروم ، وكانوا نحو مائتى ألف نسمة [٢] . ويضيف الذهبى [٣] : أن جماعة من أهل المصيصة رجعوا اليها وتنصروا . وقد أرجع الذهبى السبب فى تمكن نقفور من المصيصة ، الى قيام أهلها « بهدم سورها بالنقوب ، وأن رجلا أشار عليهم أن يخرجوا الاسارى ليعطف عليهم نقفور فأخرجوهم . فعرفه الاسارى بعدم الاقوات وأطمعوه فى فتحها ، فزحف عليها » .

على أن الثابت أن أهل المصيصة قاتلوا الروم فى الشوارع ، من شارع الى شارع ، حتى قتلوا من الروم عددا يذكره الذهبى بأربعة آلاف . غير أن تكاثر الروم على أهل البلد هزمهم ، ومكنهم منهم فقتلوهم . وأخذوا من أعيانهم مائة ضربوا أعناقهم بازاء طرسوس وكان ذلك مما دفع الطرسوسيين الى اخراج من عندهم من الاسرى البيزنطيين (ثلاثة آلاف رومى) وقتلوهم عن آخرهم ، انتقاما لما فعله نقفور وجيشه بأهل المصيصة[٤] .

بعد أن انتهى نقفور من أمر المصيصة ، توجه الى طرسوس ، التى أذعن أهلها له ، بعد أن أيقنوا بعدم جدوى المقاومة فسلم ابن الزيات (عامل سيف الدولة على طرسوس) ومولاه رشيق النسيمى طرسوس صلحا[٥] . ودخل نقفور المدينة مشترطا على أهلها شروطا أهمها :[٦]

أولا : أن يخرج الطرسوسيون عن البلد .

ثانيا : أن يحملوا معهم ما يمكنهم حمله .

---

(١) ابن الوردى : تتمة ٤٣٣/١ .

(٢) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ورقة ٩٤/أ — ٩٤/ب (مخطوط)
وابن الوردى : تتمة ٤٣٣/١ .

(٣) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٧١/١ (حوادث ٣٥٤هـ) .

(٤) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٢١٢ (حوادث ٣٥٤هـ) .

(٥) الذهبى : تاريخ دول الاسلام جـ ١ ص ١٧٢ .

(٦) ابن مسكوية : المصدر السابق ٢١١/٢ .

ثالثا : أن تصبح كل الدور بيد الروم •

رابعا : أن من أراد المقام فى طرسوس فليتنصر •

خامسا : أن من أراد المقام فى طرســـوس على دين الاســـلام فعليه جزية •

ويذكر ياقوت الحموى[1] أن « خلقا كثيرا تنصروا ، وبقى نفر يسير على الجزية ، بينما خرج أكثر الناس قاصــدين بلاد الاســـلام وملك نقفور البلد ، وحرق المصـــاحف وخرب المســـاجد ، وأخذ من خزائن الســـلاح ما لم يسمع بمثله مما كان قد جمع من أيام بنى أمية الى هذه الغاية » •

ويروى ابن الوردى[2] أن نقفور « أمن أهل طرسوس ســـنة ٣٥٤ هـ ، وكان فيهـــا أربعـــون ألف فارس ، طلع نقفـــور على منبر طرسوس ، فقـــال لمن حوله : أين أنا فقالوا : أيهـــا الملك على منبر طرسوس ، فقـــال : لا • ولكنى على منبر بيت المقدس ، وهذه ـــ أى طرســـوس ـــ كانت تمنعكم من ذلك ، وجمع مصـــاحف الجامع ، وكان ألف مصحف فى المحرم وطين عليها ، والله أعلم • وســـار أهلها عنها فى البر والبحر ، وجهز معهم من يحميهم الى أنطاكية •• ولقيهم أهل انطاكيـــة بالبكاء والنحيب وكان فى أول طرســـوس رجل منهم يقرأ (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير • الذين أخرجـــوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنـــا الله) • وجعـــل (نقفور) جامع طرسوس اصطبلا ، وأحرق المنبر ، وحصن طرسوس وتراجع بعض أهلها وتنصر بعضهم ، ثم عاد اللعين الى القسطنطينية »

كما أورد الذهبى ـــ فى تاريخـــه[3] • عرضـــا وافيا لما حدث لمدينة طرسوس وأهلها سنة ٣٥٤ هـ على أيدى الروم وبسببهم ، حيث

---

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان (مادة طرســوس) •

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٣ ـــ ٤٣٤ •

(٣) الذهبى : تاريـــخ دول الاســـلام ورقة ٩/أ وابن مســـكوية : تجـــارب ٢/٢١٢ حاشية ١ •

قال : « .. فى هذه السنة (٣٥٤ هـ) اشـتد الحصـار على مدينـة طرسـوس وتكاثرت عليهم جموع الروم ، وضعفت عزائمهم بأخـذ المصيصة ، وبما هم فيـه من القلة والغـلاء . ولكن سـيف الدولة لم يستطع أن ينجدهم ، فانقطعت عنهم المواد ، وطال الحصار فراسلوا نقفور ملك الروم ، ، فى أن يسلموا اليه البلد ، بالامان على أنفسهم وأموالهم ، واستوثقوا منه بأيمن وشرائط . ودخل طائفـة من وكلاء الروم ، فاشتروا منهم من البز الفاخر والاوانى المخروطة واشتروا من الروم دواب كثيرة تحملهم ، لانه لم يبق عندهم دابة الا أكلوها ، وخرجوا بحريمهم وسـلاحهم وأموالهم .. ثم دخل الروم مدينـة طرسوس فأحرقوا المنبر ، وجعلوا المسجد اصطبلا » .

لقد نزح الطرسوسيون عن مدينتهم سنة ٣٥٤ هـ ، بقلوب كسيرة وافئـدة حزينـة ملتاعة ، ونفوس جزعة ، وعيون دامعـة . وظلوا سائرين حتى بلغوا انطاكيـة فلما علم بذلك أهل انطاكية . « وجفوا وهلعوا ، فطردوا عامـل سيف الدولة عليهم من بلدهم انطاكيـة ، واتصلوا بنقفور على أن يؤدوا اليه أربعمـائة ألف درهم عدا ثلاثين درهمـا كجزية عن كل شخص سـنويا » . وكان سيف الدولة فى ميافارقين يرقب الموقف وقلبه يعتصر الما وحزنا[1] .

ومما لا شك فيه أن الخيانات الداخليـة كانت من أهم العوامل التى مكنت للـروم من رقـاب المسلمين ، وجعلتهم يتفـوقون على الحمدانيين . وكان من أهم هذه الاحداث تخـاذل ابن الزيات عامل سـيف الدولة على طرسوس ، ومولاه رشـيق النسيمى ، عن الصمود أمام الروم . وقد سـار رشيق النسيمى الى جهة حلب وقاتل قرعوية (عامل سيف الدولة) فأرسـل سيف الدولة قوة مع خادمه وغلامه بشارة ، فقاتلا — بشارة وقرعوية — رشيق النسيمى ، فقتـل رشيق وفر أصحابه الى انطاكيـة . فلما عاد سيف الدولة اجتمع على حربه ابن الأهوازى ودزبر الديلمى ، الذى قام محل رشـيق النسيمى ، فى

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الامم ٢/٢١٣ حاشية ١ .

طرســـوس ، فقتل كلا من ابن الأهواز ودزبر كما قتل من ولاتهـــا وقضاتهما وشيوخهما خلقا »(١) .

هذا فضلا عن مرض سيف الدولة ، الذى أقعده ومنعه من صد غارات العـــدو ، لدرجـــة أنه طلب الهـــدنة من نقفور ســـنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م)(٢) ، وهو ما لم يفعله قبل ذلك .

كان سيف الدولة قد سار ــ قبيل دخول الروم الى طرسوس ــ الى أرزن وأرمينيه وحاصر بدليس ، وخلاط ، التى كان بها أخو نجا الكاسكى ، واسمه « نما » ــ كان قد تمرد الاثنان على سيف الدولة ــ فتملك سيف الدولة ورد الى ميافارقين(٣) .

هكذا تسببت الاضطرابات والمتاعب التى واجهت سيف الدولة ، منذ سنة ٣٥٤ هـ وحتى وفاته يوم الجمعة لخمس بقين من شـــهر صفر ســـنة ٣٥٦ هـ ، فى اعاقته عن التصـــدى بفاعلية وقوة للروم . وكان من أهم هذه المتـــاعب : ثوره مروان القرمطى فى الســـواحل ، وتمرد الانطاكيين بتحريض من رشيق النسيمى ــ الذى كان قد سلم وابن الزيات مدينة طرسوس للروم ــ ، وانضمام بعض الديالمة اليه فى ثورته ، وسيرهم جميعا لاخذ حلب من يد عاملها الحمدانى المسمى قرعوية (غـــلام سيف الدولة) الذى دافع دفاعا مجيـــدا(٤) . لكن سيف الدولة انقض عليهم ــ رغم مرضـــه ــ فأعطاهم درســـا قاسيا واستنقذ منهم حلب وضواحيها .

هكذا كانت هذه هى الظروف التى حملت سيف الدولة ٣٥٥ هـ (٩٦٦ م) ، الى قبول مصـــالحة الروم . فأرســـل الى نقفور ملك (امبراطور) الروم يعرض عليه المهادنة ، ليتمكن الطرفان من تبادل

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٤ .

(٢) ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ورقة ٩٤/أ وب وفيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ٢١٢ و ٢١٣ حاشية ١ .

(٣) ابن مسكوية : تجارب الامم ٢١٢/٢ حاشية ١ نقلا عن الذهبى : تاريخ دول الاسلام .

(٤) ابن مسكوية : تجارب الامم ٢١٣/٢ ــ ٢١٤ .

الاسرى • وقد وافق نقفور فوكاس على الهدنة • فأطلق سيف الدولة من كان عنده من بطارقة (قواد) الروم الذين كانوا أسرى لديه كما أطلق نقفور رجال سيف الدولة ، الذين كان منهم أبو فراس الحمدانى ، ومحمد بن ناصر الدولة ؛ وغيرهما من رجال سيف الدولة وغلمانه • كما اشترى حرية ألفى أسير بمائة وستين ألف دينار ، بواقع ثمانين دينارا عن كل أسير[١] • ولما نفذ ماله اشترى الباقين بأن رهن بدنته (درعه) والجواهر المعدومة المثال ، ثم عاد الى عاصمة ملكه ومعه من أطلقهم من رجاله وغلمانه[٢] •

وقد أورد ابن الوردى وصفا لعملية الفداء هذه ، ضمن حديثه عن حوادث سنة ٣٥٥ ه حيث قال[٣] ، « ••• وفيها (أى سنة ٣٥٥ ه) وصلت الروم الى آمد وحصروها ، ثم انصرفوا وقاربوا نصيبين ، ثم ساروا ونازلوا انطاكية طويلا ثم رحلوا الى طرطوس ، وفيها وقع بين سيف الدولة وبين الروم الفداء ، فخلص أبا فراس ابن عمه وغلامه روطاس وجماعة من أكابر الحلبيين والحمصيين ، ولما لم يبق معه من أسرى الروم أحد ، اشترى الباقين كل نفس باثنين وسبعين دينارا ، حتى نفذ ما معه من المال • فاشترى الباقين ، ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة المثل ، ثم لما لم يبق أحد من أسرى المسلمين ، كاتب نقفور ملك الروم ، وهذه محاسن سيف الدولة »

وكان مما أنفقه سيف الدولة فى عملية الفداء فى هذه السنة (٣٥٥هـ) نيفا وعشرين ألف ألف درهم ومائتين وستين ألف دينار • وقد كان هذا الفداء فى شهر رجب من عام ٣٥٥ ه حيث بلغ جملة من فداهم سيف الدولة ثلاث آلاف ومائتين وسبعون نفسا ما بين أمير وراجل[٤] •

---

(١) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٢٦ •

(٢) الذهبى : تاريخ دول الاسلام ١٧٢/١ وابن مسكوية : تجارب الأمم ٢١٣/٢ ، ٢٢٠ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٣٥/١ — ٤٣٦ •

(٤) ابن الوردى : المصدر السابق ٤٣٦/١ حاشية ١ ، وراجع الذهبى : تاريخ دول الاسلام ج ١ ص ١٧٢ •

فاذا أضفنا ، الى الاضطرابات التى وقعت فى كل من انطاكية وحلب ، أن الروم أحاطوا علما ، بأحوال القوى الاسلامية الأخرى آنذاك ، وما كانت تعانيه من مشاكل ، فى بلدان العالم الاسلامى شرقا وغربا أدركنا لماذا تفوق الروم على المسلمين فى هذا الوقت (منتصف القرن الرابع) .

نعم ، لقد كان عالم الاسلام وقتذاك (٣٤٩ — ٣٥٥ هـ) يشهد حالة تشرذم وبعثرة لقواه ، التى صارت كل منها تعمل لخدمة مصالحها الاقليمية فقط ، بصرف النظر عن ما يحدثه تصرفها ذلك من اضرار بمصلحة العالم الاسلامى ككل . الامر الذى كان من أهم نتائجه ضياع كريت (اقريطش) من يد المسلمين سنة ٣٥٠ هـ[١] ، وسيطرة الروم عليها ، وعلى بعض الثغور الشامية أمثال المصيصة وطرسوس وانطاكية .

وقد عاود نقفور — امبراطور الروم — الهجوم آخر ٣٥٥ هـ ، على مناطق الثغور الاسلامية ، بهدف دخول حلب . وذلك لأن الروم اعتبروا هذه المدينة المعبر ، الذى يمرون عليه الى بلاد الاسلام . لكن سيف الدولة تصدى لهم ودافع عن لؤلؤته الغالية دفاع الأبطال ، فظلت القوات البيزنطية تعيث وتفسد لمدة خمسين يوما فى الضواحى المحيطة بحلب ، دون أن يمكنهم تحطيم تلك الصخرة « حلب الشهباء »[٢] .

غير أن سير الأحداث كان يوحى آنذاك بانكدار نجم سيف الدولة لان المرض « الح عليه ، وظل ينخر فى جسده ، الى أن اخترمت المنية حياته فى يوم الجمعة لخمس بقين من صفر ٣٥٦ ، ونقل تابوته الى ميافارقين ، وكان المرض الذى مات به سيف الدولة هو « عسر البول والفالج »[٣] .

---

(١) صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ص ١٣٢ — ١٤٠ .

(٢) راجع : ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/٢٢٠ — ٢٢١ .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٣٨ .

هكذا انطوت صفحة حياة بطل من ابطـال الاسلام الافذاذ ، بعد أن عاش حياة حافلة بالجهاد ضد أعداء الاسـلام والمسلمين ، وكتب صفحاتها بمداد دمه ودماء الشهداء ، الذين شاركوا معـه فى المعارك ، حتى لقد قيل عنه أنه لم يكن بين الملوك من هو أغزى منه .

ومما يرى عنـه انه جمع من نفض الغبار الذى كان يجتمع عليه فى غزواته شيئا ، وعمله لبنة بقـدر الكف ، ثم أوصى بأن يوسد خده عليهـا عند دفنه[١] ، وقد نفذت وصيته تماما .

وبوفاة سيف الدولة ــ بطل الجهاد الاسلامى ضد الروم ــ تبدأ الدولة الحمدانية فى الضعف ثم التلاشى . لان ابنه أبو المعالى شريف ، لم يقـو على توطيد ما عجز عنه أبوه . وبذلك صـار المسرح خاليا أمام الروم ، ليعيثوا فى أرض الاســلام ، قتلا وتذبيحا ونهبا وتخريبا . وتوغلوا فيها أينما وكيفما شائوا ، سواء فى الشـام أو العراق ، بعـد أن كان عبور الفرات فى الجهـات الواقعـة ، أسفل جبـل طوروس ، يعد من الأمور المستحيلة على الروم منذ أيام هرقل « القرن السـابع الميـلادى » . أما الآن ــ فى منتصف القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وفى عصر يوحنا زيمسكيس ونقفور فوكلس ــ فقد استطاع الـروم أن يكتسحوا الكثير من المدن العربيـة العريقـة مثل : الرها (اديسا) ، ديـار بكر ، ميافارقين ، نصيبين الواقعـة عند حـدود امبراطوريتهم القديمة على نهر دجلة[٢] .

ولم يستطع الروم قط اخضـاع المسلمين والنيـل منهم ــ فى وقت من الأوقات ــ مثلما أمكنهم ذلك أيام زيمسكيس ونقفور . اذ انتزعوا من المسلمين كيليكيا ، وجزءا من البـلاد السورية ، كما اعترف شطر كبير من بلدان الدولة العباسية بالتبعية للامبراطورية البيزنطية[٣] .

هكذا نرى انه بوفاة سيف الدولة الحمدانى سنة ٣٥٦هـ ، يتغير

---

(١) ابن مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

(٢) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ وأبو الفدا : المختصر ص ١١٨ .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة ص ١٥٥ .

ميزان القوى فى غير صـالح العـالم الاسـلامى ، وتنقضى هـذه الصفحات الطويلة المضيئة من الكفـاح ، والجهـاد الاسلامى ، الذى رفع لواءه سيف الدولة وسـل سيفه ولم يعده الى غمده الا فى اواخر أيام حيـاته ، كما اهتم بفداء الاسرى ، قبيل وفاته بعـام واحـد (أى ٣٥٥هـ/٩٦٥ — ٩٦٦م) ، بعد ان دوخ أكبر امبراطورية فى زمانه ، وهى امبراطورية الروم ، التى كانت وقتذاك فى عصرها الذهبى[١] .

ولنتوقف هنـا لحظـة ، لنسجل كلمة حق فى سيف الدولة . . انصافا للرجل ، كما شهد له بذلك المؤرخون الاجانب قبل المسـلمين .

ذلك ان سيف الدولة لم يكن يبغى بحروبه أو غزواته تلك بغيـا أو عدوانا على أحد ، ولم يكن نهابا سلابا أو غازيا لمجرد الغزو ، كما ذهب بعض المؤرخين الاجـانب فى الحملة عليـه ، امثال متز Metz وشلومبرجر . فبعض هـؤلاء المـؤرخين لا يكـاد يلقى تهمتـه فى سيف الدولة ، حتى يصرعه نور الحق وبرهانه الساطع ، فلا يلبث أن يسجل للرجـل فضـلا عظيما ، فى عديد من المواضـع والمواقف ومن هؤلاء شلومبرجر نفسه فى كتـابة الذى ألفه عن نقفور فوكاس[٢] .

والحق ، أن طبيعـة موقع الدولة الحمدانية فى بلاد الشـام ، ومتاخمتها للحدود البيزنطية ، جعـل حكام هذه المنطقـة العربيـة الاسـلامية يوجهون عنايتهم لتحصـين حدودهم مع الروم ، لتمنع عنهم عادية هجمة مباغتـه من هنـا أو هناك . وكان هذا مما جعـل سيف الدولة دائما ، على أهبـة وحذر وتحفز للرد على أى عدوان . وهو الذى عرف عنـه التزامه جـانب الخلق الحميد ، واحترام آداب الحروب . هذا ، بينما ألف الأعداء (الروم) الغدر والخديعة ، فلا يكادون يحرزون نصر فى معركة الا باستعمال أساليب يترفع عن ذكرها الخلق العربى الندى ، الذى تخلق به سيف الدولة[٣] .

كما يذكر لسيف الدولة تدعيمه للثغور وشحنها بالمقاتلة ، وانشاء

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١٣٨ .

(٢) Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٣ — ١١٤ .

الحصون الجديدة ، ورم القديمـة أو تجديدها • وكان بنـاء الحصن الواحـد كثيرا ما يكلفه معركة دامية مع الروم ، الذين اعتبروا كل لبنة توضـع فى أى حصن أو ثغـر اسـلامى خنجـرا مصـوبا الى قلب امبراطوريتهم[١] •

والغـريب ان مؤرخـا مثل شلومبرجر الذى يصـف حـروب سيف الدولة بأنها حمـلات سلب ونهب ، لا يلبث أن يقول : « ينبغى أن نحترس من الاعتقـاد أن جيوش سيف الدولة لم تكن الا عصابات دون نظـام أو ترتيب • • بل كان العرب يتبعون خططا (تكتيكا) فى منتهى الدقة والأحكام ، ويخضعون لنظـام صارم ، ويشنونها حربا فنية مدروسة ، ويقودون جيوشا متفوقة فى تنظيمهـا وقد أعدوا لكل أمـر عدته ، وتداركوا كل صغير وكبير من الأمـور ، ونظموا الخدمـة اليومية ، وأخذوا بنظـام الاستطلاع والدوريات الصغيرة لكل فرقة (كتيبة)[٢] • فهل هذه الصفات التى أوردها شلومبرجر هى صفات سلابة نهابة أم سمات مجاهدين •

ولقـد ابتكر سـيف الدولة نظـام القوات الفدائية (القوات الانتحـارية) التى تقوم بعملياتهـا ، بنظـام المباغتـه ، من حيث لا يتوقـع العدو زمانا ومكانا • لكنه — وهو المتحلى بالخلق العـربى الاسلامى الكريم — حين شعر بما فى هذه العمليات من شبهة تتناقض مع الخلق العربى المسلم ، ألغاها وسرحها • بعد أن كانت قد أقلقت — بعملياتها — مضاجع الروم طوال عشر سنوات (٣٣٩ — ٣٤٩هـ) ٩٥٠/ ٩٦٠ • فهو اذن ألغاها لاحساسه بمخالفتها — فى عملياتها — للخلق العربى الذى لا يغدر • لكن المؤرخ شلومبرجر علل الغاءها بأن سيف الدولة وجد « اعمالها مخزية مخجلة »[٣] •

وغريب أمر هذا المؤرخ حقا أن يعتبر أعمـال القوات الفدائية مخزية مخجلة ، مـع أن هؤلاء الفدائيين لم يوقعوا أذى الا بالجنود ،

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٤ •

(٢) Scmuhlberger . Nicephore Phoces, P. 226 - 227.

(٣) Schlumberger : Nicephore Phocas P. 227.

ولم يقتلوا الا المحــاربين . أما ما كان يوقعــه البيزنطيون بالأطفال والنساء والشيوخ المسلمين فى الثغور ، وما أنزله نقفور فوكاس بأهل حلب ســنة ٣٥١هـ وطرسوس ســنة ٣٥٤هـ من قتل وغــدر بالشيوخ والأطفال فليس أمرا مخزيا أو مخجلا(١) .

والجدير بالذكر أن سيف الدولة اعتمد فى حروبه وغزواته على عدد من القــادة العظــام امثال : الفارس الشاعر الحارث أبو فراس الحمدانى ، وابن عمه أبو تغلب وائل بن داود بن حمدان ، أمير حمص ، وأبو زهير مهلهل بن نصر بن حمدان — صديق أبى فراس — الذى أنكى فى بــلاد الاعــداء واستشهد فى احدى معــاركه على أرض الروم ، وأبو العشائر أمير أنطاكية الذى أسر فى معركة عرندس ٣٤٥هـ (٩٥٦م) ثم حمل للقسطنطينية حيث مات بها ، وهبة الله ومحمد ابنا ناصر الدولة اللذين ولاهما أكثر من مرة قيادة بعض جيوشه فى المعارك(٢) .

كما أن هناك أيضا من القادة عدد من غلمان سيف الدولة أمثال : نجــا الكاسكى ، وقرعويه ، ويماك ، وكان ابرزهم نجــا الذى لم يقهر فى معركة واحدة(٣) .

والحق ان قواد سيف الدولة جميعــا اتسموا بالبسالة والاقدام ، وحب البذل والتضحية . فكان الواحد منهم يثبت فى المعركة حتى ينتصر أو يقتل أو يؤسر مثل ما حدث لأبى زهير المهلهــل الذى خر صريعــا فى معركة الصفصاف ، وأبو فراس ، وأبو العشــائر محمد بن ناصر الدولة ، الذين وقعوا جميعا فى الأسر ، فمات منهم فى الأسر أبو العشائر وعاد الاثنان الآخران فى الفداء العام سنة ٣٥٥ هـ(٤) .

لقد تنفست بيزنطة الصعداء بموت البطل المغوار ســيف الدولة ، لأنهم بذلك يكونون قد استرحوا من أخطر اعدائهم على الجبهة الاسلامية آنذاك . لهذا أمكنهم — بعد ذلك — التوغل فى ســورية ، وحــاولوا

---

(١) مصطفى الشكعة : سيف الدولة ص ١١٦ — ١٢٣ .
(٢) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٨ — ١١٩ .
(٣) Canard : Hist., de la Dyn. des Hamd., P. 135/6, 142.
(٤) مصطفى الشكعة : نفس المرجع ص ١١٩ — ١٢٠ .

توجيه تيار الأحداث فيها ، وبخاصة فى عهد سعيد الدولة الحمدانى[1] .

ويتحدث فنلاى — نقلا عن فزيليف Vasiliev — عن تفوق الروم فى هذه المرحلة من مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطية (منتصف القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى) فيقول : «...ان المدة بين ٩٦٣ — ٩٦٩م (٣٥٢—٣٥٩هـ) تكون أزهى فترات تاريخ العسكرية البيزنطية فى صراعها مع المسلمين . فقد استطاع نقفور فوكاس ان يركز اهتمامه على الشرق . فاحتل طرسوس وكيليكيا ، على حين نجح الاسطول البيزنطى فى انتزاع جزيرة قبرص من العرب ، مما فتح له الطريق الى سورية . فبدأ يعمل على تحقيق حلمه الغالى وهو غزو أنطاكية التى تعتبر قلب سورية . وبعد غارات تهديديه على سورية ، حاصر نقفور أنطاكية . . ثم استولى عليها فى آخر سنى حكمه (٩٦٩ / ٣٥٩ هـ) »[2] .

على أن مما زاد موقف الجبهة الاسلامية سوءا فى مواجهة الخطر البيزنطى — المحدق بالممتلكات الاسلامية فى الشام والجزيرة وقبرص وكريت وغيرها — هو مادب بين أفراد البيت الحمدانى من صراع وتنافس أسرى . حيث أعيد فتح السجلات الحمدانية عن ثآرات قديمة بين أبى فراس الحمدانى ، وبين كل من أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ، وابن ناصر الدولة ، وهو حساب لم يكن لأبى المعالى شريف فيه يد أو دخل . وانما هى تركة مثقلة ، ورثها عن أبيه سيف الدولة ، الذى تحملها صابرا ، وكان مجرد وجوده حيا ، كفيلا باطفاء نيران وحمم هذه الفتن ، التى سرعان ما تطاير شظاها بعد وفاته سنة ٣٥٦هـ ، ليصيب القريب والبعيد على حد سواء ، ولينعكس ذلك كله ضعفا وانهزاما امام الروم .

---

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٠ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ١ ص ١٥٧ ويحيى بن سعيد : تاريخه ص ١٣١ و
Finlay : Hist. of Byz. Emp., P. 306.

ذلك أنه بمجرد اطلاق سراح أبى فراس الحمدانى من الأسر لدى الروم سنة ٣٥٥هـ ، وما كاد أجـل سيف الدولة ينقضى سنة ٣٥٦هـ ، حتى نهض أبو فراس محـاولا السيطرة على حمص والتغلب عليهـا . وكان دافعـه الى ذلك هو رغبته فى الانتقـام والثـأر لنفسـه من نكد الايام ، ولأبيـه سعيد من ابن عمـه ناصر الدولة . لكن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، علم بنية أبى فراس فأرسـل اليـه من أتباعه من قاتله ، حتى تغلب عليه وقتله[١] .

غير أن هنـاك خلاف بين المؤرخين فى مسـألة مقتل أبى فراس الحمدانى . فمن قائل أن أبا المعالى شريف بن سيف الدولة ، أرسـل قرعوية ، غلام أبيه سيف الدولة ، فقتله بعد أن ضربه ضربات اليمةأثناء الطريق . وهناك من يقول أن أبا فراس الحمدانى قتل فى شهر ربيع الآخر ٣٥٧ هـ ، فى قرية تعرف باسم « صدد » وذلك فى حرب وقعت بينه ـــ وكان مقيما فى مدينة حمص ـــ وبين عسكر أبى المعالى شريف بن سيف الدولة الذين استظهروا على أبى فراس ، وقتلوه فى الحرب . وحزوا رأسه ، وطرحوا جثته فى البرية أياما ، الى أن كفنه ردغة بعض الأعراب . كما يروى أن قرعوية أخفى خبر مقتل أبى فراس عن أبى المعالى شريف بن سيف الدولة ، حتى لا يفجعه النبأ . وهو الذى حزن فعلا عندما بلغه نبأ مقتل أبى فراس الحمدانى . كما أن والدة أبى فراس وكان اسمها سخينة[٢] ـــ صرعت عندما علمت بنبأ مقتل ابنها[٣] .

وقد قيل فى مقتل أبى فراس[٤] ، شعرا جاء فيه[٥] :

---

(١) سامى الكيالى : بسف الدولة ص ١٥٥ .

(٢) أورد ابن الوردى : ا تتمة المختصر فى اخبار البشر جـ ١ ص ٤٣٩) أن اسمها « بجية » وليس « سخينة » .

(٣) سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٥ـــ١٥٦ .

(٤) اسمه كاملا هو أبو فراس الحـارث بن أبى العـلاء سعيد بن حمدان . وهو ابن عم كلا من سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة .

(٥) ابن الوردى : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٣٩ .

وعلمنى الصـــد من بعـده من اليـوم مصرعه فى صدد
فسقيا لها اذ حوت شخصـــه وبعدا لها حيث فيها ابتعـد

هكذا أصبحت الاسرة الحمدانية كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله • وذلك بعد أن كانت نارا • ولظى يكتوى بسعيره عدو المسلمين أما الآن ، وبعد موت سيف الدولة ، فان العدو البيزنطى أصبح ينظر ويتلمظ لالتهـام بلاد الاســلام الواحــدة بعــد الأخرى ، وما شــجعه على ذلك ســوى شعوره وادراكه بما صــار فيه المسلمون من غفلة ، أودت بوحدتهم • حيث فرقتهم المنازعات ، والصراعات الاقليميـــة ، والأسرية ، والشخصية • وصـــار — واى للأسف — بأســهم بينهم شــديد ، وما ذلك الا لأنهم نســوا ما يدعو اليه الاســلام من الوحدة والترابط ، ووجوب أن يكونوا كالبنيان الواحــد المرصــوص يشد بعضه بعضا[١] •

لقد خاض المسلمون صراعا مريرا ضد الروم ، فى منطقة الثغور الاسلامية — البيزنطية ، ســواء فى اقليم الجزيرة ، أو بلاد الشام ، وهو صراع استمر لعــدة قرون • حتى أنه ليمكن القول أنه يوجــد على وجه البسيطة مكان التهبت على ترابه نيران معارك ضــارية ، مثلما نشبت فى المنطقة بين الشام وشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) وهى المنطقـــة المعروفة بالثغور الشــامية ، هذا فضلا عن المعــارك التى خاضها المسلمون ببسالة فى الثغور الجزرية •

وكان هناك دائما فارق وتمايز بين المنطقة الداخلية فى الجنوب ، وهى التى سميت بالعواصم ، وبين المنطقة الخارجية المسماه بالثغور • فيذكر الاصطخرى[٢] : « أن هذا النطــاق (العســكرى) كان يبدأ فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) من أولاس على البحر المتوســط ، ويضم طرســوس واذنه (أطنه) والمصيصـــة وزبطرة

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٣٩ •
سامى الكيالى : سيف الدولة وعصر الحمدانيين ص ١٥٦ •

(٢) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٤٣ ، ٤٦ — ٤٧ •

ومر عش وملطية وحصن منصور حتى يصل الى سميساط على الفرات ، ويمتد على طول الرافد الغربى لهذا النهر فى اتجاهه جنوبا حتى بالس» • وقد اهتم المسلمون بها ، الى أن دب الخلف والضعف فيهم فتدهورت المنطقة واضمحل أمرها[1] •

ويصور ابن العديم تدهور منـــاطق الثغور الى نهايتها المؤسفة فيقول[2] : « واهتم المتوكل العباسى (٢٣٢ — ٢٤٧ هـ فى الثغر بترتيب المراكب ، ومازال مشحوناً من ملوك المسلمين بالراجل والراكب ، الى أن قصرت الهمم ، وولى من تعدى وظلم ، واشتغلوا باللذات ، وتعاطوا الأمور المنكرات ، فضعف أمر الثغـــور واختل ، ووهى عقـــد نظامها وانحل ، فجـــرى ما ذكرناه فى باب طرســـوس وحـــل بالمسلمين من أعداء الله الشـــدة والبؤس » •

واذا كانت حلب الشهباء ، قد وجدت مجداً بانتقـــال الحمدانيين اليها ، بعد قيامهم فى اقليم الجزيرة ، الا أنها لم تستطع المحافظـــة على مجدها للنهاية • كما لم يكن باستطاعة الدولة الحمدانية (وهى دولة ثغرية) أن تظل واقفة صـــامدة الى ما لا نهـــاية ، أمام الحاح ضربات الروم وضـــغط هجومهم المتـــوالى • فيصـــــور لنا ياقوت الحموى[3] ، أحداث النهـــاية المؤلمة للثغور الاســـلامية تصـــويرا موجزا بليغـــا فى قوله : « ولم يزل هـــذا الثغر طرســـــوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف اليها بيد المسلمين ، والخلفـــاء مهتمين بأمرها لا يولونها الا شجعان القواد والراغبين منهم فى الجهـــاد ، والحروب بين أهلها والروم مستمرة •• والامور على مثل هذه الحـــال مستقرة حتى ولى العواصم والثغور الامير سيف الدولة على بن أبى الهيجاء ابن حمدان ، فصمد للغزو ، وأمعن فى بلادهم ، فكانت الحرب بينهم سجالا • الى أن كان من وقعـــة مغـــارة الكحل ٣٤٩ هـ • ومن ظفر الروم بعســـكر سيف الدولة ، ورجوعه الى حلب فى خمسة فرســـان على ما قيل » •

---

(١) الاصطخرى : مسالك الممالك ص ٥٣ •
(٢) ابن العديم : بغية الطلب ورقة ٨ •
(٣) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٧ •

« ... ثم تلا ذلك هجوم الروم على حلب سنة ٣٥١ هـ ، وقتل كل من قد روا عليه من أهلها ، وما كان من عجز سيف الدولة . فترك الشام شاغرا ، ورجع الى ميافارقين . والثغر من الحماة فارغا . فجاءهم نقفور الدمستق ، فحاصر المصيصة ، ففتحها ثم طرسوس ثم سائر الثغور وذلك سنة ٣٥٤ هـ فهى فى أيديهم الى هذه الغاية[١] » .

ولعل من أسباب تدهور الثغور الاسلامية ، اختلاط فرق الجيش الاسلامى ، الذى ضم الخراسانية والفرغانية والسمرقندية وغيرهم . مع انحلال وضعف رابطة الاسلام الجامعة فى نفوس هذا الخليط المتنافر ، وكذلك صراع الطوائف المختلفة على السلطة ، واستسلام الخلفاء العباسيين لاستبداد القادة والمتغلبين عليهم . سواء من الترك أو الفرس أو الديالمة وغيرهم . هذا بينما كان الروم يغيرون على الثغور فيقتلون ويسبون ويأسرون ويحرقون ، دون صاد يصدهم أو رادع يقف فى وجههم . والخلافة فى كل ذلك اسم بلا جسم لا أمر ولا هيبة ولا جيش ولا سلطان .

وقد أفاد ياقوت أن ملك الروم لما استولى سنة ٣٥٤ هـ على الثغور ، اشترط تخريب الجوامع والمساجد . وأن من أراد المقام فى البلد على الذمة وأداء الجزية فعل . وأن تنصر فله الحياة والكرامة وتقر عليه نعمته . قال : فتنصر خلق ، فأقرت نعمة عليهم وأقام نفر يسير على الجزية ، وخرج أكثر الناس يقصدون بلاد الاسلام ، وتفرقوا فيها . وملك نقفور البلد ، فحرق المصاحف وخرب المساجد ، وأخذ من خزائن السلاح ما لم يسمع بمثله قط مما كان جمع من أيام بنى أمية الى هذه الغاية[٢] .

ويلخص رينيه جروسيه Grousset الموقف بين سنتى ٣٥٠ و ٣٥٩ هـ (٩٦٢ — ٩٦٩ م) بين الروم والحمدانيين قائلا :[٣] « وفى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٧ ويقصد ياقوت « بهذه الغاية » انها ظلت بيد الروم حتى أواخر أيامه — أيام ياقوت — التى انتهت بوفاته ٦٢٦ هـ (١٢٢٩ م) .

(٢) ياقوت : المصدر السابق جـ ٦ ص ٣٩ .

(٣) Grousset : Hist. de l'armenie, p. 489 - 490.

عام ٩٦٢م (٣٥٠ — ٣٥١هـ) بدأ نقفور فوكاس ، الذى كان آنئذ مجرد قائد عسكرى ، غزو كيلكيا ، فانتزع من الأمراء الحمدانيين مدينة عين زربة Anezarbe وقلعة سيس Sis ثم عبر ممرات جبال أمانوس Amanoss فى ديسمبر ٩٦٢ م (ذو القعدة ٣٥١ هـ)[1] وانتزع من الحمدانيين — على مشارف سوريا الشمالية — مدن مرعش Maraash ودلوك (دلوص) Duluk ، عينتاب ومنبج ، ومضى ينهب احدى عواصمهم ، وهى مدينة حلب الكبيرة » . ثم يستطرد قائلا : « وعندما أصبح امبراطورا ، أتم فتح كيليكيا باستيلائه على أطنة (٩٦٤ م / ٣٥٣ هـ) ، والمصيصة Mopsuesta [2] فى ١٣ يوليـة ٩٦٥ م (١٠ رجب ٣٥٤ هـ) وطرسوس Tarse فى ١٦ أغسطس ٩٦٥ م (١٤ شعبان ٣٥٤ هـ) ، التى طرد منها الحمدانيون نهائيا . وقد عمر كيليكيا (قاليقلا) ، بعد أخذها من الحمدانيين ، وأسكنها بالمسيحيين من الأرمن . وفى سنة ٩٦٦ (٣٥٥ — ٣٥٦ هـ) قامت كتيبة بيزنطية بمسيرة فى بلاد الحمدانيين ضربت فيها أسوار آمد (ديار بكر) ودارا وتصيبين . وفى عام ٩٦٨ م (٣٥٧ هـ — ٣٥٨ هـ) — أى عقب وفاة سيف الدولة — اجتاح نقفور فوقاس — فى أراضى الحمدانيين — مدينة ميافارقين ، ثم قام بحملة فرسان فى سوريا حتى حمص وطرابلس بينما نهب ابن أخيه بارداس فوقاس بلدة منازكرت فى اقليم الاباهونيك ، وهدم أسوارها (٩٦٨ — ٩٦٩ م / ٣٥٧ — ٣٥٩ هـ) . وبعد رحيل نقفور فوقاس انتزع قائده ميخائيل بورتزيس ، مدينة انطاكية من العرب فى ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م (١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ) ، التى بقيت تابعة لبيزطة حتى عام ١٠٧٨ م (٤٧٠ هـ) بل ونظريا حتى عام ١٠٨٥ م (٤٧٧ — ٤٧٨ هـ) . وهنا أيضا — فى انطاكية — طرد السكان المسلمين من المدينة ، وأسكن محلهم مهاجرين مسيحيين ، منهم جالية أرمنية كبيرة » .

---

(1) Groussèt, R. : Hist. de L'Armenie P. 489 - 490.
وقد وافقنا بين التاريخ الميلادى والتاريخ الهجرى من كتاب التوفيقات الالهامية .

(٢) تكتب بالافرنجية مايسترا Mamistra أو مصيصة Massissa

من ناحية أخرى لم تقنع السلطات البيزنطيــة ، وهى فى أوج انتصــارها ، بطرد المسلمين من الحــدود الغربيــة والجنوبيــة الارمنية ، لكنها ثبتت أقدامها هناك بضم مقاطعة طارون الهامة(١) .

(١) كانت الطارون — كما رأينا سابقا — تابعة لفرع أصغر من فروع الأسرة البجراتية ، أسسه باجرات البجراتونى « أمير الامراء » (٨٣٠ — ٨٥١م/٢١٥ — ٢٣٦هـ) . وكان باجرات (بجارات) البجراتونى قد أسره العرب فى معركة عام ٨٥١ م/٢٣٦ هـ ، وقضى نحبه فى بغداد ، تاركا ثلاثة أبناء هم : أشــوط ، ودافيت اركاييك (أى الملك الصغير) وابنــا ثالثا غير معــروف من المحتمــل أن يكون اســمه تورنك (طرنيق أو ديرينيك Tornik) . وقد وقــع كل من أشوط ودافيت أركاييك فى أسرة القوات العباسية بقيــادة بغا الكبير وأرسلا الى بغداد . ثم اطلق سراحهما عــام ٨٥٨ م ليعودا الى أرمنية . وقد أصبح اشوط (الكبير) منذئذ وحتى عام ٨٧٨ م أميرا على الطارون ثم خلفه دافيت أركاييك (٨٧٨ — ٨٩٥ م) ، ثم ابن أخيــه جورجين بن أشوط (٨٩٥ — ٨٩٧م) ، ثم خضع الطارون لاحمد بن عيسى الشيبانى أمير منطقة آمد (ديار بكر) بعد قتله لجورجين ابن اشوط . ثم حــاول الملك سمبات ملك ارمينية اعادة الطــارون الى الوريث الشرعى « أشــوط بن دافيت أركاييك » لكنــه هزم قرب طوخ Thoukh سنة ٨٩٨م . ثم مات احمد بن عيسى — بعد قليل — عام ٨٩٨م نفســه (٢٨٥هـ) . وبموت أحمــد بن عيسى عادت الطــارون للاسرة البجراتية المحلية ، ليحكمها جريجوريك — بعد أن سجن أشوط بن دافيت من ٨٩٨ — ٩٢٣م تقريبــا . وطلب سمبات تدخــل أمبراطور الروم ليو السادس « الحكيم » لاطلاق سراح الأسير اشوط بن دافيت . وقد حافظ جريجوريكوس على علاقاته الطيبة مع كل من الخــلافة ، والامبراطورية البيزنطية بطريقــة متوازنة الى حد ما . وعندما توفى جريجوريكوس ٩٢٣م تقاسم اقليم الطارون أو تنــازعه ولداه باجرات (بانكراتيوس فى المصادر البيزنطية) وأشــوط من ناحية ، وأبناء أخيه أبو جانم (غانم) فاهان ، سمبات ، وتورنك الذى كان أول من سافر للبــلاط البيزنطى ، حيث حصل على لقب ورتبة بطريق . ولم يغفل باجرات (بانكراتيوس) اهمية توثيق علاقته ببيزنطة كذلك . ويبدو أن بانكراتيوس هذا — كما يؤكد جروسيه — هو المذكور عند العــرب باســم ابن طورنق أو طرنيق Ibn - Tornik حين ذكرت المراجع حمله سيف الدولة سنة ٩٤٠ م أمير حلب على بلد ابن طورنيق ، وانــه دمر مدينــة موش ، وكنيســة مشهورة ، ثم انتزع من أشوط اخى ابن طرنق مدينة سماسون (ســاسون) وكولب (قلب) ، وهذه الحملة هى من الحملات الخاطفــة السريعة . وقد أثبت المؤرخون ولاية باجرات (باكراتيوس من ٩٣٥ — ٩٤٠م) وحكم أخوه أشوط الطارون من ٩٤٠ — ٩٦٦/٩٦٧م ، وهو الذى منحــه رومانوس ليكابينوس لقب « بروتوسباثير» (قائد عسكرى أمبراطورى) وحاكم طــارون الشرعى . وبذلك ثبت النفوذ البيزنطى فى صميم أرمينية الجنوبية راجع :

Groussét : Hist, de L' Armenie P. 491 - 493.

وكان ضم اقليم طارون للامبراطورية البيزنطية حدثا خطيرا فى ذاته فهو أول خطوة نحو زوال استقلال الارمن ، كما أن وجود القوات البيزنطية فى هذه المنطقة ، اعتبر مقدمة لشن حملة صليبية مشتركة ضد القوات الاسلامية الأخيرة الموجودة فى هذه المنطقة(١) .

---

(1) Grousset ; Ibid., P. 494.

الفصل الرابع

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثانى

من القرن الرابع الهجرى

(٣٥٦ ــ ٣٩٤ هـ / ٩٦٦ ــ ١٠٠٣ م)

جهاد المسلمين ضد الروم

خلال النصف الثاني من القرن الرابع الهجري

(أ) خلفاء سيف الدولة وجهودهم في صد الروم :

زالت أكبر عقبـة اسـلامية من طريق الروم في عهـد نقفور فوقاس (٩٦٣ — ٩٦٩ م) في جبهة المواجهـة مع المسلمين ، وبخاصة في مناطق الثغور وذلك بوفاة بطل الجهـاد الاسـلامي سيف الدولة الحمداني سنة ٣٥٦ هـ . ومع ذلك لم تستطيع الروم الافادة من هذة الفرصـة • وذلك بسبب انشغال الامبراطورية آنذاك بالحروب ضد البلغار ، ولما ظهر وقتذاك في جوف الامبراطورية من مشاكل داخلية • وبهذا لم يتيسر للروم الافادة من خلو مسرح المواجهـة من شخصية سيف الدولة ، ومما دب — بعد وفاته — في كيـان الاسرة الحمدانية من تواترات وصراعات في عهـد سـعد الدولة[1] (٣٥٦ — ٣٨١ هـ ٩٦٧ — ٩٩١ م) • ولذلك مرت سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٧ م) هادئة نسبيا ، فيما عدا بعض اغارات سريعة قام بها المسلمون على بعض منـاطق الثغور البيزنطية في الشام[2] •

غير أنه ما أن آذنت سنة ٣٥٧ هـ (٩٦٨ م) بالانتهاء ، حتى كان الامبراطور نقفور فوقاس في وضع يسمح له بتحويل اهتمـامه نحو الجبهة الشرقية (الاسـلامية) ، واضعا في اعتبـاره الأول أخذ حلب والسيطرة على انطاكية سيطرة تامة[3] •

لما علم سعد الدولة (أبو المعالي شريف بن سيف الدولة) بعزم نقفور على التوجه لمهاجمـة المناطق الاسـلامية في بلاد الشـام ، وانه سار فعلا بجيشه ، خرج سعد الدولة من حلب الى بالس • وقد « ترك على حلب قرعوية الحاجب ، أما نقفور فنزل على انطاكيـة ، حيث مكث هناك يوما » ثم رحل في اليوم الثالث الى معرة مصرين فدخلها

---

(١) هو سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة الحمداني .
(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩١ .
(٣) فيصل السامر : المرجع السابق ١٩١/٢ .

وهجر ألفا ومائتين من أهلها الى بلاد الروم[١] . كما فتح الروم — بقيادة نقفور — معرة النعمان وخرب جامعها وأكثر دورها ، وسار الى كفر طاب وشيزر وأحرق جامعها ، ثم توجه الى مدينة حماة ففتحها[٢] . ثم أتجه الى حمص حيث أخذ منها رأس يوحنا المعمدان[٣]

وفى العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٣٥٧ هـ سار الروم الى طرابلس واستولوا عليها ؛ وأسر نقفور حاكمها أبا الحسن أحمد بن نحرير الارغلى من حصن « عرقة » ، الذى أقام فيه بعد أن طرده الطرابلسيون[٤] ، ثم حاصر الروم — بقيادة نقفور — مدينة عرقة تسعة أيام ، تم له فتحها بعدها باقتحام حصنها المنيع ، وأسر جميع من لجأ اليها من البلاد المجاورة ، وأخذ كثيرا من الاموال[٥] .

ثم عاد نقفور فوكاس — بعد هذه الاغارات الناجحة — الى بلدان الساحل الشامى ، وفى موكبه اعداد ضخمة من السبى ، وفتح حصن أنطوسوس[٦] ، وصالح أصحاب اللاذقة ، وخرب الكثير من القرى التى مر بها .

والحق أن المدن الشامية قاست كثيرا من الآلام والمرارة ، من جراء أعمال نقفور فوقاس وقوانه ، حيث صاحب حملاته وغزواته دائما تنكيل وتخريب ، وارتكاب أعمال يندى لها جبين الانسان خجلا[٧] . ثم حاصر نقفور انطاكية لكنه لم يلبث أن فك عنها الحصار عند اقتراب فصل الشتاء ، انتظارا لمقدم فصل الربيع . وقد

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١٥٧/١ ،والأنطاكى : تاريخه ص ١٣١

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٩١/٢ .

(٣) الأنطاكى : تاريخه ص ١٣١ وابن العديم : زبدة الحلب ١٥٧/١

(٤) ابن العديم : المصدر السابق ١٥٨/١ .

(٥) الأنطاكى : نفس المصدر ص ١٣١ .

(٦) وهى ثغر لجند حمص على بحر الروم (البحر المتوسط) ومرقية وحصن جبله وهى قلعة مشهورة من اعمال حلب قرب اللاذقية . راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٤ .

(٧) Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 146.

ترك هنـــاك حاميات صغيرة لمراقبة السـكان ، حتى لا يستعدون له بالســـلاح والذخيرة ، وأمر قواده هنــاك (حــول انطاكيـــة) الا يفتحوها فى غيبته[١] . وقد أقام نقفور فى مواجهـة انطاكية حصن بغراس Bagras [٢] ، على ســفح جبــل اللكام ، ورتب فيهـا جيشـا بقيادة ميخائيل البرجى . وقد استطاع هذا الجيش أن يستولى على انطاكيـــة فى سنة ٣٥٩ هـ ــ كما يذكر ابن الوردى ــ أو فى ١٣ ذى الحجة ٣٥٨ هـ (الموافق ٢٩ أكتوبر ٩٦٩ م) كما يذكر آخرون ، بعد أن ظلت فى يد المسلمين نحو ثلثمائة وثمان وعشرون سنة[٣] .

وقد أورد يحيى بن سعيد الانطاكى[٤] تفاصيل احتــلال الروم لانطـــاكية . فذكر أن بطرس الاسطراطوبدرج وميخـــائيل البرجى حاصرا انطاكية بجيوش ضخمة . وكانت المدينـــة فى حالة متداعية ، بسبب غارات الروم المتلاحقة عليها وعلى أعمالها ، « وضجع أهلهـا فى حراستها ، لانهم ما كانوا يشعرون أنها تتصــد فى ذلك الوقت ، ولم يتمكنوا من جمع رجال يصعدون الى الجبل . ليحفظوا السور ، فرآه الروم خاليا ، فبادروا بالطلوع اليه ، فلم يروا أحدا فيه ... وطرح المسلمون النار لتحول بينهم وبين الروم ، وفتحوا باب البحر وخرج منه جماعة من أهلها ، وأسر الروم جميع من فيهـا ، وأطلقوا من كان بها من النصارى وأقروهم »[٥] .

---

(١) Finlay : Hist., of BYZ. Emp. P. 307.

(٢) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكام . بينها وبين انطاكية أربع فراسخ (١٢ ميلا) فى البلاد المطلة على نواحى طرسوس . راجع ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٦٩٣ .

(٣) راجع ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٤١ (ضمن حوادث ٣٥٩هـ) وانظر أيضـا : فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٢ — ١٩٣ .

(٤) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(٥) ذكر ابن العديم : (زبدة الحلب ١٦٣/١) أن دخــول الروم انطاكية كان ليلة عيد الميلاد . فلما طلع الروم على جبلها جعلوا يأخذون الحارس ، فيقولون له كبر وهلل ، فمن لم يفعــل قتلوه . فكانوا يهللون ويكبرون والناس لا يعلمون ، حتى ملكوا جميع أبراجها (أبرجتها) ، وصاحوا صيحة واحدة ، فمن طلب باب الجنـــان أسر واجتمع جماعة الى باب البحر فبردوا القتل فسلموا وخرجوا . راجع ايضا ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ٧ ص ٣٧ .

وهكذا أمكن للروم السيطرة على معرة النعمان ، ومعرة مصرين وعرقة وطرابلس واللاذقيــة ، ثم أخيرا انطاكيــة . وقد « أسروا وسبوا فى هذه الغزوات — كما قيل — مائة ألف من فتيــان المسلمين وفتياتهم ، وقتلوا الشيوخ والعاجزين[١] » . « كما يذكر ابن العديم أيضا » أن نقفور ملك الروم فتح ثمانية عشر منبرا ، أما القرى فلا يحصى عدد ما أخرب وحرق منها » .

لقد جرى كل ذلك للثغور والسواحل الاســلامية فى بلاد الشام على أيدى الروم ، بينما كان ســعد الدولة مشغولا الى أذنيــه فى صراعه الحــاد مع قرعوية ، الذين هادن الروم . والجــدير بالذكر أن أهل بوقا من النصارى ، الذين انتقلوا الى انطاكية ، قاموا بدور فعال فى مساعدة الروم وتسهيل مهمتهم فى اقتحام المدينة[٢] .

وكان نقفور يعتبر الاســتيلاء على انطــاكية أمنيــة غاليــة وحلما جميلا كبيرا ، باعتبارها قلب ســورية . وها قد تحقق الحلم الكبير ، واستولى النصــارى على « انطاكية العظيمــة »[٣] — كما سماها جستنيان قبل ذلك (٥٢٧ — ٥٦٥ م) — « والمنافسة القديمة لبيزنطة فى الشرق ، ومدينة البطارقة العظــام والقديسين المبجلين . ومركز الهرطقات »[٤] . ولكن على الرغم من فرحة نقفور باحتــلال انطاكية ، وأخــذها من المسلمين بواســطة قائده ميخائيــل البرجى (برتزيبس) ، الا أنه حقد على هذا القائد بسبب الحريق الذى أحدثه بالمدينة[٥] .

أصبحت حلب — بعد سقوط انطاكية ٣٥٨ هـ — هى الهدف المباشر والرئيسى لحمــلات نقفور فوقاس . أما عن سعد الدولة ، فانه لمــا علم بدخول الروم أنطاكية هجر عاصمته . وانتقل الى مدينة حمص ،

---

(١) ابن العديم : المصدر نفسه ١٥٩/١ — ١٦٣ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ١٥٩/١ ، ١٦٢ وفيصل السامر : الدولة الحمدانية ١٩٢ — ١٩٤ .

(٣) Vesiliev : Hist. Byz. EMP., P. 308 - 309.

(٤) Sshlumbgrer : Nicephore Phocas, P. 723.

(٥) الأنطاكى : تاريخه ص ١٣٥ .

تاركا حلب وشئونها ليتصرف فيها قرعوية ذى النوايا السيئة • وسار القائد البيزنطى تجاه حلب[1] • وقد تحصن أهل حلب فى القلعة لمدة سبعة وعشرين يوما • ترددت خلالها المراسلات والمفاوضات بين الجانبين ، الى أن تقرر الامر على عقد هدنة ومال يحمل فى السنة الى ملك الروم [2] •

ومما لا شك فيه أن استيلاء الروم على مدينة حلب ، أواخر أيام نقفور (أواخر ٣٥٩/٩٦٩ م) • يعد انتصارا كبيرا أحرزه الروم على المسلمين • وقد عقدت الهدنة — قبيل مقتل نقفور فى نهاية ٩٦٩ م (صفر ٣٥٩ هـ) • بين الروم وقرغوية ، وكانت شروطها مهينة بالنسبة للمسلمين ، حيث جاء فيها[3] •

١ — يتعهد المسلمون (الحمدانيون) بدفع جزية سنوية للروم ، بواقع ست دراهم عن كل فرد فى حمص ، وجوشية ، وسلمية ، وحماة ، وشيزر ، وكفر طاب ، وأفاميتة ، ومعرة النعمان ، وحلب ، وجبل السماق ، ومعرة مصرين ، وقنسرين ، والأثارب وغيرها من الحصون والقلاع •

٢ — يصير قرعويه أميرا على المسلمين (فى الشام) ، ثم يخلفه بكجسور ، وبعده ينصب ملك الروم أميرا يختاره من سكان حلب • وليس للمسلمين من سكان حلب أن يختاروا أميرا بأنفسهم •

٣ — لا يؤخذ من نصرانى جزية فى هذه المدن ، الا اذا كان له بها مسكن أو ضيعة •

---

(١) القائد البيزنطى هو نطرس الاسطراطبدرج • ويسميه الانطاكى الاسطر الجويدرج ، وربما يقصد الاستراتيجوس (الحاكم العسكرى) ، اما ابن العديم فيسميه الطربازى • راجع : الانطاكى : تاريخه ص ١٣٤ وابن العديم : زبدة الحلب ١/١٦٣ و Vasiliev : Ibid., P. 309.

(٢) الانطاكى : المصدر السابق ص ١٣٤ •

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٤١ وابن العديم : نفس المصدر ١/١٦٤ — ١٦٥ •

٤ — على قرعويه أن يصد أى جيش اسلامى يريد غزو الروم • فان عجز فعليه أن يخبر الروم بذلك • وعلى بكجور أن يستقبل جيوش الروم الغازية ، ويشيعها عند رحيلها ، ويسهل لها الحصول على الاقوات والميرة •

٥ — على قرعويه أن يساعد الروم على غزوهم لبلاد غير اسلامية

٦ — ليس للمسلمين أن يعترضوا على من يدخل النصرانية منهم ، وليس للروم أن يعترضوا على من يدخل الاسلام منهم •

٧ — اذا هرب عبد مسلم أو نصرانى ذكرا أو أنثى ، فعلى المسلمين رده أو اعطاء صاحبه ثمنه •

٨ — على المسلمين أن يقوموا بتسليم المجرمين الهاربين من الروم الى قائد الجيوش البيزنطية •

٩ — للروم الحق فى اعتقال أى جاسوس مسلم يدخل حدود بلادهم •

١٠— ليس للمسلمين الحق فى هدم الحصون ، أو بناء حصون جديدة • وللروم أن يعمروا الكنائس المخربة ، وعلى المسلمين تكريم البطارقة (كبار قادة الروم) والاساقفة الذين يفدون عليها •

١١— يقدر الروم العشر الذى يؤخذ عن تجارتهم ، وبخاصة الذهب والفضة والديباج الرومى والاحجار الكريمة والسندس وعلى قرعويه وبكجور أن يقوما بالمحافظة على القوافل التجارية البيزنطية ، وتقديم الادلاء لارشادها فى الطريق • فاذا تعرض لها قطاع الطرق وجب عليهما أن يقوما بتعويض ما نجم •

وقد شهد على هذا الصلح جماعة من الشيوخ مع قرعويه وبكجور وسلم الى الروم رهائن من وجوه أهل حلب ، وكان الوسيط فى هذه المفاوضات طاهر الهاشمى(١) •

ويورد الانطاكى عن هذا الصلح ما يلى(٢) « •• تقرر الامر على

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ١٦٩/١ •

(٢) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٤

صلح وهدنة مؤبدة ، ومال يحمل فى كل سنة الى ملك الروم عن حلب وحمص وجميع أعمالها ، من المدن والقرى ، وهو ثلاثة قناطير ذهب عن حق الارض ، وسبعة قناطير ذهب عن خراج هذه الاعمـال • وعن كل رجل حالم دينار واحد فى السنة سوى ذوى العاهات • وان يكون للملك الروم صاحب مقيم بحلب ويستخرج أعشار الامتعة الواردة من البلاد !! » •

أن المتأمل فى هذا الصلح يجده على جانب كبير من الأهمية • فهو يعتبر وثيقة قيمة ترسم صورة واضحة لحالة العلاقات الاسلامية — البيزنطية •• عسكريا ، وتجاريا ، واجتماعيا ، ودينيا وقتذاك • كما نستدل منه على رواج حركة التجارة والبضائع المستوردة والصادرة وعلى حالة العبيد وطريقة معاملاتهم • ويتضح منه كذلك كثرة عدد الكنائس وتنظيماتها الاكليريكية فى هذه المناطق التى شملها الصلح •

والحق أن المسلمين لم يتعرضوا فى حروبهم ضد الروم لمثل هذه الهزائم • فقد أخذت منهم قاليقلا وجزء من سورية • الا أن الوضع لم يستقر لنقفور طويلا ، اذ قتل[1] بيد زوجته الجميلة ثيوفانو وقريبة يوحنا زيمسكيس (الشمشقيق) Jean Tzmisces الذى اشترك معها فى مؤامرة اغتيال نقفور ، ثم تولى هو نفسه عرش الامبراطورية [2] •

---

(١) قتل نقفور فوكاس — عقب توقيع هذه المعاهدة — فى ١٠/١١ ديسمبر ٩٦٩ م • راجع الهامى : التوفيقات الالهامية ص ١٨٣ حوادث ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) •

(٢) Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 146.

اورد ابن الوردى (تتمة المختصر ١/٤٤١ — ٤٤٢ و ٤٥٢) ذكر مقتل نقفور ملك الروم ساردا قتله وسببه فقال : (ضمن حوادث ٣٥٩هـ) « • • وفيها (٣٥٩هـ) طمع نقفور ملك الروم فى ملك جميع الشام ، ولم يكن من بيت المملكة ، وانما قتل الملك الذى قبله وتزوج امراته بفانو (ثيوفانو) ، واراد ان يخص اولادها من بيت المال ، ليقطع نسلهم ، ويبقى الملك فى نسله . فاتفقت امهم مع الدمستق وادلته فى جماعة على زى النساء الى كنيسة متصلة بدار نقفور . ونام نقفور فدخلوا عليه ، وقتلوا نقفور واراح الله المسلمين منه . واقام الدمستق احد الأولاد المذكورين ملكا . قلت : وهو بسيل بن ارمانوس ، والمعتمد فى هذه الترجمة ان يفانو الملكة زوجة ارمانوس

ويذكر المؤرخ ليو الشماس — وهو معاصر للأحداث[1] — : « أن نقفور لو لم يقتل لامكنه مد حدود امبراطورية الروم فى الشرق حتى الهند ، وفى الغرب حتى نهاية العالم ، أو بعبارة أخرى حتى المحيط الاطلسى » . ومما لا شك فيه أن كلام هذا المؤرخ فيه الكثير من المبالغة والتحمس المنطلق من التعصب لبنى جلدته ودينه . لأن مشاريع نقفور فوكاس فى الغرب أخفقت جميعها .

أما يحيى بن سعيد الانطاكى — وهو معاصر كذلك للأحداث — فقد ختم كلامه عن أعمال نقفور فوكاس بقوله :[2] « ولم يشك أحد فى أن نقفور الملك يفتح جميع الشامات (البلاد الشامية) ، وديار مصر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، وتحصل فى يديه ، وذلك أنه بنى أمره على قصد سواد المدن والقرى التىيمر بها فيغزوها ، ويحرقها ويسبى أهلها ومواشيها ، واذا بلغ وقت الحصاد للزرع خرج وأحرق جميع الغلات ، وترك أهل المدن يموتون جوعا . وكان لا يزال يفعل ذلك بهم سنة بعد سنة ، الى أن تدعيهم (وضغطتها تدعوهم) الضرورة الى تسليم المدن اليه حتى كانت غزواته قد صارت كالنزهة له ، ولأصحابه ، وكان يقصد حيثيشاء ، ويخرب من غير أن يلقاه أحد من المسلمين يدافعه عما يريد » .

والحق أن الفتن والمنازعات التى وقعت فى الدولة الاسلامية وقتذاك — النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى — كانت هى الفرصة الثمينة التى مكنت للروم أمر الاستيلاء على ما أخذوه من البلاد الاسلامية . وليس أدل على ذلك من اشارة أوردها ابن الاثير[3] أنه حين استولى الروم على ملازكرد عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م)

قتلت ارمانوس ، وتزوجت نقفور الملك ، ثم قتلته وتزوجت يانيس بن الشمشقيق (يوحنا زيمسكيس) ، وولته الملك ثم خافته على ولديها بسيل وقسطنطين ابنى أرمانوس فجهزت اليه وهو بالشام سما فقتلته قبل عودته الى الروم وكان ذلك فى بداية عام ٩٧٧ م (٣٦٦ هـ) وولت ابنها بسيل ، وملك بعده على الروم أخوه قسطنطين وكان زمنا لأن دبا وثبت عليه فأزمنه .

(١) عن فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٧

(٢) الانطاكى : تاريخه ص ١٣٥

(٣) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٥

— وهو حدث معاصر لاخذهم انطاكية « — عظمت شــوكتهم ، وخافهم المسلمون فى أقطار البــلاد ، وصــارت (أى البلاد) كلها ســايبة (أى لا حامى لها ولا مدافع عنها) لا تمنع عليهم ، يقصــدون أيهــا شاءوا » • كما يشير ابن الاثير أيضــا ، ويــؤيده ابن كثير[1] ، الى أطماع نقفور فوقاس فى بلاد الاسلام بقوله : « أنه — أى نقفور — جعل همته قصد بلاد الشــام ، والاستيلاء عليها • وتم له ما أراد ، باشتغال ملوك الاسلام بعضهم ببعض ، فدوخ (أى نقفور) البلاد وكان قد بنى أمره على أن يقصــد ســواد البلاد فينهبه ويخربه ، فيضعف البــلاد فيملكها • وغلب على الثغور الجزرية والشــامية ، وسبى وأسر ما يخرج عن الحق ، وهابه المسلمون هيبــة عظيمة ولم يشكوا فى (أى توقعوا) أنه يملك جميع الشام ومصر والجزيرة وديار بكر لخلو الجميع من مانع •

كانت حلب وقتذاك يحكمها سعد الدولة بن سيف الدولة (٣٥٦ — ٣٨١ هـ) ولم يكن سعد الدولة كأبيه عقلا وتدبيرا • فعصى عليه جند حلب سنة ٣٥٧ هـ ، فنازلها وبقى القتال عليها مدة ، واستولى الرعيلى على انطاكية ، وجاءت الروم ، فنزلوا عليها وأخذوها ، وهرب الرعيلى من باب البحر هو وخمسة آلاف انسان ناجين بأنفسم من الروم • فأسر هؤلاء أهل انطاكيــة ، وقتلوا أناســا من أكابرهم • وقال عظيم الروم لما ضيقوا عليه : « ارحل واخرب الشــام كله وأعود اليكم من الساحل ورحل فى اليوم الثالث ، ونزل معرة مصرين فأخــذها ، وغدر بهم ، وأسر منهم أربعة آلاف ومائتى نسمة ثم ســار الى عرقة فافتتحها • ثم ســار الى طرابلس فأخذ ربضها ، وأقام فى الشــام أكثر من شهر ورجع ، فأرضــاه أهل انطــاكية بمال عظيم ، وأحرق حمص ، وقد أخــلاها أهلها ، وملك ثمانيــة منبرا ، وعــاد الى بلاده بالاسرى والاموال[2] •

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٤٤٧ وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٤٤ • وقد أوردنا القصــيدة المسماة « القصيدة الارمنية » ، المنســوبة الى نقفور فوكاس ، حيث يتبين منها نيتــه تجــاه الشعوب الاسلامية •

(٢) محمد كرد على : خطط الشام جـ ١ ص ٢٠١ •

قال يحيى بن سعيد الانطاكى » أن نقفور فوكاس لما توجه الى الشـام ، خافه سعد الدولة فخرج عن حلب الى بالس ، واستخلف فيها قرعويه الحاجب ، ونزل الملك (نقفور) على انطاكية وأقام يومين ورحل فى اليوم الثـالث ، ونزل على معرة مصرين ، وأمن أهلها من القتل ، وكانت عدتهم ألفا ومائتى نفس ، وسيرهم الى بلد الروم ، وفتح معرة النعمـان وحماه وحمص • وأخـذ منها رأس القـديس يوحنا المعمدان ، ونزل على طرابلس ، وأحرق ربضها ، وحاصر مدينة عرقة تسعة أيام ، وكان لها حصن منيع ففتحه بالسيف ، وأخـذ منها خلقا كثيرا كانوا التجأوا اليه من الاقاليم المجـاورة ، وأخذ منه مالا كثيرا ، وكان فى الحصن أمير طرابلس أحمد بن نحرير الارغلى ••• وفتح حصن انطرطوس ومرقية وحصن جبلة ، وصـالح أصـحاب اللاذقية عليها ، وخرب كثيرا من القرى ، وعبر بانطاكية ، وميز السبى الذى معه ، وأعتق عليها من الشيوخ والعجائز زهاء ألف نفس ، وبنى حصن بغراس مقابل انطاكية فى فم الدرب ، ورتب فيه رئيسـا يقال له ميخائيل البرجى ورسم لسـائر أصحاب الاطراف طاعته ، ورتب معه ألف رجل ورجل الى القسطنطينية ••[1] » •

ومما يدل على مدى غلظـة وفظـاعة نقفور ووحشيته فى بلاد الاسلام ، ذلك الوصف الذى أورده ابن كثير مصحوبا « بالقصـيدة الارمنية » من نظم بعض كتـاب نقفور — ممن يعرفون العربيـة — والتى أرسلها نقفور فوكاس للخليفة العباسى « المطيع لله[2] (٣٣٤ — ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ — ٩٧٤ م) • حيث يقـول ابن كثـير : « كان هـذا الملعون — يقصـد نقفور — من أغلظ القلوب ، وأشـدهم كفرا ، وأقواهم بأسـا ، وأحدهم شـوكة ، وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين فى زمانه • استحوذ فى أيامه — لعنه الله — على كثير من السـواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قسرا ، واستمرت فى يده قهرا ،

---

(١) الانطاكى : تاريخـه ، ومحمد كرد على : خطط الشـام ١/ ٢٠١ — ٢٠٢

(٢) هو أبو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر بالله بن المعتضد العباسى

وأضيفت الى مملكة الروم قدرا »[1] .

ولا يفوت ابن كثير أن يورد السبب الذى مكن نقفور من رقاب المسلمين وبلادهم آنذاك فيقول : « ... وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وفشو (انتشار — أو شيوع) البدع فيهم ، وكثرة الرفض ، والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم (تغلب عليهم) أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد مع الخوف الشديد ، ونكد العيش ، والفرار من بلاد الى بلاد ، فلا يبيتون ليلة الا فى خوف من قوارع الاعداء ، وطوارق الشرور (أى النوازل) المترادفة (أى المتتالية) ..... وقد كان — لعنه الله — لا يدخل فى بلد الا قتل المقاتلة ، وبقية الرجال ، وسبى النساء والاطفال ، وجعل جامعها اصطبلا لخيوله ، وكسر منبرها ، واستنكث مأذنتها بخيله ورجله وطبوله[2] .

وقد أرسل قصيدة الى الخليفة المطيع لله العباسى ، نظمها له بعض كتابه — ممن كان قد خذله الله وأذله — هذا نصها :

من الملك الطهر المسيحى مالك	الى خلف الأملاك من آل هاشم
الى الملك الفضل المطيع أخى العلا	ومن يرتجى للمعضلات العظائم
أما سمعت أذناك ما أنا صانع	ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم
فان تك عما تقلدت نائما	فانى عما همنى غير نائم
ثغوركم لم يبق فيها لو هنكم	وضعفكم الا رسوم المعالم
فتحنا الثغور الأرمينية كلها	بفتيان صدق كالليوث الضراغم
ونحن صلبنا الخيل تملك لجمها	وتبلغ منها قضمها للشكائم
الى كل ثغر بالجزيرة آهل	الى جند قنسرينكم فالعواصم
ملطية مع سميساط من بعد كركر	وفى البحر أضعاف الفتوح التواخم
وبالحدث الحمراء جالت عساكرى	وكيسوم بعد الجعفرى للمعالم

---

(١) راجع ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٢٣٤ — ٢٤٦
(٢) ابن كثير : المصدر السابق جـ ١١ ص ٢٤٥ — ٢٤٦

وكم قد ذللنا من أعـزة أهلها ... فصاروا لنا من بين عبد وخادم
وسد سروج اذ ضربنا بجمعنـا ... لنـا رتبـة تعلو على كل قائم
وأهل الرها لاذوا بنـا تحزبوا ... بمنديل مولى علا عن وصف آدمى
وصبح رأس العين منـا بطارق ... بيبيض غزوناها بضرب الجماجم
ودارا وميـافارقين وأرزنـا ... اذقناهم بالخيل طعـم العلاقم
واقريطش قد جازت اليها مراكبى ... على ظهـر بحر مزبـد متلاطم
فحزتهم أسرى وسيقت نساؤهم ... ذوات الشعور المسبلات النواعم
هناك فتحنـا عين زربة عنـوة ... نعم وأبـدنا كل طاغ وظالـم
الى حلبّ حتى استبحنا حريمها ... وهـدم منها سـورها كل هادم
أخذنا النسا ثم البنات نسوقهم ... وصبيانهم مثل المماليك خـادم
وقد فرعنها سيف دولة دينـكم ... وناصركم منا على رغـم راغم
وملنا على طرسوس ميلة حازم ... اذ لمن فيهـا احـز العلاقـم
فكـم ذات عـز حـرة علوية ... منعمة الاطراف ريا المعاصـم
سبينا فسقنا خاضعات حواسرا ... بغير مهور ، لا ولا حكم حاكم
وكم من قتيل قد تركنا مجندلا ... يصب دما بين اللهـا واللهازم
وكم وقفة فى الدرب أفنت كماتكم ... وسقناهم قسرا كسوق البهائـم
وملنـا على أرياحكم وحريمهـا ... مدوخة تحت العجاج السـواهم
فأهوت أعاليها وبـدل رسـمها ... من الأنس وحشا بعد بعض نواعم
اذا صاح فيها البوم جاوبه الصدى ... واتبعه فى الـريح نوح الحمـائم
وانطـاك لم تبعـد على واننى ... سأفتحها يـوما بهتك المحـارم
ومسكن آبـائى دمشـق فاننى ... سأرجع فيها ملكنا تحت خاتمى
ومصر سأفتحها بسيفى عنـوة ... وآخـذ أموالا بهـا وبهـائمى
وأجـزى كافـورا بما يستحقه ... بمشط ومقراض وقص محاجـم
الا شمروا ياأهل حمدان شمروا ... أتتكم جيوش الروم مثل الغمائم
فان تهربوا تنجوا كراما وتسلموا ... من الملك الصادى بقتل المسالم
كـذاك نصيبين وموصـلها الى ... جـزيرة آبائى وملك الاقـادم

سأفتتح سامرا وتوثا وعكبرا ... وتكريتها مع ماردين العواصم
واقتل أهليها الرجال بأسرها ... واغنم أموالا بها وحرائم
ألا شمروا يا أهل بغداد ويلكم ... فكلكم مستضعف غير رائم
رضيتم بحكم الديلمى ورفضه ... فصرتم عبيدا للعبيد الديالم
وياقاطعى الرملات ويلكم ارجعوا ... الى أرض صنعا راعيين البهائم
وعودوا الى أرض الحجاز أذلة ... وخلو بلاد الروم أهل المكارم
سألقى جيوشا نحو بغداد سائرا ... الى باب طاق حيث دار القماقم
وأحرق اعلاها وأهدم سورها ... واسبى ذراريها على رغم راغم
واحرز أموالا بها وأسرة ... واقتل من فيها بسيف النقائم
واسرى بجيشى نحو الاهواز مسرعا ... لاحراز ديباج وخز الواسم
وأشعلها نهبا واهدم قصورها ... واسبى ذراريها كفعل الاقادم
ومنها الى شيراز والرى فاعلموا ... خراسان قصرى والجيوش بحارم
الى شاس وبلخ بعدها وأخواتها ... وفرغانه مع مروها والمخازم
وسابور أهدمها وأهدم حصونها ... واوردها يوما كيوم السمائم
وكرمان لا أنس سجستان كلها ... وكابلها النائى وملك الاعاجم
أسير بجندى نحو بصرتها التى ... لها بحر عجاج رائع متلازم
الى واسط وسط العراق وكوفة ... كما كان يوما جندنا ذو العزائم
وأخرج منها نحو مكة مسرعا ... أجر جيوشا كالليالى السواجم
فاملكها دهرا عزيزا مسلما ... أقيم بها للحق كرسى عالم
واحوى نجدا كلها وتهامها ... وسوا واتهام مذحج ومخاطم
وأغزو يمانا كلها وزبيدها ... وصنعاءها مع صعدة والتهائم
فاتركها أيضا خرابا بلاقعا ... خلاء من الاهلين أهل نعائم
واحوى أموال اليمانية كلها ... وما جمع القرماط يوم محارم
أعود الى القدس التى شرفت بها ... بعز مكين ثابت الاصل قائم
واعلو سريرى للسجود معظما •• ... وتبقى ملوك الأرض مثل الخوادم
هنالك تخلو الارض من كل مسلم ... لكل نقى الدين أغلف زاعم

نصرنا عليكم حين جارت ولاتكم ... واعلنتموا بالمنكرات العظائم
قضاتكم باعوا القضاء بدينهم ... كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم
عدو لكم بالزور يشهد ظاهرا ... وبالافك والبراطيل مع كل قائم
سأفتح أرض الله شرقا ومغربا ... وانشر دينا للصليب بصارمى
فعيسى علا فوق السموات عرشه ... يفوز الذى والاه يوم التخاصم
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى ... فصار رفاتا بين تلك الرمائم
تناولتم أصحابه بعد موته ... بسب وقذف وانتهاك المحارم

كما يذكر الانطاكى[1] « أن المسلمين أيقنوا أن « نقفور فوكاس » سوف يستولى على كل بلاد الشام وسائر الاقاليم • اذ أصبحت اغاراته متعة لعساكره ، خاصة وانهم لم يكونوا يواجهون مقاومة أو هجوما مضادا • بل كانوا يسيرون أينما شاءوا ، فيدمرون ويخربون ما يريدون ويشتهون ، دون أن يلتقيهم أو يواجههم أحد المسلمين ، يحول بينهم وبين بغيتهم « • وذلك لما انتاب العالم الاسلامى وقتذاك — القرن الرابع — من تفكك ، وتنازع على السلطات ، وعلى امامة المسلمين ، فضلا عن المنازعات الداخلية فى كل قطر أو اقليم •

لذلك كانت النتيجة الطبيعية لمثل تلك الاوضاع المتردية ، التى عاشها العالم الاسلامى وقتذاك ، ان انساح نقفور بقواته فى بلاد الاسلام ، دون أن يجد من يردعه • أما المؤرخ اليونانى (البيزنطى) ليو الشماس — وكان معاصرا لأحداث القرن الرابع الهجرى فى نصفه الاخير — فقال — بزهو — عن نقفور انه لو لم يلق مصرعه لاستطاع أن يمد أطراف دولتهم (البيزنطية) الى الهند شرقا ، والى تخوم الأرض غربا أى الى المحيط الأطلسى[2] • وهو ما عقبنا عليه سابقا •

فلما تسلم يوحنا يزمسكيس عرش الامبراطورية البيزنطية —

---

(١) الانطاكى : تاريخه (صله اوتيجا) منشور فى مجلة Patrologia Or. 8, 825 - 826. وراجع ابن كثير : البداية والنهاية ٢٤٣/١١ — ٣٤٤ والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٢٦ •

(٢) عن العرينى راجع : Schlumberger, L' Epopee, P. 224.

خلفا لنفقـــور فوكاس — (٩٦٩ — ٩٧٦ م / ٣٥٩ — ٣٦٦ هـ) والى سياسة الفتح فى كيليكيا (قلقية) وسورية • لكنه فى السنوات الاولى من حكمه ، لم يشارك فى الحـــرب بنفسه فى الجبهـــة الشرقية ضـــد المسلمين • وذلك بسبب انشغاله بحـــرب الروس والبلغـــار وثـــورة « باراداس فوكاس » Barades Phocas • وقد وفق يوحنا زيمسكيس فى مواجهة الروس والبلغار ، واخماد ثرة باراداس فوكاس ، كما تغلب على المشاكل التى واجهت الامبراطورية البيزنطية فى ايطاليا ، بمصاهرة وارث التاج الالمانى اوتو الثانى Otto II امبراطور المستقبل ، مما أتاح له فرصة التفرغ للجبهة الاسلامية فى بلاد الشام[1] •

كانت أولى الحملات التى شـــنها الـــروم على مناطق الثغـــور الاسلامية فى عهد زيمسكيس ، بقيادة القائد مليـــاس (مليح الأرمنى عند العرب) فى سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) • فقصد الى اقليم الجزيرة ، حيث أغار على مدينة الرها (أديسا Edessa) ، وبلغ نصيبين فملكها وأحرقها وسبى من المسلمين ، وفعل مثل ذلك فى ديار بكـــر • ولـــم يستطع أبو تغلب الحمـــدانى أن يحرك ســـاكنا لصـــد هذه الحملة البيزنطية[2] • بل أنه — أى أبى تغلب — دفع للقائد البيزنطى مبلغا من المال مقابل الكف عن عدوانه ، ولاطفه ، وهـــاداه ، ومازاه (أى قدم له الميره ومالأه) وقاد اليه الخيل العتاق ، ومما هو عون للكفـــر على الايمان ، وكان فيما اتحفه به الخمر الذى حظر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وصليبان ذهب صاغها له وتقرب بها اليه[3] •

(ب) موقف الخلافة العباسية من هذه الأحداث :

أحدثت هذه التطورات على جبهـــة الشـــام رد فعـــل غاضب وعنيف بين جماهير المسلمين فى بغداد — عاصمة الخلافة العباســـية — التى سارت فى تظاهرات أمام دار الخلافة ، واتهمت الخليفـــة المطيع

---

(1) Vasiliev : Hist., of Byz. Emp. P. 310. and Camb. Med. Hist. Vol., 4, P. 174.

(2) Camb. Med. Hist., Vol., 4, P. 147.

(3) الصابى : رسائل الصابى ج ١ ص ٨٩ •

لله بن المقتـــدر (٣٣٤ ـــ ٣٦٣ هـ / ٩٤٦ ـــ ٩٧٤ م) بالعجـــز عن مناجزة الروم ومناهضتهم ، فوعد بشن الغارة عليهـــم . وكتب بذلك الى أبى تغلب الحمدانى يأمره باعداد العـــدة لذلك الغرض[1] . وفى ذلك يذكر ابن مسكوية[2] : ... أن الكتب وردت عليه (أى على الخليفة المطيع لله) بأن الروم غزوا نصيبين فملكوها ، وأحـــرقوها ، وقتلـــوا الرجال ، وسبوا الذرارى ، ثم ورد خلق من ديار ربيعة وديار بكـــر ومدينة السلام (بغداد) ، واستنفروا المسلمين فى المساجد الجامعـــة ، والأسواق ، وحكوا انفتاح الطريق للروم ، وانه لا مانع لهم من تورد ديارهم ، وهى متصلة بالعراق . فلما تجمع معهم خلق من أهل بغداد ، ساروا الى دار المطيع لله ، وحاولوا الهجوم عليها ، وقلعوا البعض من شبابيكها ، فأغلقت الأبواب دونهم ، بعـــد أن كادوا يصـــلون اليـــه ويأتون عليـــه ، فاسمعوه ماكره ، ونسبوه الى العجز . عمـــا أوجب الله على الأئمة ، وتجاوزوا ذلك الى ما يقبح ذكره » ، وقد أيده فى ذكر هذه الحادثة ووصفها أيضا ابن الأثير ...[3] .

على أن موقف المسلمين تحسن قليلا ، بفضل ما احـــرزه هبة الله ابن ناصر الدولة الحمدانى من نصر على الروم فى ميافارقين ، آخر شهر رمضان ٣٦٢ هـ وأسره للدمستق (القائد) الذى حبسه أبو تغلب الحمدانى . فساءت حالة الدمستق فى الأسر ، ولـــم يلبث أن مات فى ٤ يوليو ٩٧٣ م (٣٦٣ هـ)[4] . « وكانت عدة الدمستق عظيمة كثيفة ، لكنه انحصر فى مضيق لا تجول فيـــه العساكر ، وكان الدمستق فى أول عسكره على غير أهبة تامة ، فانهزم الروم ، وأخذ الدمستق أسيرا . وتمكن المسلمون منهم ، وأعز الله دينه ، وكثر القتل والأسر فى الروم ، حتى أرسلت الكثير من رؤوس وأيدى قتلاهم لبغداد لتشهر هناك » ، ولترفع من معنويات عامة المسلمين ... ، بعد أن اثر فيهم ما وقع قبل

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر ٤٤٣/١ ـــ ٤٤٤ .
(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣٠٣ ـــ ٣٠٤ .
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٤٤ .
(٤) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٤٤٥ .

ذلك على يد مليح الأرمنى فى نصيبين والرها وديار بكر سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م)[1] .

ومن ناحية أخرى ، حاول الخليفة الفاطمى — حاكم مصر وجنوب بلاد الشام — استعادة مدينة انطاكية فى سنة ٣٦١ هـ[2] . لكن اغارات القرامطة على القوات الفاطمية ، اضطرته الى فك الحصار عن المدينة ، فأرسل الروم اليها ميخائيل البرجى حاكما ، فأعاد بناء ســور المدينة (انطاكية) الذى تهدم[3] .

وعلى الرغم من انشغال زيمسكيس بحروبه ضد الروس والبلغار ، التى لم يفرغ منها نهائيا حتى ٩٧٤ م (٣٦٣هـ) فانه سار فى هذا العام (٩٧٤ م) على رأس حملة الى الجبهة الشرقية (الاســلامية) لتأمين الحدود مع ارمينية ، وتدعيم النفوذ البيزنطى هناك . حيث عقد حلفا مع حكامها ، ومر فى طريقه بآمد وميافارقين ونصيبين[4] .

وقد تميزت حملة زميسكيس هذه بالرسالة التى كتبها الى حليفه الأرمنى الملك اشو الثالث ملك أرمينية البجراطى . وهــذه الرســالة تعتبر وثيقة هامة ، نستدل منها على أن خطة زيمسكيس كانت تهــدف الى السيطرة — كسلفه نقفور فوكاس — على بيت المقدس وأخــذه من المسلمين ، بحرب صليبية يشنها على العالم الاسلامى .

على أن يوحنا زيمسكيس — قبل أن يهبط الى اقليــم الجــزيرة — عبــر نهر الفرات ، وتــوغل فى اقليــم طارون (دارون) Daron بأرمينية ، المتاخم للشاطىء المغربى لبحيرة Van حيث أقام معسكره

---

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ٨ ص ٢٤٧ والعرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٧٤ ، ٤٧٩ .

(٢) ابن مسكوية : تجارب الأمم جـ ٢ ص ٣١٢ .

(٣) Camb. Med., Hist., Vol., 4, P. 147.

Schlumberger : L'Epopee, P. 244 - 245.

(٤) فيصل السامر : الدولة الحمدانية جـ ٢ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

أمام حصن أتزيابرد Atzia berd المعــروف بقلعــة المعيز — وقد أخبرنا جروسيه Grousset — نقلا عن ماثيــو الادسى — أن حملة زيمسكيس العسكرية على الحدود الارمينية ، كانت قد سبقتها فتــرة من التوتر بين الامراء الارمن والامبراطورية البيزنطية . فلما تواتــر خبر حملة زيمسكيس ووجهتها ، تجمع الأمراء الأرمن حول مليكهم أشوط الثالث البجراطى ، وهم يتخوفون مما ستسفر عنه الأحداث المقبلة . وكان ممن حضر هذا التجمع بقواته : الابن الثالث لاشو الثالث وهــو الامير جورجين أمير جوجارك ، وعباس (اباز) Abas بن موشــيل ملك قارص Kars نيــابة عن والــده ، والامير فيليب السـيونى سيد كابان Kapan باقليم ملك (شوشه) بسيونيا الشرقية وعدد كبير من زعماء ارمينية وامرائها . وكلهم قد جمعهم شعور الكراهية ضــد النفوذ البيزنطية[١] .

وكان المكان الذى تجمع فيه الارمن بقواتهم هو منطقــة هارك (الهرق . Hark الهرك) بين ملازكردوزرناك Zarnak ، وهو موقع ملائم للدفاع عن اقليم الفاسبوراكان وأرمنية البجراطيــة ، ضد أية قوات بيزنطيــة ، يمكن أن تقدم من ناحيــه اقليم طارون . وقد بلغ مجموع الحشــد الارمينى نحو ثمانين ألف مقــاتل . وبمعنى آخر — كما يذكر جروسيه — «كانت كل الأمة الأرمينية مجتمعة تحت السلاح فى مكان واحد»[٢] .

فلما علم يوحنــا زيمسكيس بتجمعــات الأرمن ، واسـتعدادهم للمقاومة ضد التدخل ، لم يستمر فى خطته ، ايثارا منه لكسب ود الارمن ومناصرتهم له ، فى جهوده المقبلة ضد عالم الاسلام . فتودد للأمراء الأرمن ، وخلع عليهم الالقاب ، ومنحهم الرتب . وقد نجحت المساعى لمبعوثيه فى عقد معاهدة ســلام وتحالف أرمينى — بيزنطى ليتفرغ للجبهة مع المسلمين[٣] .

---

(١) Grouset : Hist. de L'Armenie, P. 495.

(٢) Grouset : Ibid., P. 496.

(٣) Grousset : Ibid., P. 496.

وعلى الرغم من معاهدة السلام والتحالف الأرمينية — البيزنطية التى عقدت ، الا أن مخاوف الروم من وقوع صدام بينهم وبين الارمن ، ظلت مسيطرة على تحركات وتصرفات الادارة البيزنطية . لا سيما اذا علمنا أن أبناء اقليم طارون لم يكونوا راضين عن الانضمام فى معاهدة تحالف ضد المسلمين[1] .

وأيا كان الامر فقد دل اجتماع الارمن ، والتفافهم حول قائد واحد — هو مليكهم أشوط الثالث البجراطى — على ما كان فى مقدور أرمينية أن تفعله طوال العصور الوسطى ، لو أن الانقسامات المستعصية فى صفوف زعمائها الاقطاعيين لم تمدق قوتها . كما يجب ألا يغيب عن بالنا جنسية الامبراطور زيمسكيس الأرمينية . مما يجعلنا نتساءل هل كان الامبراطور — زيمسكيس الارمينى الذى تحول الى الارثوذكسية اليونانية وأصبح وريثا للقياصرة — يحلم بضم وطنه الاصلى الى أملاك امبراطورية الروم ؟ أم أن سلالته الأرمينية — على العكس من ذلك — أوقفته فى آخر لحظة ومنعته من المضى فى طريق الانفصام ؟ . فلعل هذا التعاطف العرقى العنصرى اللا ارادى ، قد قوى فى نفسه النصائح الحكيمة التى أملاها عليه مشهد الاستعدادات للمقاومة التى نظمها أشوط وسائر الامراء الأرمن وقتذاك . وكانت النتيجة هى أن أرمينية ، بدلا من أن تدخل فى صراع مع زيمسكيس ، زودته بأشجع جندها ، من أجل شن الحرب الصليبية البيزنطية التى جردها ضد العالم الاسلامى[2] .

والمعروف أن ملك أرمينية البجراطى أشوط الثالث (٩٥٢ — ٩٧٧م) كان قد اتخذ سياسة — المسالمة والمهادنة منهجا فى التعامل مع المسلمين. وبذلك استطاع أن يكسب ود الخليفة العباسى فى بغداد ، بعد أن أنزل أشوط الثالث الهزيمة بأحد الثائرين — على الخلافة — الذى عاث فسادا فى أذربجان والجزيرة وقتذاك[3] . وقد رأينا كيف خرج الملك الأرمينى

---

(١) Grousset : Ibid., P. 496 - 497.

(٢) Grousset : Ibid., P. 497 - 498.

(٣) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٧٢ — ١٧٣
Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

أشــوط الثــالث وســائر أمراء أرمينيــة ــ رغم ما كان بينهم من خــلافات داخليــة ــ بجيش قوامــه ثمــانين ألف مقــاتل للقــاء ورصــد تحركات ذلك الامبراطور البيزنطى زيمســكيس ، الذى كان حريصا على تدعيم الوجود البيزنطى فى الجبهة الأرمينية ، قبل زحفه الى بغداد[1] .

ولذلك أجرى زيمسكيس مفاوضــات مع ملك أرمينية أشــوط الثالث وأمراء أرمينية ، انتهت بعقد معاهدة بين الطرفين نصت بنودها على تعهــد نظام الحكم الأرمينى بمســاعدة الامبراطور البيزنطى فى عملياته العسكرية ضد المسلمين[2] . وتبودلت المراســلات بين كل من الامبراطور البيزنطى زيمســكيس (وهو أرمينى الاصــل) والملك الأرمينى « أشــوط الثالث » كان من بينها تلك الرســالة التى يرجع تاريخها الى ما قبل عام ٩٧٥ م ، ونص الرســالة جاء فيه[3] :

« يا أشــوط يا شاهنشــاه أرمينية الكبرى ، يا بنى الروحى أنصت الى ، ولتعلم الاعاجيب التى أتاها الرب لصالحنا ، وانتصاراتنا التى تنم عن اعجــاز ، والتى تدل على أنه يستحيل سبرغور العناية الالهية . واننا نريد يا صــاحب المجد ، يا أشــوط ، أن نطلعك على الدلائل الســاطعة على الفضــل ، الذى أضــافه الرب الى نعمه هذا العام ، على يد جلالتنــا ، وأن نبصرك بها . فأنت بوصفك مسيحيا وصديقا وفيا لجلالتنا ، ســوف تسعد بذلك وتلهج بعظمــة مولانا المسيح الســامية . وهكذا ســتعرف أن الرب لا يكف عن حمــاية المسيحيين ، وهــذا الذى أتاح لجلالتنــا أن نخضع كل بلاد الشرق الفارسى . وستعرف كذلك كيف استولينا على نصيبين مدينة المسلمين وعلى مخلفــات البطريق القــديس جاك (الصببى) وكيف أجبرناهم على دفع الجزية ، التى يدينون لنا بها ، وكيف أخــذنا منهم الاسرى »

---

(١) Camb. Med. Hist., IV, P. 161.

(٢) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٧٩/٤٨٠ .

(٣) راجــع عمــر كمال تــوفيق : مقــدمات العــدوان الصليبى ص ١٦٥ ــ ١٧١ .

« لقد كانت حملتنا تهدف أيضـا الى الاقتصـاد من كبرياء أمير المؤمنين وزهوه ، وهو ملك الافريقيين المعروفين بالعرب المغـاربة ، (وهو يقصـد الخليفة الفاطمى) ، الذى كان قد تصـدى لنا بقوات هائلة عرضت جيشـنا فى البداية للخطر[1] ... ولكننا هزمناها بعد ذلك بفضـل القوة وعون الرب . فانسحبت فى خزى ، شـأنها شان أعدائنا الآخرين ، وعندئذ جعلنـا من أنفسنا سـادة على بلادهم ، حكمنا بقطع رقاب أهالى عدة أقاليم ، وبعد ذلك تعجلنـا بالانسحاب وعدنا الى قواعدنا الشتوية .. » .

« واذا كنـا قد أطلعناك ، يا صـاحب المجد ، على جميع هذه الحقائق ، فلكى يثير سردها فيك الاعجـاب .. وحتى تلم بالأعمـال العظيمة ، التى تم انجـازها فى هذا الزمن ، وما أكثر عددها .. »[2]

وفى خريف عام ٩٧٤ م ، (٣٦٣ هـ) سـار زيمسكيس بقواته جنوبا ، فأغار على الجزيرة (ما بين النهرين) وعبر الفرات من ناحية ملطية ، ثم يمم نحو الجنوب الغربى ، قاصـدا آمد على نهر دجلة ، التى كان المسلمون قد استعادوها — بعـد أن هزموا مليح الارمنى بقواته — فاستولى زيمسـكيس عليها ، وافتدى أهلها أنفسهم ، بما دفعوه من أموال وفيرة . كما هاجم الجيش البيزنطى مدينة ميافارقين فنهبها ، وأشعل فيها الحرائق . وحازت قوات الروم منها الكثير من الغنائم . ثم توجهت الى نصيبين فاستباحوها بعد أن هجرها سكانها .

---

(١) لعل هذه تعتبر اشارة صريحة لما يكبده الروم مں خسائر فادحة على يد القوات الفاطمية فى مرحلة من مراحل المواجهة الاسلامية البيزنطيـة (الصليبية) . وبخاصة موقعتى رمطة والمجاز أمام صقلية سنة ٣٥٤ هـ ، ثم الحملة الفاطمية التى هدفت الى اسـترداد انطاكية . سنة ٣٦١ هـ . راجع صابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢٠٨ و
Camb. Med. Hist., 4, P. 149.

(٢) الجدير بالذكر أن صحة هذا الخطاب كانت موضع خلاف ونزاع . فثمة بعض النقاد يرون فيه عملا أدبيا ، على غرار الخطب ، التى يؤلفهـا المؤرخون اليونانيون واللاتين لأبطالهم . واذا كانت الفقرات المتعلقة بالحملة على سوريا ولبنان قد أيدها أمثال يحيى بن سـعيد الانطاكى ، فان الفقرات التى تتعلق بالجليـل تبـدو مبـالغا فيهـا بدرجـة كبيرة . راجـع عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ١٧١ و
Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 498 - 499.

وأقام بها زمسكيس الى أن تقرر الحال بينه وبين أبى تغلب بن حمدان على هدنة ومال يتعهد أبو تغلب الحمدانى ، بدفعه اليه سنويا على أن يدفع جانبا منه عاجلا[١] . وقد استولى يوحنا زيمسكيس فى هذه الحملة على بعلبك كما سلمت له دمشق صلحا ، وأقرت بدفع الجزية ، وخضعت له منطقة طبرية والناصرة وقيصرية صلحا[٢] .

أما عن الموقف فى الخلافة العباسية ، فقد خلع الخليفة العباسى المطيع لله (٣٣٤ — ٣٦٣ هـ) ، واعتلى ابنه « الطائع لله » عرش الخلافة سنة ٣٦٣ هـ[٣] . وكان خلع المطيع لله بسبب ظهور عجزه عن مواجهة أخطار الروم ، وفشله فى فض النزاع بين السنة والشيعة فضلا عن فشله فى اخماد ثورات واضطرابات العساكر الأتراك[٤]

أما عن الرسالة التى أرسلها زيمسكيس للملك الارمينى أشوط الثالث الجراطى عام ٣٦٤ هـ (٩٧٥ م) ، والتى أوردنا بعضا منها فيما سبق ، فتشير الى المواضع التى هاجمها الروم فى ربيع هذا العام . اذ استولى على بانياس ، وزحفوا الى طبرية وعين عليها حاكما بيزنطيا (استراتيجوس) ، ثم توجه زيمسكيس بقواته الى عكا . حيث لم تجد قواته هناك أدنى مقاومة فاطمية ، فزحف حتى وصل الى قيسارية[٥] .

على أن الملاحظ أن تلك الرسالة لم يرد فيها ما يشير الى مسير الجيش البيزنطى من انطاكية الى القسطنطينية . ولعل هذا

---

(١) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٨٠ .

(٢) Grousset : Hist. de L'Armenie, P. 498.

وصابر دياب : سياسة الدولة الاسلامية ص ٢١٠ .

(٣) تولى «أبو الفضل عبد الكريم الطائع لله » بن المطيع لله بن المقتدر بالله سنة ٣٦٣ هـ وظل يحكم حتى سنة ٣٨١ هـ (٩٧٤ — ٩٩١ م . راجع : زامباور معجم الانساب والأسرات + بورفيروجنتس : ادارة الامبراطورية ص ٢٣٠ .

(٤) العرينى : الدولة البيزنطية ص ٤٨١ .

(٥) الانطاكى : تاريخه ص ١٤٥ .

Schlumberger : L'Fpopee Tome I, P. 843.

يوحى بأن هـذه الرسـالة تم تحريرها اما أثنـاء وجـود القوات البيزنطية فى انطـاكية ، أو أثناء سـير زيمسكيس بقواته ـ وقـد أسـكرته خمر النصر ـ الى عاصمته القسطنطينية . وأيا كان الامر فقد أسهم زيمسكيس بعمله هذا فى اذكاء ونمو روح العـداء الصليبية البيزنطية ضـد العالم الاسـلامى ، وهى الروح التى كان قد أطلق شرارتها القائد البيزنطى الصليبى ـ ثم الامبراطور بعد ذلك ـ نقفور فوكاس[1] .

وفى سنة ٣٦٦هـ (٩٧٦م) خرج يوحنا زيمسكيس ملك الروم فى جيوش عظيمة من النصرانية ، كان أولها فى منطقة عقـاب الروج ، وآخرها فى الغرزل من علاه قفرة النعمان ، فنزل على أفامية ، ثم رحـل ففتح بعلبك ، وأسر أهلهـا وكانوا قد تحصـنوا فى الملعب ، كمـا حـاصر طرابلس ، ثم انصرف عنها[2] . ثم لم يلبث زيمسـكيس أن مات فى منتصف عام ٩٧٧ م مسموما بيد ثيوفانو .

أثناء هذه الفترة كان الخليفـة الفاطمى (العزيز بالله ٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ) يرغب فى حلب . فانجـد بكجور ضـد سعد الدولة الحمدانى الذى اضـطر للاستعانة بالروم . فأمدوه بجيش بقيـادة ميخائيل البرجى صاحب أنطـاكية ، الذى حلت به الهزيمـة فى عهد سـعد الدولة[3] .

وفى عام ٣٦٨ هـ رد الامبراطور البيزنطى باسيل الثانى ولاية اللاذقية الى كرمروك ، لشـنه الغارة على طرابلس وما يليها ، وقتله وأسره من أهلها ومن المغاربة خلقا كثيرا[4] . ثم سار القائد البيزنطى الى حلب سنة ٣٧١ هـ ، ليطالب سعد الدولة بمال الهـدنة ، على أن يحمل للروم كل سنة ٤٠٠,٠٠٠ درهم فضـة نقية ، صرف كل عشرين

---

(١) Ostrogrowsky : Hist. of Byz. State, P. 264.

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ١/٤٥٢ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٣٨ والانطاكى تاريخـه ١٧٦ وما بعـدها .

(٤) محمد كرد على : خطط الشام ١/٢٠٣ .

درهم بدينـار • وقد اعترف لهم سعد الدولة سنة ٣٧٣ هـ — بسبب إختلال البلاد عليه ، وسعيا الى تمديد الهدنة — بالسيادة وتعهد بأداء الجزية السنوية لبستظل بالحمـاية البيزنطيـة ، هربا من السيادة الفاطمية[١] •

لكن سـعد الدولة لم يلبث أن رفض أداء الجزية • فاستولى الروم على كليس ، وأوقعوا بجماعة من الحمدانيين ، وحاصروا أفامية وقاتلوها أشـد قتال ، وجاءوا الى حلب • هذا بينما سـار قرعويه الى دير سمعان فحاصره ثلاث أيام وفتحه بالسيف ، وقتـل جماعة من رهبانه ، وسبى خلقا كانوا قد التجأوا اليه من انطـاكية ، ودخلوا بهم الى حلب وأشـهروا بها • كما أنفـذ الروم سرية الى كفر طاب حيث أوقعت بالعرب وجماعة من الحمدانية[٢] •

وفى سنة ٣٧٦ هـ يتوتر الموقف أكثر بين الروم وصـاحب حلب (سعد الدولة بن سيف الدولة) • حيث رفضـوا الصلح معه حتى يدفع المتـأخر عليه من الجزية • وسـار الامبراطور بسيل المقدونى بجيشه فحاصر حلب ، وفتح حمص وشيزر ، وأقام على طرابلس • واستمرت معاهدة صـاحب حلب منذ وقعها سـعد الدولة الى سنة ٣٩٢ هـ — أى الى نهـاية حكم سـعيد الدولة أبو الفضـائل (٣٨١ — ٣٩٢ هـ)[٣] •

وهكذا أصبحت الدولة الحمدانيـة بعد عزها على عهـد سيف الدولة ، ذليلة خاضعة لسلطان غيرها فى عهـد من خلفه • ولا غرو فقد تنابذ المسلمون بالعـداء ، وصـار باسهم بينهم شـديد ، فلا جرم أن يطمع فيهم عدوهم •

لقد وقع القتال بين منجوتكين والقوات الحمدانية على أفامية فانهزم الحمدانيون سنة ٣٨٢ هـ وقتل وأسر جماعة منهم ونزل منجوتكين على

---

(١) محمد كرد على : خطط الشام ٢٠٤/١ •
(٢) محمد كرد على : خطط الشام ٢٠٣/١ — ٢٠٤ •
(٣) زمباور : معجم الانساب ٢٠١/٢ + ابن خلكان : وفيات جـ ١ ص ٦٤٠ •

حلب ووقع الحرب فى جميع جوانب المدينــة • ودخل الى أعمــال الروم بسبب اعتقال البرجى (صــاحب انطاكية البيزنطية) لرسوله ونزل على حصن فى بلدة أرتاح فقاتله وسبى وقتل وســار إلى انطاكية فرشقه الانطاكيون بالنشاب • وعاد منجوتكين الى منزلة حلب ورجع القتال[1] •

أما فى اللاذقية فقد قام المسلمون هنــاك بثورة ضــد الروم ، فتوجه اليهم ميخائيل البرجى ، وأخمد ثورتهم وسباهم وحملهم الى الروم • وفى سنة ٣٨٣ هـ تبسلم منجوتكين افامية من وفاء خادم سيف الدولة ، ثم رحل الى شيزر وقاتلها وتسلمها من ســوسن غلام سعد الدولة وعاد ثانية لمنازلة حلب[2] •

وقد طلب أبو الفضــائل سعيد الدولة من الامبراطور باســيل أن ينجده ــ وكان باسيل يقاتل البلغار ــ فكلف باسيل نائبه بانطاكية « ميخائيل البرجى » ، بمســاعدة أبى الفضــائل ، على منجوتكين • فلما علم منجوتكين بذلك ، بادر لملاقاة الروم وهزمهم الى انطــاكيــة وأكثر القتل فيهم ، حتى بلغ ما جمعه من رؤوس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس حملت الى مصر • وقد ذكر الانطــاكى فى ذلك أنه « قتل من الروم فى هذه الوقعة التى دعيت بوقعة المخاضة عام ٣٨٤ هـ زهاء خمســة آلاف ، ويمم منجوتكين الى انطاكيــة ، ونهب رســا تيقها وأحرقهــا •• وعاد منجوتكين الى حلب ••• فأقام عليها ثلاثة عشر شهرا ، فعــاد صــاحب حلب إلى مراسلة ملك الروم والاعتضاد به[3]

أرســل ملك الروم النجــدة لصــاحب حلب ، فلما شــارفت النجدة البيزنطية المدينة ، أحرق منجوتكين الخزائن . والأســواق ، والابنية ، التى كان قد استحدثها ، ورحــل فى الحال منهزما ، أمام قوات باسيل البيزنطى الذى نزل على باب حلب ثم رحل •

---

(١) محمد كرد على : خطط ٢١١/١ •

(٢) محمد كرد : نفسه ٢١١/ •

(٣) الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ومحمــد كرد على : خطط : ٢١١/١ •

وهكذا ... يستعين المسلمون بعدو الله وعدوهم . تاركين الالتزام بقوله تعالى عز وجل : (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء ا الا أن تتقوا منهم تقاه ويحذركم الله نفسه ، والى الله المصير ») (سورة آل عمران : آية ٢٨) .

ومن ناحية أخرى ففى سنة ٣٨٦ هـ سير الخليفة الفاطمى العزيز بالله القائد منجوتكين لاخذ حلب[١] . لكن الامبراطور — باسيل الثانى (٩٧٧ — ١٠٢٥ م / ٣٦٦ — ٤١٦ هـ) — ظهر عند أسوار حلب ، وفك عنها حصار القوات الفاطمية وأخذ حمص وشيزر[٢] . ثم عقد باسيل الثانى عام ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) صلحا مع الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ٩٩٦ — ١٠٢٠ م مدته عشر سنوات . واستمر الجو هادئا بين المسلمين والروم حتى وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمى[٣] .

وما أن انتهى الامبراطور باسيل الثانى (٩٧٧ — ١٠٢٥ م) من توطيد نفوذه فى أرمينية ، وينجح فى تهدئة أو تبريد جبهة المواجهة مع المسلمين فى بلاد الشام بعقده المعاهدة سنة ١٠٠١ م (٣٩٢ هـ) مع الفاطميين ، حتى كرس كل جهوده لمحاربة البلغار والصقالبة وتعقبهم بالقتل والافناء حتى سمى باسم سفاح البلغار[٤] .

على أن الصراع البيزنطى ضد الفاطميين حول حلب احتدم مرة أخرى ، بمجرد تخلص باسيل الثانى من متاعبه مع البلغار .

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٥٠٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ج ١ ص ١٩٢ + ابو المحاسن : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٠٣ — ٥٠٤ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٧٢ + فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٠ — ٢٠١ و :

Camb. Med. Hist., IV, P. 147. and Schlumberger, L'Epopee, II, P. 201, 211.

(٤) Schlumberger : Ibid., II, P. 211.

وصابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ٢١٧/٢١٩ .

الامر الذى انعكس بآثاره السيئة على المدينة وأهلها • فعانت الكثير بسبب حروب الروم ضد الفاطميين وسيادتهم عليها ، بحيث صارت حلب كالكرة تارة يختطفها الروم ، وأخرى يستردها الفاطميون[١] •

بعد أن استعرضنا الحروب بين المسلمين يمثلهم آنذاك الحمدانيون وبين البيزنطيين نستطيع أن نستخلص ما يأتى :

١ — أن ماقام بين الحمدانيين والروم من حرب ، كانت ذات صبغة دينية للفريقين • فالمسلمون اعتبروها جهادا فى سبيل الله ، بينما وقف الروم فى وجه المد الاسلامى ، محاولين بدورهم نشر المسيحية أو على الاقل تثبيت مكانها ومكانة الكنيسة المزعومة فى قلوب الرعايا ، كما حرص الروم على استرجاع الايقونات Icons الدينية كالصور والصلبان ومنديل المسيح • يدلنا على ذلك محاولة ابن الشمشقيق غزو بيت المقدس • وقد خرب كل من الفريقين المتحاربين العمائر الدينية للجانب الآخر[٢] •

٢ — أدت هذه الحروب — التى غالبا مابدأها الروم — الى ايقاع الاضرار الاقتصادية والبشرية بكل من الطرفين • اذ أودت بحياة الكثير من سكان المدن والقرى ، وشردت من لم يقتل أو يمت ، وعطلت الزراعة والصناعة والتجارة ، حتى خلت مدن الحدود (الثغور) من كل مظهر للحياة •

٣ — راح فى هذه الحروب عشرات الآلاف من الفريقين من مختلف الاجناس[٣] ••

٤ — حوادث هذه الحروب متكررة متشابهة وهى عبارة عن غارات — أغلبها صيفى — يشنها الفريقان على العواصم والثغور فيحرقون

---

(١) Canard.: Hist. de la Dyn. des Hamd., P. 720.
صابر دياب : سياسة الدول الاسلامية ص ٢١٨ — ٢١٩ •

(٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠١ •

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٠ — ٢٠١ •

ويدمرون ويسلبون ويسبيون ثم يعودون الى قواعدهم[١] .

٥ ـ ان الجاسوسية لعبت دورا كبيرا فى هذه الحروب . فلجأ اليها الفريقان المتحاربان . كما أن الروم استخدموا الرشـوة لتفريق صفوف الحمدانيين ، الذين ظهر من بين أعوانهم بعض الخونة من أمثال رشيق النسيمى وقرعوية وبكجور[٢] .

وعلى الزغم من أن العداء بين الحمـدانيين والبيـزنطيين كان مستحكما ، الا أننا نجـد فى فترات السلم القصـيرة أو الهدنات ـ وبخاصـة فى فصـل الشتاء ـ علاقات سياسية وأخـرى تجـارية بين الفريقين . هذا فضـلا عن العـلاقات الدينية بين القسطنطينية والبطريركيات الشرقيـة الموجـودة فى بلـدان العـالم الاسـلامى وأهمهـا : انطاكيـة وبيت المقدس (كنيسـة القيـامة) وكنيسـة الاسكندرية[٣] .

كما يجد الباحث فى التـاريخ البيزنطى عدة مراسـلات رسمية بين الاباطرة من ناحيـة ، وبين الخلفاء العباسيين وأمراء العباسيين وأمراء سـوريا وحكام مصر من ناحيـة أخـرى . وقد أرسـل الامبراطور قسطنطين السـابع (بورفيروجنتس[٤] ٩١٣ ـ ٩٥٩ م) كثيرا من السفارات الى سيف الدولة بحلب ، ... أورد ذكرها كل من أبو فراس الحمدانى والمتنبى[٥] .

ويكفى أن نعلم أن عمليات تبـادل الاسرى بين الحمـدانيين والبيزنطيين ، وما استلزمته هذه العمليات من مفاوضات ومراسلات ، تعد أكبر دليل على أن العداء بين الفريقين (المسلمين والروم) لم يحل دون قيام علاقات سياسية بين الدولتين . فمثلا المعـاهدة التى عقدت بينهم وبين قرعويه ـ أحد قادة الحمدانيين ـ ذات دلالة كبيرة على ماكان

---

(١) ، (٢) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠١ ـ ٢٠٢ .
(٣) فيصل السامر : نفس المرجع ٢/٢٠٢ .
(٤) هو مؤلف كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية .
(٥) انظر فيصل السامر : المرجع السابق ٢/٢٠٢ وراجع
Canard : Ibid., P. 51, 69.

قائما وقتذاك من نشاط تجارى . كما كانت تعد خطوة كبيرة فى سبيل تنظيم الشئون المدنية بين الطرفين[١] .

كذلك كان وجود نوع من العلائق الدينية بين الطرفين أمرا بالغ الاهمية ، بسبب وجود العناصر النصرانية التى تعيش فى الدولة الاسلامية متمتعة بجو التسامح والأمان من جانب المسلمين . وقد أمدنا المؤرخ شيد Chedd بحقائق طريفة عن هذه العلاقات وعن ثورة الكنيسة ورجال الدين المسيحى فى العالم الاسلامى ، وعن العلاقات التى قامت بينهم وبين الخلفاء والأمراء المسلمين ، والأساليب التى اتبعها رجال الدين النصارى ، للوصول الى كرسى البطريركية فى المدن الاسلامية مثل ، الموصل ونصيبين وبغداد[٢] .

كما مر بنا ما ذكره المؤرخون من قبول سيف الدولة تبادل الهدايا مع الامبراطور البيزنطى نقفور فوكاس ، الذى أرسل اليه بغالا وثيابا وديباجا ومصوغات ذهبية ، ورده عليه بمثلها سنة ٣٥٣ هـ[٣] . حيث قال ابن مسكويه : « وأقام نقفور على المصيصة وهادى سيف الدولة ببغال ودواب وثياب وديباج رومية وصياغات ذهب ، وقابله سيف الدولة بهدايا ، فصار سببا لمقام الدمستق فى بلدان الاسلام ثلاثة أشهر ، لا ينازعه أحد ، ولا يمكنه فتح المصيصة ، وانصرف عنها لان البلد لم يحمله ، ووقع فى أصحابه الوباء فاضطر الى الانصراف بعد أن حمل اليه مال المصيصة[٤] » . وفضلا عن ذلك يورد الصابى فى رسائله أن أبا تغلب بن ناصر الدولة هادى ملك الروم ، وقاد اليه الخيل الاصلية والحور وصلبان الذهب[٥] . مما يؤكد قيام علاقات تجارية بين الطرفين — الحمدانيين والروم — وأن الروم حرصوا — برغم عدائهم للمسلمين — على صيانة هذه العلاقات وتدعيمها لمصلحتهم وأن المسلمين — رغم علمهم بمشاعر

---

(١) فيصل السامر : الدولة الحمدانية ٢/٢٠٢ .

(٢) Shedd : Islam and the Oriental Churches P. 196 - 248.

(٣) فيصل السامر : المرجع نفسه ٢/٢٠٣ .

(٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم ٢/٢٠٨ .

(٥) الصابى : رسائل الصابى ١/٨٩ .

الروم العدائية — لم يمانعوا فى ذلك تماشيا مع الحاجات الضرورية للبشر والامم •

هكذا تنقضى فى هذه الفترة تماما — بعد سيف الدولة ٣٥٦ — ٣٩٤ هـ / ٩٦٧ — ١٠٠٣ م — سلطة الحمدانيين من حلب ، كما اختفت أيضا من الموصل منذ عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٨ م •

لقد كان خلفاء سيف الدولة فى سوريا ، واقعين تحت سيطرة النفوذ البيزنطى ، بينما استمرت الحرب فى منطقة بلاد الشام والهلال الخصيب (الميزوبوتوميا) وهى الحرب التى فاز فيها الحمدانيون فى اقليم الجزيرة بانتصار على الروم كان من أبرز معالمه أسر قائد الجيش البيزنطى •

ومن ناحية أخرى نجد أن امبراطورية الروم استطاعت كسب أراضى فى هذه المواجهة مع المسلمين فى أعلى الشام واقليم الجزيرة • ثم يسود الهدوء تلك المنطقة لمدة ثلاثين عاما فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) • وكان السبب فى هذا الهدوء الذى شهدته جبهة الثغور الاسلامية البيزنطية فى هذا الوقت ، يرجع الى انشغال الروم فى مواجهة المتغيرات ، التى طرأت على منطقة الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، بانتقال الفاطميين من بلاد المغرب الى مصر ، التى اتخذوها مقرا لخلافتهم الشيعية • وكان القلق البيزنطى نابع من احساسهم بأن الفاطميين — وكانوا قوة بحرية لها وزنها آنذاك فى عالم البحر المتوسط — اعتبروا مصر نقطة ... يبسطون منها نفوذهم على بلاد الشام ، وصولا الى دار الخلافة العباسية وأملاكها فى الشرق •

الملاحق

ثبت بالخلفـــاء الراشـــدين المعاصـــرين
فتـــــــرة البحث*

مسلسل	الترتيب بين الخلفاء	اســم الخليفة ولقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجرى	فترة حكمه بالتاريخ الميلادى
١	١٠	ابو الفضــل جعفر المتــوكل على الله بن المعتصم	٢٣٢ — ٢٤٧هـ	٧٤٧ — ٨٦١م
٢	١١	أبو جعفر محمد المنتصر بالله بن المتوكل على الله	٢٤٧ — ٢٤٨هـ	٨٦١ — ٨٦٢م
٣	١٢	ابو العباس احمد المستعين بالله محمد بن المعتصم	٢٤٨ — ٢٥٢هـ	٨٦٢ — ٨٦٦م
٤	١٣	أبو عبد الله محمد المعتز بالله بن المتوكل .	٢٥٢ — ٢٥٥هـ	٨٦٦ — ٨٦٩م
٥	١٤	أبو اسحق محمد المهتدى بالله بن الواثق .	٢٥٥ — ٢٥٦هـ	٨٦٩ — ٨٧٠م
٦	١٥	أبو العباس أحمـــد المعتمـــد على الله بن المتوكل	٢٥٦ — ٢٧٩هـ	٨٧٠ — ٨٩٢م
٧	١٦	أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن الموفق بن المتوكل	٢٧٩ — ٢٨٩هـ	٨٩٢ — ٩٠٢م
٨	١٧	أبو محمد على المكتفى بالله بن المعتضد .	٢٨٩ — ٢٩٥هـ	٩٠٢ — ٩٠٨م
٩	١٨	أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد .	٢٩٥ — ٣٢٠هـ	٩٠٨ — ٩٣٢م
١٠	١٩	أبو منصور محمد القاهر بالله بن المعتضد .	٣٢٠ — ٣٢٢هـ	٩٣٢ — ٩٣٤م

١١	٢٠	ابو العباس احمد الراضى بالله بن المقتدر .	٣٢٢ — ٣٢٩هـ	٩٣٤ — ٩٤٠م
١٢	٢١	ابو اسحق ابراهيم المتقى بالله بن المقتدر .	٣٢٩ — ٣٣٣هـ	٩٤٠ — ٩٤٤م
١٣	٢٢	ابو القاسم عبد الله المستكفى بالله بن المكتفى	٣٣٣ — ٣٣٤هـ	٩٤٤ — ٩٤٦م
١٤	٢٣	ابو القاسم الفضل المطيع لله بن المقتدر .	٣٣٤ — ٣٦٣هـ	٩٤٦ — ٩٧٤م
١٥	٢٤	ابو الفضل عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله	٣٦٣ — ٣٨١هـ	٩٧٤ — ٩٩١م
١٦	٢٥	ابو العباس أحمد القادر بالله بن اسحق بن المقتدر	٣٨١ — ٤٢٢هـ	٩٩١ — ١٠٣١م

* اعتمدت فى ذلك على :

١ — زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى — ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف . (جزءان) .

٢ — أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية (جزءان) .

٣ — محمود سعيد عمران (مترجم) : كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية لمؤلفه الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) .

ثبت الحمدانيون فى حلب

٣٣٣ — ٣٩٤هـ / ٩٤٤ — ١٠٠٣م

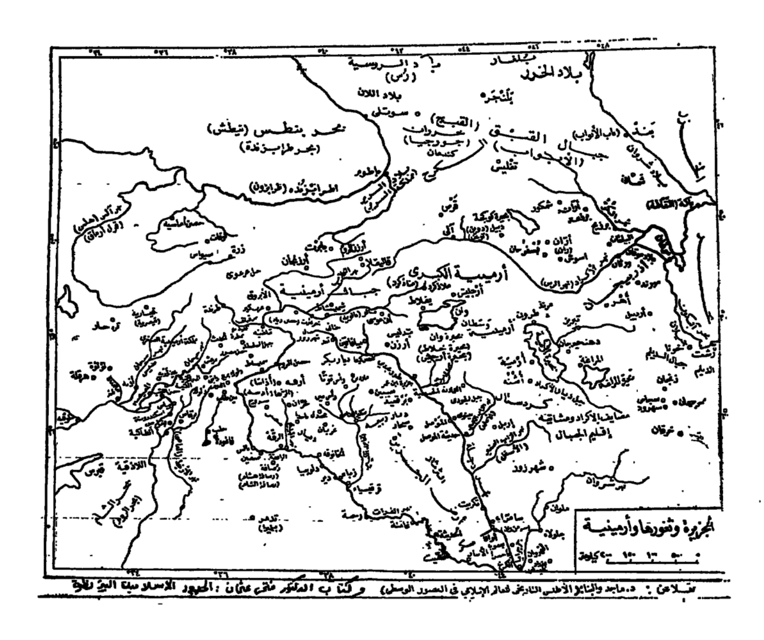
مسلسل	الاسم واللقب	فترة الحكم بالتقويم الهجرى	فترة الحكم بالتاريخ الميلادى
١	أبو الحسن على ، سيف الدولة الحمدانى	٣٣٣ — ٣٥٦هـ	٩٤٤ — ٩٦٧ م
٢	سعد الدولة ، أبو المعالى شريف الحمدانى	٣٥٦ — ٣٨١هـ	٩٦٧ — ٩٩١ م
٣	سعيد الدولة أبو الفضائل سعيد الحمدانى	٣٨١ — ٣٩٢هـ	٩٩١ — ١٠٠١م
٤	أبو الحسن على أبو المعالى شريف الثانى	٣٩٢ — ٣٩٤هـ	١٠٠١ — ١٠٠٣م

ثبت بأسـماء الأباطـرة البيزنطيـون
فى فتـــرة البحث*

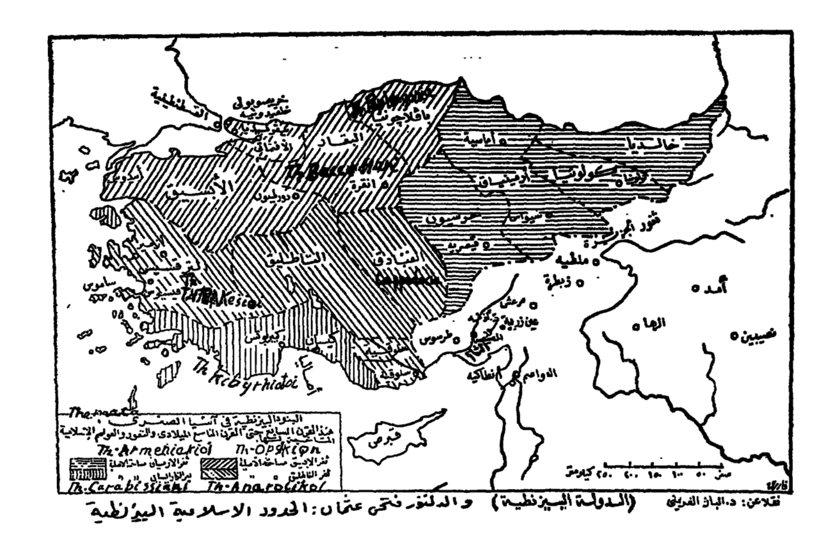
مسلسل	الترتيب بين الأباطرة	اســم الخليفة ولقبه	فترة حكمه بالتقويم الهجرى	فترة حكمه بالتاريخ الميلادى
١	٤١	ميخائيل الثالث « السكير » (الاسرة المقدونية) .	٨٤٢ — ٨٦٧ م	٢٢٧ — ٢٥٣هـ
٢	٤٢	باسـيل الأول .	٨٦٧ — ٨٨٦ م	٢٥٣ — ٢٧٢/٢٧٣هـ
٣	٤٣	ليـو السادس « الحكيـم »	٨٨٦ — ٩١٢ م	٢٧٣ — ٩٩/٣٠٠هـ تقريبا
٤	٤٤	السكنـدر	٩١٢ — ٩١٣ م	٣٠٠/٣٠١هـ
٥	٤٥	قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) اشترك معه رومانوس الأول ليكابيونس من ٩١٩—٩٤٤م	٩١٣ — ٩٥٩ م	٣٠١ — ٣٤٧/٣٤٨هـ
٦	٤٦	رومانوس الثـانى .	٩٥٩ — ٩٦٢ م	٣٤٧/٣٤٨—٣٥٠هـ
٧	٤٧	نقفور فوقاس .	٩٦٣ — ٩٦٩ م	٣٥١ — ٣٥٨هـ
٨	٤٨	يوحنا زيمسكس (ابن الشمشقيق عند العرب)	٩٦٩ — ٩٧٦ م	٣٥٨ — ٣٦٥/٣٦٦هـ
٩	٤٩	باسيل الثانى « سـفاح البلغار » .	٩٧٦ — ١٠٢٥م	٣٦٦ — ٤١٦هـ

* اعتمدت فى هذا الثبت على كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية الذى كتبه الامبراطور قسطنطين السابع (بورفيروجنتس) ونقله للعربية الدكتور محمود سعيد عمران .

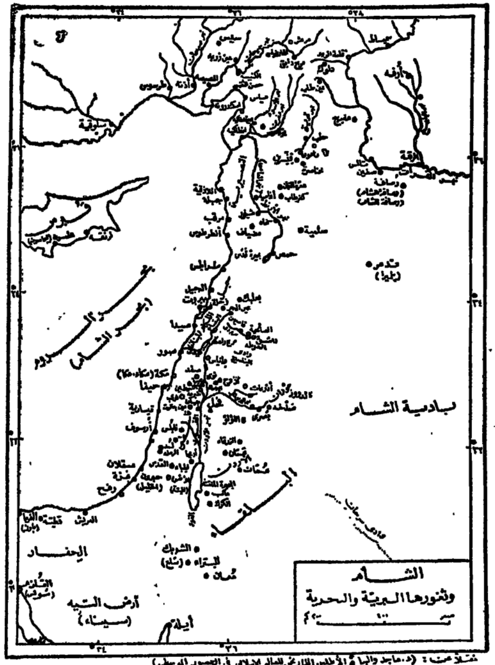
كما واءمت التواريخ الميلادية بالتواريخ الهجرية على وجـه التقريب معتمدا على كتاب اللواء مختار الهامى باشا : « التوفيقات الالهامية » .



نقلاً عن: د. ماجد (الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى) وكتاب الدكتور فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية



نقلا عن: د. الباز العريني (الدولة البيزنطية) و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية

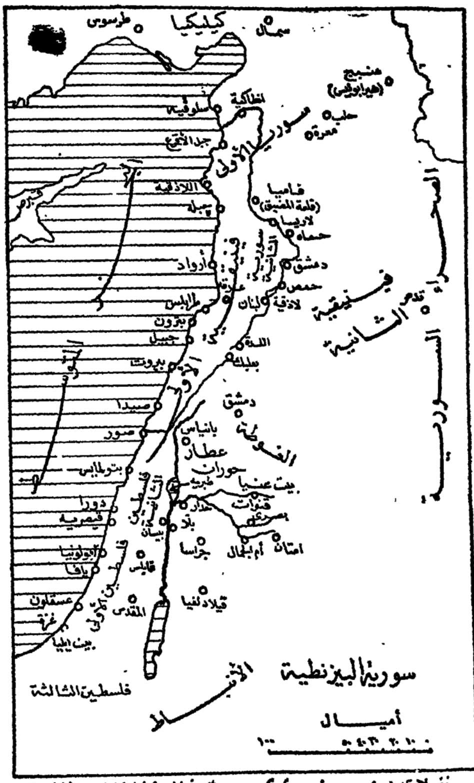


نقلا عن: (د. ماجد والبا في الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى)

(و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية).



نقلا عن: Vasilrev l'Empire Byzantine و الدكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية



نقلا عن: *Philip Hitti. History of Syria*

(د دكتور فتحي عثمان: الحدود الاسلامية البيزنطية

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

(أ) المصـــادر العربيـــة :

١ ـ ابن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م) ، على بن أحمد بن أبى الكرم ـ الكامل فى التاريخ • ط • بولاق ، مصر ، ١٢٧٤ هـ • ١٢ جزءا •

٢ ـ ابن الازرق •

ـ تاريخ الفارقى (تاريخ ميافارقين) •

٣ ـ الاصـطخرى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، أبو اسحق ابراهيم ابن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى •
ـ مسالك الممالك • نشرة دى غوية ضمن المجموعة الجغرافية العربية • الجزء الاول من المجموعة • طبعة ليدن ، بريل ١٩٢٧ و ١٩٦٧ م •

٤ ـ الاصفهـــانى (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧ م) ، أبـــو الفـــرج •
ـ كتاب الاغانى • ط • القـاهرة ، ١٢٨٥ هـ ، ط • ١٩٢٧ — ١٩٣٦ م •

٥ ـ الانطاكى ، يحيى بن سعيد (أفتيشسيوس) •

ـ تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى (يلى تاريخ ســعيد بن البطريق المسمى « كتــاب التــاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » والمعروف بصلة أوتيخا • نشره كراتشكوفسكى وفازيليف فى مجلة
Patrologia Orientalis, vols. : 8, 9, 1924.
موجود بمكتبة دير الآباء الدومينيكان ، العباسية ، القـاهرة مصر برقم 2898/1 — F — 16, 2901/1 — F — 16

٦ — البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر
— كتاب فتوح البلدان . نشره ووضع ملاحقه وفهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م .

٧ — بورفيروجنتس ، قسطنطين السابع « الامبراطور » .
— كتاب ادارة الامبراطورية البيزنطية . تعريب وعرض وتحليل وتعليق د. محمود سعيد عمران ، طبعة دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٨ — الثعالبى (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك ابن حمدان اسماعيل النيسابورى .
— يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط. مصر ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٤ م و ط. ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

٩ — ابن الجوزى (٥٠٨ هـ — ٥٩٧ هـ) أبو الفرج عبد الرحمن ابن على بن محمد بن على .
— المنتظم فى تاريخ الملوك والامم . ١٠ أجزاء ، الطبعة الاولى ، مطبعة دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الدكن ١٣٥٧ هـ .

١٠ — ابن حزم (ولد ٣٨٤ وتوفى ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الاندلسى .
— جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .

١١ — ابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أبو القاسم محمد .
— صورة الارض . ط. بريل ، ليدن ، ١٩٦٧ م ، نشره J.H. Kramers ضمن المجموعة الجغرافية العربية (B.A.G.)

١٢ — ابن خرداذبة (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ هـ) ، عبد الله بن أحمد ابن خرداذبة أبو القاسم .

— المسالك والممالك . نشره دى غوية ، ضمن المجموعة العربية (الجزء السادس من المجموعة ، طـ بريل ، ليدن ١٩٦٧ م ومعه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر) .

١٣ — ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ولى الدين « عبد الرحمن ابن محمد ابن خلدون الحضرمى .

— تاريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر فى ذكر أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر . طـ بولاق ، مصر ، ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م (٨ أجزاء)

١٤ — ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أحمد

— وفيات الاعيان . طـ القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

١٥ — الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ الذهبى .

— تاريخ دول الاسلام . مخطوطة مصورة عن نسخة المكتبة الاحمدية بحلب ، محفوظة بمعهد المخطوطات العربية بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، مصر تحت رقم ٦٥ / ٥٨٠ .
ونسخة أخرى عن حيدر آباد ، الدكن ، الهند . طـ مطبعة جمعية دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ هـ . و ١٣٦٤ هـ . وقد نشر فى القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ باسم « تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام » .

١٦ — ابن رستة (ت حوالى ٢٩٠ / ٩٠٣ م) ، أبو على أحمد بن عمر
— الاعلاق النفيسة . نشرة دى غويه ضمن المجموعة العربية ، طـ ليدن ، بريل ، ١٩٦٨ م .

١٧ — ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) محب الدين شيخ الاسلام أبو الوليد محمد .

— الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب . ط. مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت .

١٨ — ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) ، عز الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خليفة الحلبى .

— الاعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة . مخطوط مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ينتهى الجزء الاول منها عند سنة ٣٩٣ هـ ، وعدد أوراقه ١٥٠ ورقة .

١٩ — الصابى (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ، الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد — رسائل الصابى .

٢٠ — الصولى (ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م) أبو بكر محمد بن يحيى .

— أخبار الراضى بالله والمتقى لله (أو تاريخ الدولة العباسية من ٣٢٢ هـ الى ٣٣٣ هـ من كتاب الاوراق) .
نشره هيوارث دن ، القاهرة ، ١٩٣٥ م .

٢١ — الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)

— تاريخ الامم والملوك . نسخة بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ م .
١٣ جزءا
ونسخة أخرى ط. المطبعة الحسينية ، القاهرة ، ١١ جزءا

٢٢ — أبو الطيب المتنبى .

— ديوان المتنبى . شرح اليازجى ، ط. بيروت ، ١٨٨٧ م .

٢٣ — ابن ظافر الأزدى (ت ٦٢٣ هـ) ، جمال الدين أبو الحسن على ابن كمال الدين بن حسين الازدى المصرى .

— كتاب أخبار الزمان فى تاريخ بنى العباس أو كتاب أخبار

الدول المنقطعة . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية ، القاهرة تحت رقم ٨٩٠ / تاريخ .

٢٤ — ابن عبد الحق البغدادى (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) .

— مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع . تحقيق البجاوى ، ط . دار احياء الكتب العربية .

٢٥ — ابن العبرى (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) جريجوريوس أبو الفرج ابن هارون الملطى المعروف بابن العبرى .

— تاريخ مختصر الدول . ط . ثانية ، المطبعة الكاثولوكية ، بيروت ، ١٩٥٨ م .

٢٦ — ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) ، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله .

— زبدة الحلب من تاريخ حلب ، نشره محمد سامى الدهان دمشق ، ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

٢٧ — ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) .

— شذارات الذهب فى أخبار من ذهب . نشر مكتبة القدس ، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ .

٢٨ — أبو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماة .

— المختصر فى أخبار البشر : « المعروف بتاريخ أبى الفدا » ط . استنبول ١٢٨٦ هـ (٤ أجزاء فى مجلد واحد)

٢٩ — أبو فراس (ت ٣٥٧ هـ / ٩٦٧ — ٩٦٨ م) الحارث بن سعيد ابن حمدان .

— ديوان أبو فراس ، شرح ابن خالوية أبو عبد الله الحسين ابن محمد بن أحمد (٣٠٠ — ٣٧٠ هـ) ج تحقيق محمد سامى

الدهان ، ط، دمشق ، المعهـد العلمى الفرنسى للدراسـات العربيـة ، ١٣٦٣ هـ / ١٩٤٤م.

ـ ونسخة أخرى ط ، بيروت ، ١٩١٠ م .

٣٠ ـ قدامة بن جعفر (ت حول ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) ، أبو الفرج بن جعفر الكاتب البغدادى .

ـ نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتاب . نشره دى غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٨٩ م .

ـ ونسخة أخـرى ملحقة بكتـاب المسـالك والممالك لابن خرداذبة ، الجزء السادس من المجموعة الجغرافية العربية ، نشر دى غوية ، ط، بريل ليدن ، ١٩٦٧ م .

٣١ ـ القرطبى ، عريب بن سعد (ت ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ ـ ٩٧٧ م) .
صلة تاريخ الطبرى . نشر دى غويه ، ليـدن بريل ، ١٨٩١
ونسخة أخرى طبعة القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ ـ ابن القلانسى (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) ، أبو يعلى حمزة .

ـ ذيل تاريخ دمشق . نشر وتحقيق أمدروز (Amedroz)
طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٠٨ م .

٣٣ ـ القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على

ـ صبح الاعشى فى صناعة الانشا . طبعة المطبعة الاميرية ، القاهرة ، ١٣٣١ ـ ١٣٣٨ هـ / ١٩١٣ ـ ١٩١٨ م (١٤ جزءا)

٣٤ ـ ابن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفداء اسماعيل ابن عمر .

ـ كتاب البداية والنهاية فى التاريخ . طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٢ م .

٣٥ — أبو المحاسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، جمال الدين أبو المحاسن بن تغرى بردى .

— النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . دار الكتب المصرية ، القاهرة . ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م — ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م (٨ أجزاء)

٣٦ — المسعودى (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى .

— التنبيه والاشراف . ط . دى غوية ، ليدن ، بريل ، ١٨٩٣ م . وط . القاهرة ، ١٣٥٧ هـ / ١٨٣٨ م .

٣٧ — مروج الذهب ومعادن الجوهر . جزآن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ وترجمة الى الفرنسية باربييه دى مينار Barbier de Meynard تحت عنوان Prairies d'Or باريس ١٨٦١ — ١٨٧٧ م .

٣٨ — ابن مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد .

— تجارب الامم وتعاقب الهمم . ط . مطبعة التمدن الصناعية مصر المحمية ، ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م . بالأوفست . جـ ٢ (حوادث السنوات من ٣٢٩ — ٣٦٩ هـ) .

٣٩ — المقدسى (حوالى ٣٨٧ هـ) شمس الدين أبو عبد الله البشارى

— أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم . طبعة ليدن ، بريل بالاوفست ١٩٦٨ م (ضمن المجموعة الجغرافية العربية . نشر دى غوية .
الجزء الثالث من المجموعة) .

٤٠ — المقرى (١٠٤١ هـ / ١٦٣٣ م) ، تقى الدين أحمد بن على .

— نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . ط . بولاق ، ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م (٤ أجزاء)

٤١ — ابن نباتة (٣٧٤ هـ / ٩٨٤ م) أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل ابن نباته الفارقى •

— ديوان الخطب ابن نباتة ، بيروت ، ١٣١١ هـ •

٤٢ — ابن الوردى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر أبى الفوارس محمد الوردى •

— تاريخ ابن الوردى (تتمة المختصر فى أخبار البشر) تحقيق أحمد رفعت البدراوى ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م (الجزء الاول) •

٤٣ — ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى •

— معجم البلدان • ط• القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م (١٠ أجزاء)

و ط• الخانجى ، مصر ، ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م ، وطبعة ليبزج نشر وستنفلد ١٨٦٦ — ١٨٧٣ م ، ونسخة ط• شتوتجارت ، نشرها Sachnider Von Oscar Rescher ١٧٧٨ م (٨ أجزاء)

٤٤ — اليعقوبى ، أحمد بن واضح (ت بعد ٢٨٤ هـ / وحوالى ٢٩٢ هـ)
— كتاب البلدان (كتب حوالى ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) • ملحق بالاعلاق النفيسة لابن رستة ، ضمن المجموعة الجغرافية ، العربية ، ط• بريل ، ليدن ، ١٩٦٨ • بالاوفست •

(ب) المراجع العربية الحديثة والمعربة :

٤٥ — ابراهيم أحمد العدوى

— دراسات فى التاريخ البيزنطى • مقال منشور بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثانى ، العدد الثانى ، أكتوبر ، ١٩٤٩ م

٤٦ ــ ارشيبالد ، لويس

ــ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ــ ١١٠٠ م) ، نقله للعربية أحمد محمد عيسى ، راجعه وقدم له محمد شفيق غربال ، القاهرة ١٩٥٦ م .

٤٧ ــ أحمد السعيد سليمان .

ــ تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ، ط. دار المعارف مصر ، القاهرة ، ١٩٧٢ م (جزآن)

٤٨ ــ أسد رستم

ــ الروم « فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب .

دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٥ م . (جزءان فى مجلدين)

٤٩ ــ بينز ، نورمان

ــ الامبراطورية البيزنطية ، تعريب حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

٥٠ ــ جاسم الخلف

ــ محاضرات فى جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ط. معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٥١ ــ الخانجى ، محمد أمين

ــ منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان . ط. أولى ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .

٥٢ — حسن ابراهيم حسن

— تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى .
دار النهضة المصرية ، القاهرة ، ط. سابعة ، ١٩٦٤ م .
(٣أجزاء)

٥٣ — دائرة المعارف الاسلامية . وضع مجموعة من العلماء .
تعريب أحمد زكى خورشيد وآخرون . ط. القاهرة . دار
الشعب .

٥٤ — زامباور

— معجم الانساب والاسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى
ترجمة حسن أحمد محمود وسيدة كاشف وآخرون ، طبعة
مطبعة جامعة القاهرة . (جزءان) .

٥٥ — سامى الكيالى

— سيف الدولة وعصر الحمدانيين . دار المعارف بمصر ،
١٩٥٩ م .

٥٦ — السيد الباز العرينى

الدولة البيزنطية (٣٢٣ — ١٠٨١ م) . دار النهضة العربية
القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٥٧ — صابر دياب

— أرمينية من الفتح الاسلامى حتى مستهل القرن الخامس
الهجرى ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

٥٨ — عبد المنعم ماجد

— التاريخ السياسى للدولة العربية . مكتبة الانجلو المصرية
القاهرة ، ١٩٥٦ / ١٩٥٧ م . (جزءان)

٥٩ — عمر كمال توفيق

— مقدمات العدوان الصليبى — « الامبراطور يوحنا » زيمسكيس وسياسته الشرقية » . الاسكندرية ، ١٩٦٦ م .

٦٠ — فازيليف ، أ . أ .

— العرب والروم . ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة .

٦١ — فتحى عثمان

— الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى طبعة الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ (٣ أجزاء)

٦٢ — فيصل السامر

— الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب . ط . جامعة بغداد ١٩٧٣ م ج ١ : فى الموصل ، ج ٢ : فى حلب (جزءان)

٦٣ — الكبيسى ، حمدان عبد الحميد

— عصر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ — ٩٣٢ م) طبعة جامعة بغداد ، مطبعة النعمان ، النجف ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٦٤ — لى ستزانج ، جاى Lestrange., Guy.

— بلدان الخلافة الشرقية . تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، نشر المجمع العلمى العراقى ، بغداد ، ١٩٥٤ م

٦٥ — محمد جمال الدين سرور

— تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق . « من عهد نفوذ الاتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى » . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦٦ — محمد كرد على

— خطط الشام . طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م (٦ أجزاء في ٣ مجلدات)

٦٧ — مختار الهامى باشا : (اللواء المصرى)

— التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . ط. أولى مطبعة بولاق الميرية ، ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ — ١٨٩٤ م

٦٨ — مصطفى الشكعة

— سيف الدولة أو مملكة السيف ودولة الاقلام . نشر عالم الكتب ، بيروت ، ومكتبة المثنى بالقاهرة ، ط. ثانية ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .

ثانيا : المراجع الاجنبية :

1 — Allen, W.E.D.

The History of the Georgian People «from the Begining to the Russian Conquest in the 19th Century». Introducing by : Sir Denision Roso, London, Kegan Paul, 1932.

2 — Brehier, Louis.

Le Monde Byzantine «Vie et mort de Byzance», A. Michele, Co., Paris, 1947.

3 — Brooks, E.W.

Arabic Lists of Themes (Journal of Hellenic Studies, Vol. 21, 1901).

4 — Burry, T.B.

History of the later Roman Empire. London, 1931. (2 vols.)

5 — Cambridge Medieval History, Cam. Univ Prs., England, 1913.

6 — Canard, Marius.

Histoire de la Dynastie des Hamanides de Jazira et des Syrie. Alger, 1961 & Paris, 1974 Tome 1.

7 — Canard, M.

Arabes et Bulgares au dèbut du Xème Siècle. (Byzantion, 1936, pp. 213 - 223).

8 — Defremery

Memoires sur la Famille des Sajides (J. Asitique, Serie 4, IX 1847 & 4, 1848).

9 — Dussaud :

Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale, Paris, 1927.

10 — Finlay, George

History of Byzantine Empire (716 - 1507 A.D.) London, 1859, 1865.

11 — Fintay, G.

History of the Greece from the Conquest by the Romans to the Present times (146 B.C. — 1864 A.D.), Oxford, 1877 (7 vols.)

12 — Grousset, René.

Histoire de L'Armenié des Origines à 1071. Payot, Paris, 1947.

13 — Huart :

Sajides. (Encyclopaedia of Islam.)

14 — Laurent, J. :

Les Bagratuni Sont en Georgie de la IX Siécle.

15 — Laurent, J. :

L'Armenie Entre Byzance et l'Islam, Depuis la Conquente Arabe Jusquen en 886. Paris, 1919.

16 — Ostrogorowsky, G.

History of Byzantine State (tr. Hussey), Oxford. 1961.

17 — Paul, Bourain.

Allep, Autrefois et Aujourd hui. Alep, 1930.

18 — Runciman, Steven.

The Emperor «Romanus Lecapenus».

19 — Schlumberger, G. :
Un Empreur Byzantine au 10ème Siécle «Nicephore Phocas«. Paris, 1923.

20 — Sourdel, Dominique.

Le Visirate Abbasside de 749 a 936 (132 A 324 de l'Hegire). Damas, 1960 Tome : 2.

21 — Sterck :

Art. : Aremenia (Ency. of Islam, vol. I, p. 637 etc).

والطبعة العربية مادة « أرمينية » جـ ١

23 — Vasiliev, A.A.
History of the ,Byzantine Empir. Wisconsin, U.S.A., 1952. & Madison, 1961. (2 vols.).

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٤٥/٨٤

المطبعة التجارية الحـــديثة
٢٠٢ شارع اديس راغب ـــ ت ٩٠٣٣٦٤


فلس درهم
السعر بعد الخصم